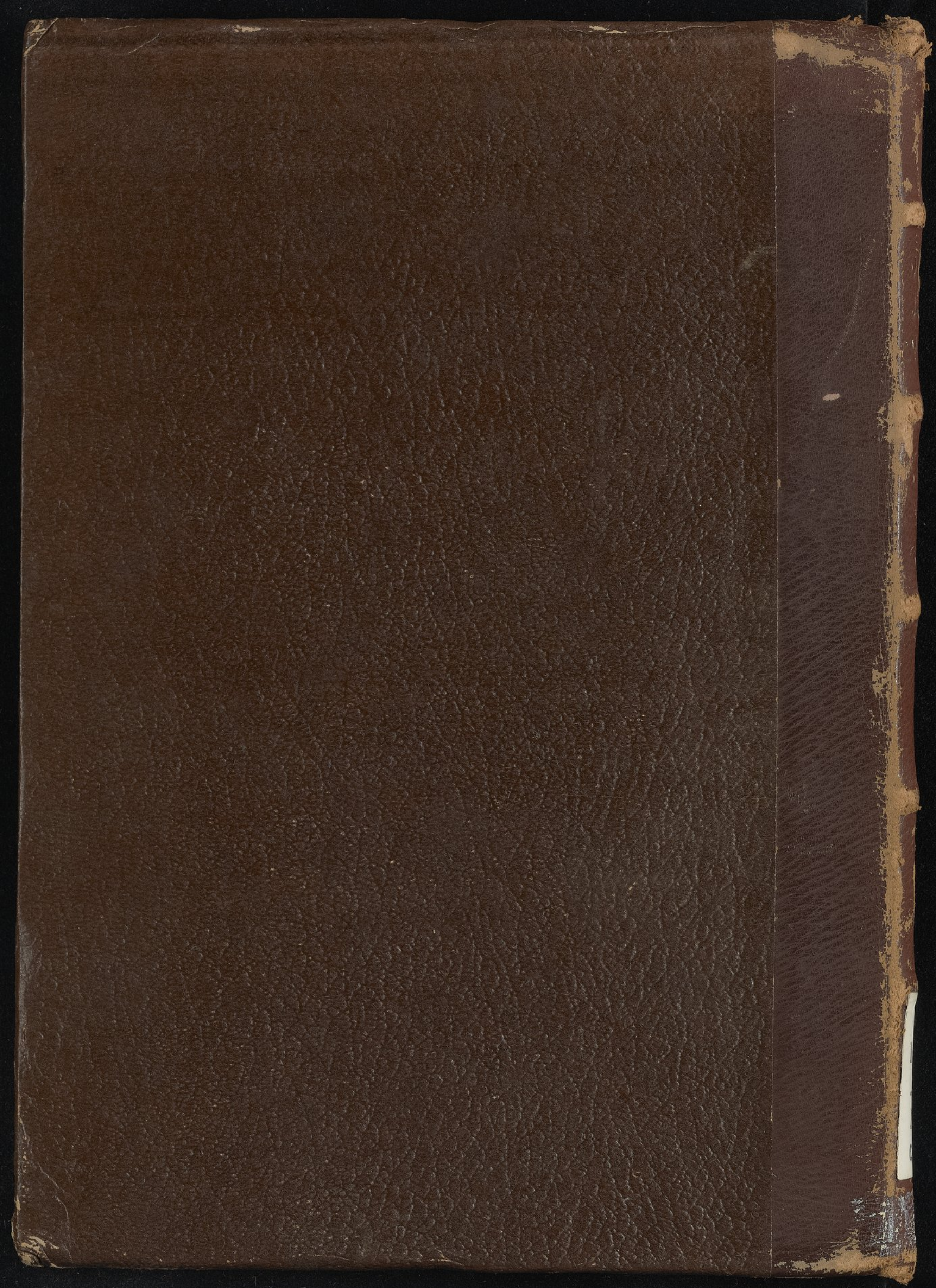
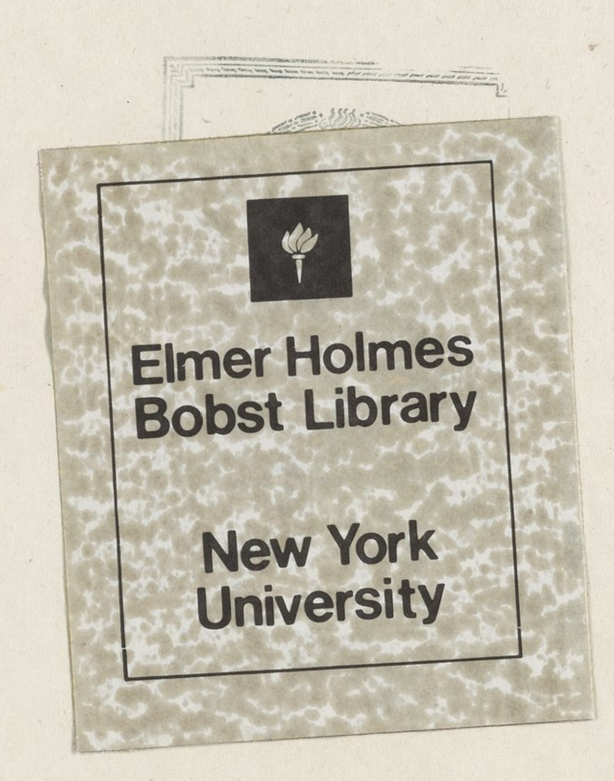



BOBST LIBRARY
3 1142 02809 1711


Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

التنبيه والرد

على أهل الأهواء والبدع

للامام الفقيه المحدث الثقة

أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي

المتوفى سنة ٣٧٧ هجرية

قدم له وعلق عليه

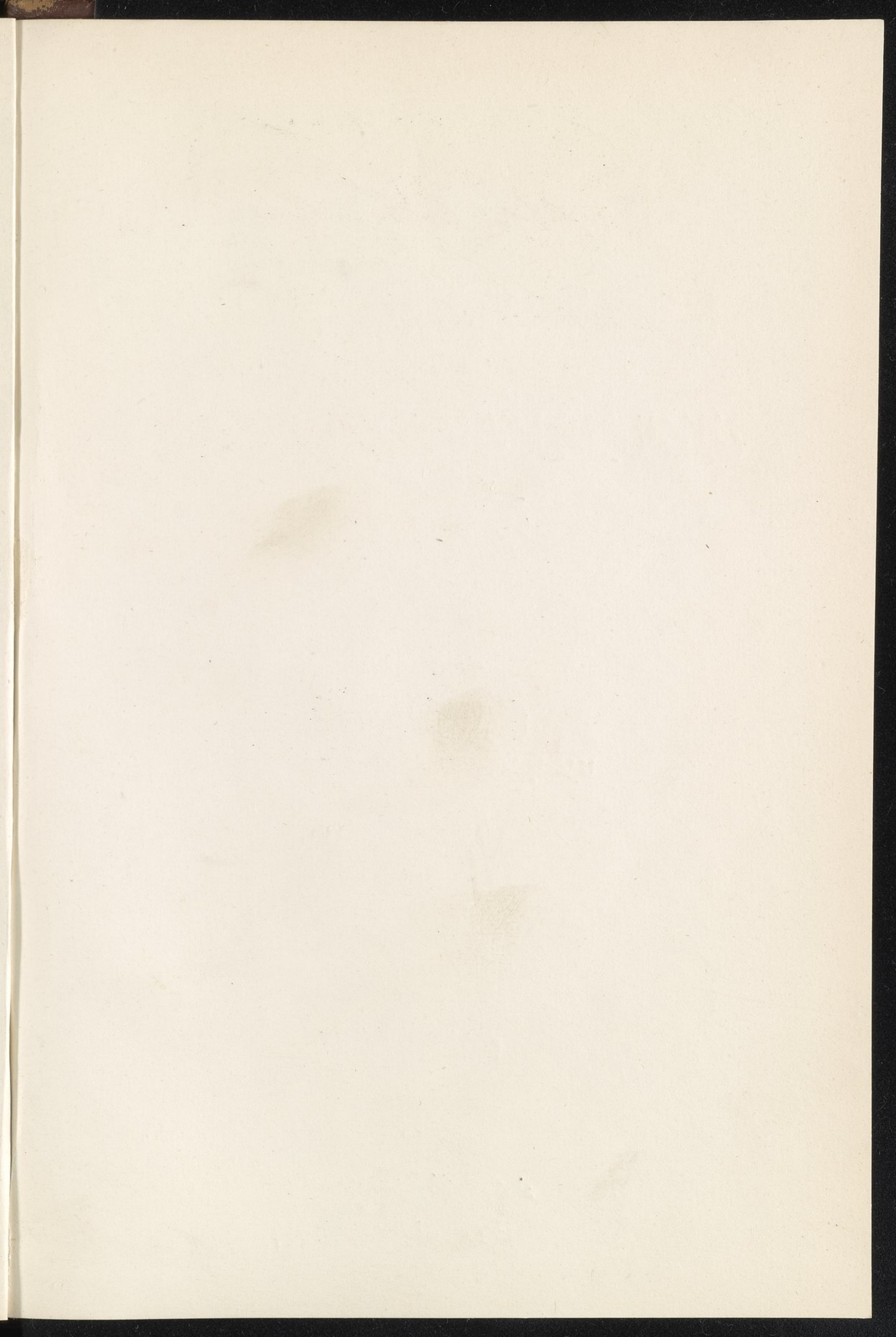
محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً

١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م

يطلب من مكتبة المثنى ببغداد

ومكتبة المعارف ببيروت



al-Tanbih wa-al-radd...

التنبيه والرد

على أهل الأهواء والبدع

للامام الفقيه المحدث الثقة

أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي

المتوفى سنة ٣٧٧ هجرية

al-Malaṭī, Muh'd ---

قدم له وعلق عليه

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقاً

١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م

يطلب من مكتبة المثنى ببغداد

ومكتبة المعارف ببيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة عن التنبيه ، والرد على أهل الأهواء والبدع

ومؤلفه أبى الحسين محمد بن احمد الملطى

الشافعى رحمه الله تعالى

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وآله وصحبه وكل من سار على نور هداه .

أما بعد : فإن هذا الكتاب من أقدم ما ألف فى شرح أحوال الفرق ، وقد حوى من الفرق ما لم يذكره باقى كتب الملل والنحل . وكنت ظفرت به سنة ١٣٤٣ هـ أثناء بحثى عن نوادر المخطوطات بظاهرية دمشق فنسخته لنفسى ، ونقلت كثيراً من فوائده فى مؤلفات نشرت تحت إشرافى ، ومن جملة ذلك ما نقلته عنه فى مقدمة « تبيين كذب المفترى فى الذب عن أبى الحسن الأشعرى » ص ١٠ ، للحافظ ابن عساكر المطبوع سنة ١٣٤٨ هـ حيث يقول فى سبب تلقيب المعتزلة : « وهم سموا أنفسهم معتزلة ، وذلك عندما بايع الحسن بن على عليه السلام معاوية وسلم إليه الأمر . اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس — وكانوا من أصحاب على — ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة ، فسموا بذلك معتزلة ، اهـ » .

ويظهر من ذلك أن هذا لقب اختاروه لأنفسهم فسايرهم الناس فى هذا التلقيب مع أن المشهور فى سبب تلقيبهم كونهم يقولون بالمنزلة بين المنزلتين ، أو اعتزالهم مجلس « الحسن البصرى » ، وما فى هذا الكتاب فى سبب التلقيب

أقرب وأقعد فى المعنى ، مع كونه من أقدم الروايات ، على بعد المؤلف من التحيز لهم[1] .

وقد رتب المؤلف كتابه على أربعة أجزاء ، ونسخة الظاهرية تبتدىء من الجزء الثالث ، ويظهر من إحالات المؤلف فى القسم الموجود أن معظم بحوث الجزئين الأول والثانى عن فرق اليهود والنصارى وما إلى ذلك ، ولم نجد هذين الجزئين فى فهارس الخزانات ، مع بحث مديد الأمد ، ويكفى القسم الموجود منه فى بيان الفرق .

والكتاب تجده يذكر كثيراً من الفرق التى لم يذكرها عبد القاهر البغدادى ومن سار سيره ، وينفرد بأنباء عنهم ، ثم تراه يذكر كثيرا من الفرق بأسماء على خلاف أسماء ذكرهم بها باقى أصحاب كتب الفرق تبعاً لمصادره التى ليست بمتناول أيدينا فى زمننا هذا . كما فعل فى اسم الشحام المعتزلى ، وفى أسماء رؤساء الصفرية ، والأزارقة ، والإباضية ، والصلتية من الخوارج ، واستعراض مثل هذا الاختلاف مما يهم الباحث المستقصى ، ليتبين عنده من هو الغالط ومن هو المصيب ؛ ثم توسعه فى تراجم بعض زعماء المعتزلة مما لم نره فى كتاب سواه ، وكلامه فى فرق الزنادقة ، وأصناف الروحانيين منهم ، وطوائف الروافض والخوارج ، مما يسترعى الأنظار .

وقد ابتدأ المؤلف بذكر ما قاسى المسلمون فى صدر الدعوة إرهافاً للعزمات فى

---

(١) وكون القول بالمنزلة بين المنزلتين سبب التلقيب غير واضح كما أن صلة واصل زعيم للمعتزلة بأبى هاشم عبدالله بن محمد ابن الحنفية وانتماءهم إليه قبل صلتهم بالحسن البصرى ، وهذا يخدش أن يجعل الثانى سبباً للتلقيب على أن المطرود من المجلس لا يصح عده معتزلا والله أعلم (ز) .

فى هذا السبيل ، ثم شرح أصول السنة لكن بسند لا يعول عليه كما يظهر مما سيأتى ، ثم أخذ يشرح أحوال ثمانى عشرة فرقة من الروافض ، وعنونهم بالإمامية فلعله أراد بها كل من رأى من الشيعة فى الإمامة ، فشملت الاثنى عشرية وغيرها من الشيعة فى مصطلحه ، ولا مشاحة فى الاصطلاح ، لكن عنوان الروافض لا يشمل إلا بعض شذوذ من الزيدية كما هو معروف ، فيكون جعل العنوان بحيث يشمل جميع الزيدية غير مستقيم .

وقد ذكر المؤلف أربع فرق للزيدية وجعل الفرقة الرابعة منهم معتزلة بغداد ، واستطرد هكذا إلى ذكر المعتزلة فشرح الأصول الخمسة المعتبرة عندهم ، وترجم لكثير من شيوخهم بتوسع لا يوجد فى غير هذا الكتاب — فيما نعلم — وأفاض فى بيان وجوه الخلاف بين معتزلة البصرة ومعتزلة بغداد ، حتى ذكر عشرين فرقة من المعتزلة ، ثم ذكر المرجئة من غير خوض فى فروع هذه الطائفة ، ثم ذكر الخوارج وبين بعض فرقها ؛ ثم ذكر متشابه القرآن وما يتحكك به بعض أهل الزيغ من الآيات فأجاد الجواب عن تشكيكاتهم .

وبحوثه فى آيات يتذرع بها أهل الزيغ فى زعم وجود تناقض بينها وأجوبته عن تلك المزاعم جديرتان بالاهتمام ؛ وحججه فى البحوث الكلامية نيرة المعالم غالباً إلا أنه كثير الاتباع لنصوص كتاب « الاستقامة » لأبى عاصم خشيش[1] بن أصرم النسائى من شيوخ أبى داود وابنه والعسال . كما أنه كثير المسايرة لمقاتل بن سليمان البلخى فى تفسير الآيات فيبعدانه عن الجادة .

فخشيش ممن سطع نجمه بعد رفع المحنة فى فتنة القول بخلق القرآن عند تقريب

---

(١) توفى بمصر سنة ٢٥٤ هـ فيما جزم به الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقى ، مع أن الذهبى يجعل وفاته سنة ٢٥٣ هـ (ز) .

المتوكل العباسى النقلة . وهو يعد عندهم ثقة فى الرواية . لكنه متخبط فى مسائل الدراية . فيفوه بما ينبذه البرهان الصحيح غير ساكت عما لا يعنيه . فيكون كتابه من بابه كتاب « النقض » لعثمان بن سعيد الدارمى . وسنة عبد الله بن أحمد . وسنة الخلال . وتوحيد ابن خزيمة وما جرى مجراها . فلو وقف هؤلاء عند النصوص المستفيضة فى باب الصفات . ولم يعرجوا على مناكير الروايات ولم يحيدوا عن التنزيه بخزعبلات الجهلة الأغرار لما تورّطوا فيما لا قبل لهم به . ولا ورّطوا مشايعيهم فى جهالات متراكبة وظلمات متكاثفة ؛ والجهل بالله مما لا يعذر فيه المكلف فى دار الإسلام عند جمهور أهل الحق .

وقد شذ العز بن عبد السلام فى قواعد الأحكام ، وعذر من هو بمثابة العامى منهم إذا بدر منه شىء يؤذن ببعض جهل فى الصفات ؛ وكثرة من وقع فى تلك الورطة من النقلة المعروفين هى التى حملته على القول بهذا التساهل معهم . لكن البراهين ليست على تأييده . نسأل الله السلامة .

واعتماد المؤلف على مُقاتل بن سليمان فى التفسير أوقعه فى الانخداع ببعض آراء الحشوية كتفسير الاستواء بالاستقرار مع أن ذلك إنما يكون بعد اضطراب سابق . وجل إله العالمين عن الجسميات وأوصاف المحدثات .

وكان أبو عصمة نوح بن أبى مريم ربيب مقاتل هذا كما أن نعيم بن حماد الفارض كان ربيب نوح فتوارثوا بينهم مخازى الحشوية ؛ ومن ظن أن مقاتل ابن سليمان المفسر غير مقاتل بن سليمان المجسم القائل باللحم والدم فى كتب النحل يكون مصابا بالحول فيرى الواحد اثنين غالطا غلطتين .

قال ابن حبان : « كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذى يوافق كتبهم . وكان مشبها يشبه الرب سبحانه وتعالى بالمخلوقين وكان مع ذلك

يكذب فى الحديث . اه » . والـكلام فيه طويل الذيل فى « تهذيب التهذيب » وغيره . ولعل المؤلف اغتر بكلام الذين أثنو عليه فى التفسير ، لـكن الثناء الإجمالى عليه لا يفيد تصويب آرائه كلها ، بل كان مقاتل وجهم على طرفى نقيض : غلا مقاتل فى الإثبات حتى شبه ، وجهم غلا فى التنزيه حتى عطل ؛ ولذا يقول الإمام أبو حنيفة : إن هذا معطل وذاك مشبه ، وإن لهما رأيين خبيثين .

ثم ذكر المؤلف الجماعة وأسدى نصحاً فى الدين ، ثم سرد الفرق عوداً على بدء فذكر الزنادقة على خمس فرق : المعطلة ، والمانوية ، والمزدكية ، والعبــــدكية ، وصنوف الروحانيين . وذكر الجهمية : على ثمانى فرق ، والقدرية على سبع فرق ، والمرجئة على اثنتى عشرة فرقة ، والرافضة على خمس عشرة فرقة ، والخوارج على خمس وعشرين فرقة ، فمجموع تلك الفرق اثنتان وسبعون فرقة على بعض تخالف فى التعدادين السابق واللاحق .

ففى التعداد اللاحق تابع كتاب « الاستقامة » كما تابعه أيضاً فى الاهتمام بفرق الجهمية والرد عليهم مع إدماج كثير من المنزهة فيمن يسميهم جهمية اغتراراً بما يفعله الحشوية ، لـكن أغلب الروايات التى سردها للرد عليهم غير ثابتة الأسانيد ولا نيرة المعالم فى الدلالة ، فأجزاء من تفسير مقاتل لم تزل موجودة فى الخزانات ، وكتاب « الاستقامة » والرد على أهل الأهواء لخشيش بن أصرم من مرويات المحدِّث محمد بن محمد بن سليمان الرودانى المالـكى فى كتاب « صلة الخلف بموصول السلف » بروايته عن شيخه على الأجهورى ، عن النور القرافى ، عن قريش البصير عن ابن الجزى ، عن العز بن جماعة ، عن والده البدر ، عن اسماعيل بن أحمد ؛ ومكى بن مسلم بن علان كلاهما ، عن أبى طاهر السلفى ، عن محمد بن أحمد الرازى عن محمد بن الحسين النيسابورى ، عن الحسن بن رشيق الزاهد ، عن العباس بن

محمد المصرى ، عن خشيش بن أصرم المؤلف ، وسندى إليه فى « التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز » .

فعلم مما سبق أنه يتعين التبصر البالغ فى مرويات المؤلف عن مثل محمد بن عكاشة فى صدر الكتاب ، وعن مقاتل بن سليمان فى الأوسط ، وعن خشيش بن أصرم فى الأواخر ؛ لكلام أهل النقد فى ابن عكاشة ، ومقاتل ، وتهاتر آراء خشيش كما سبق . وهذا ما رأيت وجوب الإشارة إليه هنا حرصاً على معتقد أهل الحق .

ترجمة المؤلف ، وشيوخه ، وأقوال المؤرخين فيه ووفاته :

وأما المؤلف فترجمته مستوفاة فى تاريخ « دمشق » لابن عساكر ، و «طبقات الشافعية » للتاج بن السبكى ، و « طبقات القراء » للشمس بن الجزرى .

قال ابن عساكر : هو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الحسين الملطى المقرىء سمع باطرابلس خيثمة بن سليمان ، وأبا عمير عدى بن عبد الباقى الأذنى ، وبحلب أحمد بن مسعود الوزان ، ومحمد بن بركة برداغِش (الحافظ)، وأبا الطيب على بن محمد ابن أيوب بن حجر بن أبى سليمان الصورى ، وعبيد بن محمد بن يعقوب الأنصارى بحران ، وأبا بكر محمد بن الحسين الخزاعى ، وأبا محمد عبيد الله بن الحسين الصابونى القاضى بأنطاكية ، وأبا بكر محمد بن إسحاق بن فروخ بربض الرافقة[1] ، وبشر ابن سعيد بن قلويه الرقى .

وروى عنه : أبو القاسم عمر بن أحمد الواسطى (الخطيب) ، وأبو بكر محمد ابن داود بن مصلح المحقلانى ، وأبو محمد اسماعيل بن رجاء العسقلانى ، وعبيد ابن سلمة بن حزم المكتب ، وأبو محمد عبد الله بن عمر بن العباس العدوى ، نزيل تنيس .

---

(١) بناها المنصور العباسى وهى تعرف اليوم بالرقة (ز) .

قال أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى : سمعت إسماعيل بن رجاء يقول : كان أبو الحسين الملطى كثير العلم ، كثير التصنيف فى الفقه ، وكان يتفقه للشافعى ، وكان يقول الشعر ويسره ويعجب به . قال : وسمعت اسماعيل يقول : توفى أبو الحسين الملطى بعسقلان سنة ٣٧٧ ﻫ ، انتهى .

وروى ابن عساكر أحاديث فى فضل ليلة النصف من شعبان بطريق أبى القاسم عمر بن أحمد الواسطى عنه ، ومولده ملطية ، ووفاته فى عسقلان كما ترى .

وذكر التاج بن السبكى ملخص ما فى ابن عساكر ، ثم ساق حديثاً بطريق عمر بن أحمد الواسطى عنه .

وقال ابن الجزرى عن أبى الحسين الملطى : نزيل عسقلان ، فقيه مقرىء ، متقن ثقة أخذ القراءة عرضاً عن ابن مجاهد ، وابن الأنبارى ، وقرأ القراءة عنه عرضاً الحسن بن ملاعب الحلبى .

وله قصيدة عارض بها أبا مزاحم الخاقانى ، وأولها :

أقول لأهل اللب والفضل والحجر	مقال مريد للثـــواب وللأجر
وأســـأل ربى عفوه وعطاءه	وطرد دواعى العجب عنى والـكبر
وأدعوه خوفاً راغبـــاً بتذلل	ليغفر لى ما كان من سىء الأمر
وأسأله عوناً كما هو أهـــله	أعوذ به من آفة القول والفخر

ثم قال : مات بعسقلان سنة ٣٧٧ ﻫ ، انتهى .

ولم يذكر المترجمون له نسبته إلى غير ملطية ، وعسقلان ، لـكن الأصل المنقول عنه فيه نسبته طرائفياً أيضاً نسبةً إلى بيع الطرائف الخشبية .

وفى آخر الأصل المنقول عنه ما لفظه :

« قال محمد بن إبراهيم ين القاسم الحصرى البغراسى[1] سمعت أبا على محسن ابن عبد الله الرملى قال : حدثنى الشيخ الجليل أبو الحسين محمد بن أحمد الملطى الطرائفى العسقلانى » .

وبعد ذلك ما نصه :

« سمع جميع هذا الكتاب من أوله إلى آخره بقراءة يحيى بن الحسين بن يحيى البصرى المعروف بالبردعى ، على محمد بن إبراهيم بن القاسم الحصرى البغراسى : الخضر بن جعفر المصيصى غلام البلوطى ، والحضور : محمد بن عمران الحنبلى البغدادى ، وعلى بن سالم الأذرعى ، والخضر بن أحمد الدمشقى ، وسبيع بن على ابن على بن الحسن الدمشقى ، وسمع من موضع البلاغ محسن بن طاهر بن الحسن الدمشقى ، وخلف بن مسعود من أوله إلى آخره إلا الموضع بين البلاغين ، وأجاز لهما ما فاتهما من ذلك فى شهر ربيع الأول سنة أربع عشرة وأربعمائة فالحمد لله رب العالمين وصلى الله على النبى محمد وآله وسلم » .

وبعد ذلك ما لفظه :

« ونسخ هذا فسمع هذا الكتاب من أوله إلى باب ذكر المرجئة وفرقها ومذاهبها محمد بن خلف بن حزم بن ليون بن سوار بالجيدور بالحارة من خلف بن مسعود الأنصارى الأندلسى بمسجد أبى صالح[2] فى رجب سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة » .

---

(١) نسبة إلى بغراس : بفتح فسكون ، حصن منيع على يمين السائر من حلب إلى أنطاكية بلحف جبل اللكام فى الجبال المطلة على بلاد كانت بيد ابن ليون فى أيام ابن الاثير ــ راجع اللباب ، وقاموس المجد (ز) .

(٢) الذى تنسب اليه الصالحية بدمشق وهجرة الحنابلة اليها كانت سنة ٥٥١ هـ عند استيلاء الصليبيين على بيت المقدس (ز) .

وهنا انتهى ما فى الأصل من التسميعات . وقد بلغنى أن الكتاب نشر فى الآستانة قبل سنين بعناية بعض كبار المستشرقين بإرشاد عميدهم المستشرق الكبير الأستاذ الطائر الصيت « البروفسور لويس ماسينيون » الفرنسى ، لكننى لم أظفر بنسخة منه .

ثم عزم ناشره على نشره ، فراجعنى هو فى دوره ، واستعار منى نسختى من الكتاب ، وطلب منى أن أكتب كلمة عن الكتاب ومؤلفه مع تعليق كليمات فى مواضع من الكتاب ففعلت نزولا عند رغبته داعياً لى وله بالتوفيق والتسديد وفقنا الله وإياه لما فيه رضاه ؟

القاهرة فى ١٠ شوال سنة ١٣٦٨ هـ　　　　محمد زاهد الكوثرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وبعد :

فقد كان المسلمون فى عهد رسول الله ، أمة واحدة تلتف حول رسول الله ، تهتدى بهديه ، وتحرص على سنته ، تفهم القرآن ، فما أشكل عليها منه ترده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت الخلافة بعده أهم العوامل لظهور الفرق الإسلامية ، فقد كان على كرم الله وجهه ، يرى أنه أحق بالخلافة من أبى بكر وكان يؤيد علياً فى رأيه بعض المسلمين ، ولكن لم يطل أمد هذا الخلاف ، بل التأم الشمل ، واجتمعت الأمة حول أبى بكر وعمر من بعده ، وساعد على ذلك حرص أبى بكر وعمر على الحق والعدل والقدوة برسول الله والزهد فى متاع الحياة الدنيا ، ثم انشغال المسلمين بالجهاد والفتوح ، فلم يجد الناقمون ميداناً يصولون فيه ولا باباً منه يدخلون .

فلما صار الأمر إلى عثمان بن عفان بعد موت عمر ، التف حوله بنو أمية ، وصاروا يصرفون أمور الدولة ويحكمون متأثرين بالعصبية القبلية . مما أثار السخط على عثمان ، وأثار العداوة الكامنة بين بنى هاشم وبنى أمية ، وانتشر فى الأمصار من يحرض على عثمان ، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ رأس الفتنة ، وكان يهودياً أسلم وتعصب لعلى وذهب إلى مصر .

ومن أقواله : إنه كان لكل نبى وصى ، وعلى وصى محمد ، فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ، ووثب على وصيه ؟

وانتهى الأمر بمقتل عثمان ، ومبايعة على بالخلافة ، وكان ذلك باباً للفتنة ولج منه الحاقدون على الإسلام ، والناقمون على الدعوة . . . وكان ممن خرج على علىّ طلحة والزبير ومعاوية ، طالبوا بدم عثمان والقصاص من قاتليه ، واتهموا علياً بممالأة قاتليه .

ووقع القتال بين علىّ وطلحة والزبير ، فى موقعة الجمل التى انتهت بقتلهما .

ثم التقى على ومعاوية فى موقعة صفين ، وكادت الدائرة تدور على معاوية فأوعز إلى جنوده برفع المصاحف على رءوس الرماح ، وطلب التحكيم إلى كتاب الله . وهنا اختلف أتباع على ، هل يقبلون التحكيم ، لأنهم يقاتلون لإعلاء كلمة الله وقد دعوا إليها ، أم لا يقبلون لأنها دعوة صادرة من قوم على باطل لا يريدون بها وجه الله ، وإنما هى خدعة حربية ؟ ، فلما قبل على التحكيم حقناً للدماء خالفه قوم من جنده ، أكثرهم من قبيلة تميم ورفضوا أن يحكم أحد فى كتاب الله ، ورأوا أن التحكيم خطأ لأن حكم الله واضح وأنهم لا شك على الحق ونادوا « لا حُكْمَ إلا لله » وأصبحت هذه الجملة شعاراً لهم .

وقد انضم إلى هذه الجماعة كثير من أصحاب على بعد فشل التحكيم ، وخرجوا من الكوفة وسكنوا قرية تسمى : « حروراء » وحينئذ سموا بالحرورية ، نسبة إلى هذه القرية ، وبالمحكِّمة . أى الذين يقولون لا حُكْمَ إلا لله ، وسموا أيضاً : الشراة ، لأنهم باعوا أنفسهم لله (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) هؤلاء هم الخوارج .

وقد حارب على الخوارج ، حتى دبروا قتله .

وقد ظل الخوارج قوة تهدد الدولة ، وإن كانوا قد اختلفوا فرقاً

وطوائف بلغت أكثر من عشرين فرقة ، من أشهرها الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق ، وكان من أكبر فقهائهم ، وقد كفر جميع المسلمين ما عداهم ، لا يحل لأصحابه أن يجيبوهم إلى الصلاة ، ولا أن يزوجوا منهم ، ولا أن يأكلوا من ذبائحهم ، ودارهم دار حرب يحل قتل أطفالهم ونسائهم .

ومنهم النجدات أتباع نجدة بن عامر ، وكان يرى أن المخطىء بعد أن يجتهد معذور ، ومن أداه اجتهاده إلى استحلال حرام أو تحريم حلال فهو معذور .

ومنهم الإباضية نسبة إلى رئيسهم عبد الله بن إباض التميمى ، وهم لم يقسوا فى الحكم على مخالفيهم كما قسا الأزارقة ، بل قالوا : يحل التزوج منهم ولا يحل قتالهم وسبيهم فى السر غيلة ، ولا يجوز قتالهم إلا بعد الدعوة وإقامة الحجة . وقد ظهر ابن إباض فى النصف الثانى من القرن الأول للهجرة ، وكان أتباعه مسالمين فى أكثر أحوالهم .

ومنهم الصُّفْرية أتباع زياد بن الأصفر .

والخوارج وإن اختلفوا فيما بينهم فرقاً إلا أنهم كانوا يجتمعون على مبدأين :

الأول : يتعلق بنظريتهم فى الخلافة ، وهى أنها يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين ، وإذا اختير الخليفة ، فليس من حقه أن يتنازل أو أن يُحَكِّم وليس يلزم أن يكون قرشياً ، بل يكون من غيرهم ولو كان عبداً حبشياً . وهم بهذا يخالفون الشيعة ، إذ أنهم يقولون بانحصار الخلافة فى بيت النبى : علىّ وآله ، كما يخالفون أهل السنة القائلين بأن الخلافة فى قريش .

الثانى : أن العمل جزء من الإيمان ، فمن اعتقد أن الله واحد وأن محمداً رسول الله ، ثم لم يعمل بفروض الدين وارتكب الكبائر فهو كافر .

من هذا يتبين لنا أن خلاف الخوارج فى مبدئه كان خلافاً سياسياً ، ثم امتزج بتعاليم دينية .

أما الشيعة ، فقد كان النواة الأولى فى نشأتها ، تلك الجماعة التى رأت بعد وفاة رسول الله ، أن علياً أحق بالخلافة ، لأن بيت النبى أولى الناس بأن يخلفوه ، وعلىّ أولى الناس من قرابة النبى ، لأنه أسبق الناس إسلاماً وزوج فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ، وجهاده وعلمه وفضله لا ينكر . وهذه الفكرة لم تجد الجو الملائم لها إلا بعد عهد أبى بكر وعمر ، وانتهزها الحاقدون على الإسلام من اليهود والفرس الذين اعتنقوا الإسلام ، فدعوا بها وتعصبوا لها ، ومن هؤلاء : عبد الله بن سبأ اليهودى — وكانت فكرة التشيع تقوم على أساس : « هو أن الإمامة ليست من المصالح العامة التى تفوض إلى نظر الأمة ، ويتعين القائم بتعيينهم بل هى ركن الدين وقاعدة الإسلام ، ولا يجوز لنبى إغفالها ولا تفويضها إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر ، وأن علياً رضى الله عنه هو الذى عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ، ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة ، بل أكثرها موضوع أو مطعون فى طريقه ، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة » مقدمة ابن خلدون .

وبهذا نشأت فكرة الوصية ، ولقب على، بالوصى لأن النبى صلى الله عليه وسلم، أوصى لعلى بالخلافة، فكان وصى رسول الله فعلىّ ليس الإمام بطريق الانتخاب، بل بطريق النص ، وعلى أوصى لمن بعده ، وهكذا كل إمام وصى من قبله ، وقد أدى ذلك إلى القول بعصمة على ومن بعده ، فلا يجوز الخطأ عليهم .

ولم يكتف الشيعة بتفضيل علىّ على غيره ، ولم يقنعوا بأنه أفضل الخلق ، وأنه معصوم ، بل ألهوه .

فمنهم من قال : حل فى على جزء إلهى — ويقال إن أول من دعا إلى تأليه على

هو عبد الله سبأ ، وهو الذى قال بالرجعة ، وهى أن علياً يرجع بعد موته فقال — لما قتل على — : لو أتيتمونا بدماغه ألف مرة ، ما صدقنا موته .

ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً . وقد كان كثير من مبادىء الشيعة المتطرفة من صنع زنادقة الفرس واليهود كالمانوية والمزدكية ، فهى ترجع إلى الفرس ، والقول بالحلول والرجعة فإنهما أصل فى اليهودية . وقد كان الشيعة فرقاً ومذاهب ، منهم الشيعة الزيدية والإمامية .

فأما الزيدية ، فمذهبهم أقرب مذاهب الشيعة إلى أهل السنة وأعدلها ، فزعيم الزيدية هو زيد بن حسن بن على بن الحسين ، كان يرى جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، وليست هناك إمامة بالنص ، ولم ينزل وحى يعين الأئمة ، بل كل فاطمى عالم زاهد شجاع كريم قادر على القتال فى سبيل الحق ، يخرج للمطالبة يصح أن يكون إماماً ، ولا يؤمنون بأن الإمام فيه جزء إلهى .

وأما الإمامية فأساس عقيدتهم حول الإمام ، فاعتقدوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم نص على خلافة علىّ ، وقد اغتصبها أبو بكر وعمر ، وتبرءوا منهما .

وهم يقولون بعودة الإمام المنتظر . ومن فرق الإمامية : الاثنا عشرية ، والإسماعيلية وغيرهما .

وقد كان للشيعة أثر كبير فى وضع الحديث واختلاقه ، فقد وضعوا أحاديث فى فضل على ، وفى المهدى المنتظر ، وفى كل ما يؤيد مذهبهم ، ووجهة نظرهم ، فأضلوا كثيراً من الناس .

وإذا كنا نعد الخوارج فى الشيعة مذهبين سياسيين متطرفين ، فإنا نرى أنه ظهر هناك مذهباً ثالثاً : هو مذهب وسط محايد ، لم ير أصحابه أن يقحموا أنفسهم فى الخلاف ونأوا عن الفتن ، هو مذهب المرجئة ، وقد قدموا المدينة بعد المغازى بعد مقتل عثمان ، وكانوا خرجوا من المدينة وأمر الناس مؤتلف ، وقدموا إليها

والناس مختلفون : فبعضهم يقول عثمان قتل مظلوماً ، وبعضهم يقول كان على أولى بالحق ، كلهم ثقة ، وعندنا مصدق ، فلا نتبرأ منهما ولا نلعنهما ، ولانشهد عليهما ، ونرجىء أمرها إلى الله حتى يكون هو الذى يحكم بينهما .

والسبب المباشر فى ظهور هذا الحزب السياسى هو اختلاف الأحزاب الأخرى فى الرأى ، والسبب البعيد هو الخلافة ، فلولا الخلافة ما ظهر خوارج ولا شيعة ولا مرجئة .

وسموا مرجئة لأنهم يرجئون أمر هؤلاء المختلفين الذين سفكوا الدماء إلى يوم القيامة .

ولكن هذا الحزب السياسى أقحم نفسه فى مسائل الدين ، وخلط الدين بالسياسة ، فبحثوا ما الإيمان ؟ وما الكفر ؟ ومن المؤمن ؟ ومن الكافر ؟ ورأوا أن المؤمن هو من عرف أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإن لم يأت بالفرائض ولم يكف عن الكبائر ، بل غلا بعض المرجئة ، فقال : إن الإيمان الاعتقاد بالقلب ، وإن أعلن الكفر بلسانه ، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية فى دار الإسلام ، فهم يرون أن الإيمان الاعتقاد القلبى بالله ورسوله ، وليست الأعمال الظاهرة جزءاً من الإيمان .

بهذا يتبين لنا أن السياسة كان لها أثر كبير فى ظهور الخوارج والشيعة والمرجئة وغيرها

أما الاعتزال والقدرية والجبرية ، فيرجع ظهورها إلى فكرة فلسفية أو مسألة عقلية طالما خاض فيها الباحثون فى العصور السابقة ، والملل السابقة على الإسلام .

هل الإنسان حر الإرادة ، يعمل ما يشاء ويترك ما يشاء ؟ أليس الإنسان مسئولا عن عمله ؟ وهذه المسئولية تقتضى الحرية ؟ هل الإنسان مجبر على عمل

ما يعمل ؟ أليس الله قد أحاط بكل شيء علماً ، والإنسان لا يستطيع أن يعمل إلا وفق ما علم الله ؟

بمثل هذا التساؤل بدأت الفكرة التى نشأت عنها المذاهب الاعتقادية من الاعتزال والجبر ، وقد وردت فى القرآن آيات تشعر بالاختيار والمسئولية ، مثل قوله تعالى : (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) ، (ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله غفوراً رحيماً) .

ووردت آيات تشعر بالجبر مثل : (فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، ختم الله على قلوبهم وسمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) .

أخذ المسلمون يفكرون ، فظهر قوم يقولون بأن الإنسان حر الإرادة له قدرة على عمله وليس مسيراً ، ولهذا سموا بالقدرية ، وأول من تكلم فى ذلك سعيد الجهنى وغيلان الدمشقى ، وكان أكثر الخوض فى القدر بالبصرة والشام .

كما ظهرت طائفة أخرى تعارض هذا الرأى وتقول : إن الإنسان مجبور لا اختيار له ولا قدرة ، وإن الله قدر عليه أعمالا لابد أن تصدر منه ، فكما يجرى الماء ويسقط الحجر ويتحرك الهواء . فكذلك تصدر الأفعال عن الإنسان ، وأول من جهر بذلك جهم بن صفوان من أهل خراسان وأقام بالكوفة . ولهذا سميت هذه الطائفة بالجهمية ، وقال الجهمية أيضاً بنفى الصفات عن الله من سمع وبصر وكلام ، فلا يصح وصف الله بصفة توجد فى خلقه ، لأن ذلك يقتضى التشبيه . ولهذا قالوا القرآن مخلوق لأنه لا يتكلم .

وظهر بعد ذلك المعتزلة ، وكانوا يلقبون أحياناً بالقدرية ، لأنهم وافقوا القدرية فى قولهم إن للإنسان قدرة توجد الفعل منفردة مستقلة ، ولا يكون ذلك بقضاء وقدر . وكانوا يوافقون الجهمية ، فى نفى الصفات عن الله ، وأن الله لا يرى .

واختلف المؤرخون فى سبب تسميتهم بالمعتزلة فقيل : لقبوا بذلك لأن واصلا وعمر بن عبيد اعتزلا حلقة الحسن البصرى ، لأنهما اختلفا معه ، بعد أن رأيا أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل فى منزلة بين المنزلتين ، فسموا من أجل ذلك بالمعتزلة .

وقيل سموا معتزلة لأنهم اعتزلوا كل الأقوال السابقة التى ذهب إليها المرجئة والأزارقة فى مرتكب الكبيرة .

وقيل إن كلمة معتزلة أطلقت أول ما أطلقت على الذين اعتزلوا الفتنة بين على ومعاوية ، ثم أطلقت على الذين خالفوا المرجئة وغيرهم من الفرق .

والمعتزلة كان لهم أثر كبير فى الثقافة الإسلامية العقلية والفلسفية ، وكان من أهم مبادئهم أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر لكنه فاسق — وإن الله لا يخلق أفعال الناس ، وإنما هم الذين يخلقون أعمالهم ، وأنهم من أجل ذلك يثابون أو يعاقبون ، ولهذا يستحسن أن يوصف الله بالعدل — ونفى الصفات عن الله : فالله عالم وقادر وسميع وبصير بذاته ، وليست هناك صفات زائدة على ذاته ، لأن ذلك يؤدى إلى التعدد والتشبيه ، وقد دعاهم إلى القول بذلك ماشاع فى عصرهم من ذهاب قوم إلى تجسيد الله وإثبات صفات له كصفات المخلوقين ، مثل مقاتل بن سليمان الذى عاصر واصل بن عطاء .

وقد تصدت لهذه الفرق جماعة من العلماء ، يقومون آراءها ويبسطون أقوالها وينتقدون الزائف منها .

وكان ممن تصدى لذلك ، عالم قوى الحجة عاش فى القرن الرابع الهجرى هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى الشافعى ، فألف كتابه هذا للرد على أهل الأهواء والبدع ، وقد تتبع الفرق فرقة فرقة ، يزيف آراءها ويبين ضلالها

ويرد عليها و يناقشها بحجة قوية ، تدل على سعة علمه . وكان يعتمد فى كثير من مناقشاته على نصوص من كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم . ويؤخذ عليه أنه كان يركن إلى نصوص ويستشهد بنقول لم تثبت صحتها ولم يتأكد من صدق رواياتها ، إلا أن ذلك لم ينقص من قيمة الكتاب ، التى تتمثل فى أنه يعطينا صورة صادقة عن الفرق المتعـددة وآرائها ، ما لم يرد مثله فى كتاب آخر .

والله نسأل أن ينفع به ويجزى مؤلفه خير الجزاء ؟

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : أخبرنا الحصرى يونس بن الخضر . أنا محمد بن إبراهيم الحصرى البَغْراسى . حدثنى : أبو على الحسن بن هبة الله الرملى . قال : قرأت على أبى الحسين محمد بن أحمد الملطى رضى الله عنه :[1]

الحمد لله أول كل مقال ، ومبدأَ كل سؤال ، وله المنُّ والإفضالُ ، وصلى الله على محمد النبى المختار ، وعلى آله الطيبين الأخيار ، وسلم تسليماً وبالله نستعين وهو حسبنا ونِعْم الوكيلُ .

قال أبو الحسين محمد بن أحمد الملطى المعروف بالطرائفى : رسمت لكم فى كتابنا هذا الملقب بكتاب التنبيه ما فيه دليل يغنى ، وكفاية تقنع متدبرها إن شاء الله . وشرطى فيه الاختيار ، وليس تكرارى للبيان بمخرجى فيه إلى تطويل ، فلا تنسبنى فيه إلى ذلك ، وإنما تكرارى للبيان ، وجمعى له فى موضع وتلويحى به فى آخر لألفاظ ترد مختلفة ، وأشياء لاوجهَ لتركى لها ملقاةً على سبيل الحذر من التطويل . وقد أثبت فى هذا الجزء الثالث[2] بعد حمد الله والثناء عليه ، والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ، واستعانتى به ، ومسألتى إياه التوفيق ، ما يَسُر المتعلمَ والعالمَ ، وينفعُ الجاهل سماعُهُ ، ويزيد البصيرَ بصيرةً ، وأردفته برابع فيه الحِجاجُ والدليلُ على الخلافة التى ينكرها الغالون ، وشرحت نصاً مِنَ المحكم ، وأيضاً من الخبر .

---

(١) هذا الوجه بخط الشيخ الفقيه إبراهيم بن عقيل الشهرزورى . هكذا فى الأصل المنقول عنه : سمعته على البغراسى سنة أربع عشرة وأربعمائة : من الهامش .

(٢) الأول والثانى مفقودان (ز) .

فمن الدليل أيضاً على خلاف الشُّراة[١] ما قال علىّ عليه السلام : إن الله عز وجل عاتب مَنْ حولَ المدينة من الأعراب عام الحديبية فقال : (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرابِ) عنك فى الحديبية (سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) إلى أهل الردة فى خلافة أبى بكر عليه السلام ، وإلى فارس ، والروم فى خلافة عمر عليه السلام أولى بأس شديد (تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا) الخليفتين فى حروبهما (يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْراً حسناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كما تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبلُ) يعنى يوم الحديبية (يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً)[٢] . قال علىّ رضى الله عنه : فأوجب الله عز وجل طاعة الخليفتين فى حروبهما بعده .

قال أبو الحسين الملطى : البيعة التى كانت تحت الشجرة ـ أعنى بيعة الرضوان ـ كانت الشجرة مثمرة ، وكان ذلك عام الحديبية . والسكينة فى اللغة الطمأنينة . ويقال : الرحمة . ويقال : السكينة ريح لها رأس كرأس الهرة . وقال الضحاك : الرحمة . (وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً)[٣] وهى خيبر . وكذلك قال مقسم ، وقتادة والأول قول ابن عباس .

وعن المِسْوَر بن مَخْرَمة ، ومروان بن الحكم قالا[٤] : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وبضع عشر[٥] ومائة من أصحابه حتى إذا كانوا بذى

---

(١) الشراة : هم الخوارج سموا أنفسهم شراة لانهم أرادوا أنهم باعوا أنفسهم لله . وقيل لانهم قالوا : إنا شرينا أنفسنا فى طاعة الله أى بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة والشراة جمع شار .

(٢) و (٣) سورة الفتح مدنية ١٦ و ١٨ .

(٤) أصل الحديث فى صحيح البخارى فى كتاب الشروط فى باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب مع بعض تخالف (ز) .

(٥) الصواب : وبضع عشرة مائة بحذف الواو لان وجود الواو يقتضى أن عدد =

الحليفة قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم الْهَدْىَ وأَشْعَره ، وأحرم بالعمرة وبعث بين يديه عيناً له من خُزاعة يخبره عن قريش وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريباً من عسفان أتاه الخزاعى فقال : إنِّى تركتُ كعبَ بن لُؤَىٍّ ، وعامر بن لُؤَىٍّ قد جمعوا لك الأحابيش وجمعوا لك جموعاً وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أشيروا على ، أترون أن أميل على ذرارىّ هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم ، فإن قعدوا قعدوا موتورين ، وإن نجوا تكون عنقاً قطعها الله ، أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه ؟ قال أبو بكْر رضى الله عنه : الله ورسوله أعلم ، إعلم يا نبى الله إنما جئنا معتمرين ، ولم نجىء لقتال أحد ، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه . قال النبى صلى الله عليه وسلم فروحوا ، فراحوا ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وسلم : إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين . قال : فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هو بقترة[١] الجيش فانطلق يركض يريد العرب وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته . فقال الناس : حَلْ ، حَلْ[٢] فَأَلَحَّتْ . فقالوا : خَلَأَتْ النَصّواء خَلَأَتْ القصواء : فقال النبى صلى الله عليه وسلم

= المسلمين بين مائة وتسعة عشر ومائة وثلاثة عشر مع أن المسلمين كانوا ألفا وبضع مئات ورواية الحديث فى البخارى : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فى بضع عشرة مائة. وفى رواية أخرى كانوا ألفا وأربعمائة، البخارى غزوة الحديبية . «باب الشروط والمصالحة» .

(١) وهى : غبرته (ز) .

(٢) حل حل : اسم صوت لزجر الناقة وحثها على السير، ساكنة اللام أو منونة . وألحت : أى تمادت فى عدم القيام . وخلأت الناقة : أى حرنت فالخلاء للنوق كالحران للخيل والقصواء اسم ناقة النبى صلى الله عليه وسلم .

« ما خَلَأَتْ وما ذاكَ لها بخُلق ، لكن حَبَسها حابسُ الفيلِ » ، ثم قال : « والذى نفسى بيده ، لا يسألونى خُطَّةً يُعَظِّمُون فيها حُرُماتِ الله إلا أعطيتهم إياها » . ثم زَجَرها فوَثَبَتْ به ، قال : فعَدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمَد[١] قليل الماء ، يَتَبَرَّضُه الناسُ تَبَرُّضاً فلم يُلَبِّثْه الناس حتى نزحوه فشُكِى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرِّىِّ حتى صدروا عنه ، فبينما هم على ذلك إذ جاء بُديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة[٢] فقال : إنى تركت كعب بن لؤى ، وعامر بن لؤى نزلوا أعْدَادَ[٣] مياه الحديبية معهم العُوذ المطافيل[٤] وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إنا لم نجىء لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نَهِكَتهم الحربُ وأضرت بهم ، فإن شاءوا ماددتهم[٥] مدة ويخلوا بينى وبين الناس فإن أظهر ، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جَمُّوا[٦] ، وإن هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى[٧] ، ولَيُنفِذَنَّ

---

(١) الثمد : حفيرة فيها ماء قليل ، والتبرض : الأخذ قليلا قليلا ، لم يلبثه : لم يتركوه يلبث ويقيم ، ويجيش : يفور.

(٢) وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة كما فى صحيح البخارى (ز) .

(٣) الأعداد : جمع عد بالكسر وهو الماء الذى لا ينقطع (ز) .

(٤) العوذ بالضم : النوق ذوات الألبان ، والمطافيل ذوات الأطفال يعنى خرجوا بها ليتزودوا بألبانها ، أوكنى بذلك عن النساء معهن الأطفال .

(٥) جعلت بينى وبينهم مدة يترك الحرب بيننا وبينهم فيها .

(٦) جموا : استراحوا .

(٧) سالفتى : السالفة صفحة العنق وكنى بذلك عن القتل لأن القتيل تنفرد مقدمة عنقه .

الله أمره ، فقال بديل : سأبلغهم ما تقول ، وانطلق حتى أتى قريشاً فقال : إنا قد جئنا كم من عند هذا الرجل وسمعته يقول قولاً ، فإن شئتم أن نَعرِضَهُ عليكم فَعلْنا ؟ فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا فى أن تُحدِّثنا عنه بشىء ، وقال ذووا الرأى منهم : هات ما سمعته يقول ، فقال : سمعته يقول كذا ، وكذا ، فحدَّثهم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم . فقال عروة بن مسعود الثقفى : ألستم بالوالد ؟ قالوا : بلى ، قال : أولست بالولد ؟ قالوا : بلى ، قال : فهل تتهمونى ؟ قالوا : لا ، قال : ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بَلَّحوا[1] علىّ جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا : بلى ، قال : فإنه عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آته ، قالوا : ائته ، فأتاه فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال[له] النبى صلى الله عليه وسلم نحو قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك : أى محمد ، أرأيت إن استأصلت قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى ، فوالله إنى لأرى وجوهاً وأرى أشوابا[2] من الناس خلقاء أن يفروا عنك ويدعوك ، فقال أبو بكْر رضى الله عنه : امصص بظر اللات والعزى[3] ، أنحن نفر عنه وندعه ؟ فقال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكْر ، فقال : أما والذى نفسى بيده ، لولا يد كانت لك عندى لم أجزك بها لأجبتك ، قال : وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه مد يده إلى لحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة

---

(١) بلحوا : أى امتنعوا .

(٢) الأشواب الأخلاط من أنواع شتى ، والأباش الأخلاط من السفلة .

(٣) البظر : ما تبقى بعد الختان فى فرج المرأة . وكانت عادة العرب في الشتم يقولون امصص بظر أمك ، وحمل أبا بكر على ذلك ما أغضبه من نسبة الفرار للمسلمين .

بيده إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال : أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال : من هذا ؟ قالوا : المغيرة بن شعبة ، فقال : أى غُدَرُ ، ألست أسعى فى غَدْرتك(١) ؟ — وكان المغيرة رحمه الله صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم أسلم — فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أما الإسلام فَأَقْبَلُ ، وأما المال فلستُ منهُ فى شىء »(٢) ، ثم إن عروة جعل يرمق صحابة النبى صلى الله عليه وسلم بعينه قال : فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيماً له ، فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أىْ قومى ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على كسرى ، وقيصر ، والنجاشى ، والله إنْ رأيتُ ملكاً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً صلى الله عليه وسلم ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوءه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ فاقبلوها ، قال : ثم قال رجل من بنى كنانة : دعونى آته ، فلما أشرف على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رحمة الله عليهم ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنه من قوم يعظمون البدن فابعثوها له » فبعثت له واستقبله الناس يلبون ، فلما رأى

---

(١) أى ألست أمضى فى دفع غدرتك .

(٢) أى : أما الإسلام فأقبله ، وأما المال فلا أتعرض له لكونه أخذه غدرا ، ويؤخذ منه أنه لا يحل أخذ أموال الكفار فى حال الأمن والموادعة غدرا .

ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهم أن يُصدُّوا عن البيت ، فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البُدْن قد قُلِّدت وأُشْعرت ، فما أرى أَنْ يُصدوا عن البيت .

فقال رجل منهم يقال له مِكْرَز بن حفص : دعونى آته ، قالوا : ائته ، فلما أشرف عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم : هذا مِكْرَز بن حفص وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو فقال : هات اكتب بيننا وبينكم كتابا ، فدعا الكاتب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : أما الرحمنُ فوالله ما أدرى ما هو ، ولكن اكتب : باسمك اللهم كما كنت تكتب ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : باسمك اللهم ، ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال سهيل : والله ، لو كنا نعلم أنك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « والله إنى لرسول الله وإن كذبتمونى ، اكتب : محمد بن عبد الله » ، قال الزهرى : — وذلك لقوله « والله لا يسألونى خطة يعظمون فيها حُرُمات الله إلا أعطيتهم إياها » — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على أن تخلوا بيننا وبين البيت نطوف به » فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أُخذنا ضُغْطَةً[1] ، ولكن لك من العام المقبل ، فكتب ، فقال سهيل : وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، فقال المسلمون : سبحان الله ، كيف نرده إلى المشركين وقد جاء مسلماً ؟ !

---

(١) ضغطة : قهرا .

فبينما هو كذلك إذ جاء أبو جَنْدل بن سهيل بن عمرو يَرْسُف[1] فى قيوده ، قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : يا محمد هذا أول ما أُقاضيك عليه ، ترده إلىَّ ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنا لم نمض الكتاب بعد » . قال : فوالله إذاً لا أصالحك على شىء أبداً . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « فأجزه لى » ، قال : ما أنا بمجيزه لك . قال : « بلى فافعل » ، قال : ما أنا بفاعل . فقال مكرز : بلى قد أجزناه لك ، فقال أبو جندل : أى معشر المسلمين أُرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ، أما ترون ما قد لقيت فى الله ؟ ؟ ـ وكان قد عذب عذابا شديداً ـ .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ألست نبيًّا حقًّا ؟ فقال : « بلى » ، فقال : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : « بلى » ، قال : فلِمَ نُعْطى الدنيـة فى ديننا إذاً ؟ قال : « إنى رسول الله ولستُ أُعْصِيه وهو ناصرى »؛ قال : أولست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟ قال : « بلى ، أفخدثتك أنك تأتيه العام ؟ » قال : لا ، قال : « فإنك آتيه ومُطَوِّف به » . قال الزهرى : قال عمر ابن الخطاب : فعملت لذلك أعمالا .

قال : فلما فرغ من قضية الكتاب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا فانحروا ، ثم احلقوا . فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات . قال : فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة[2] رضى الله عنها ، فذكر لها ما لقى من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبىَّ الله ! أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم

---

(١) يرسف : يمش مشيا بطيئا بسبب القيد . وكان أبو جندل قد أسلم فحبسه أبوه سهيل ومنعه من الهجرة وعذبه فخرج من السجن وتنكب الطريق وركب الجبال حتى هبط على المسلمين ففرحوا به .

(٢) زوجة النبي صلى الله عليه وسلم .

أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعوَ حالقك فيحلقك . فقام فخرج فلم يكلم أحداً منهم بكلمة حتى فعل ذلك ، نحر بُدْنه ، ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً.[1]

ثم جاء (نسوة مؤمنات)[2] ، فأنزل الله عز وجل : (يا أيُّها الذين آمنوا إذا جاءكُمْ المؤمِنَاتُ مُهَاجِرات فامْتَحِنُوهُنَّ)[3] حتى بلغ (بِعِصَمِ الكوافر) فطلق عمر امرأتين كانتا له فى الشرك ، فتزوج إحداهما معاوية بن أبى سفيان ، والأخرى صفوان بن أُمية .

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فجاءه أبو بصير ، رجل من قريش وهو مسلم ، فأرسلوا فى طلبه رجلين ، فقالا : العهدَ الذى جعلت لنا . فدفعه النبى صلى الله عليه وسلم إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الُحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم تزوَّدوه ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إنى لأرى سيفك يا فلان هذا جيداً ، فاستله الآخر ، فقال : أجَلْ ، والله إنه لجيد ، لقد جرَّبته ثم جرَّبته . فقال أبو بصير : أرنى أنظر إليه فأمْكَنَه منه ، فضربه حتى بَرِدَ[4] ، وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد رأى هذا ذُعْراً ؛ فلما انتهى إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال : قُتلَ والله صاحبى وإنى لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا رسول الله ، قد والله أوفى الله ذمتك ، قد رددتنى إليهم ، ثم أنجانى الله منهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) فى الحديث يقتل بعضهم بعضا غما .

(٢) سورة التحريم : مدنية ٥ ، وظاهر الحديث أنهن جئن فى الحديبية وليس كذلك بل جئن إلى المدينة أثناء المدة .

(٣) سورة الممتحنة : مدنية ١٠ .

(٤) كناية عن الموت .

« ويل أمه إنه مِسْعر[١] حرب لو كان له أحد » ، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر . قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة . قال : فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لمَّا أرسل إليهم فمنعهم فمن أتى منهم فهو آمن . فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فأنزل الله عزَّ وجل : (وهو الذى كَفَّ أيديَهُمْ عنكُمْ وأيديَكُمْ عنهُمْ بِبَطْنِ مَكّة من بعد أنْ أظْفَرَكم عليهم وكانَ اللّهُ بما تَعمَلُون بصيراً * هُمُ الذينَ كفروا وصَدُّوكم عن المَسْجِدِ الحرَامِ والهَدْىَ مَعْكُوفاً أن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ، ولَوْلاَ رجَالٌ مؤمنونَ وَنِسَاءٌ مؤمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أن تَطَؤُهُمْ فتُصِيبَكم منهُمْ مَعَرَّةٌ بغير عِلْمٍ ، ليدخلَ اللّهُ فى رحمته مَنْ يَشَاءُ ، لَوْ تَزَيَّلُوا لعذَّبْنَا الذينَ كفروا منهُمْ عَذَاباً أليماً * إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجاهلية)[٢] . فكانت حميتهم أنهم لم يقولوا إنه نبى ، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينه وبين البيت .

قال أبو الحسين الملطى رحمه الله : إنما سقت هذا الحديث وما أشبهه لتعرف كيف كان بدء هذا الدين ، وتعلم المشقة فيه ، وما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهالِ قومه ، وكيف كانت قلوب المؤمنين من التعزيز والتوقير ، وكيف لم يَلْوِهِمْ عن الحق أحد ، ولم يؤثروا على الله شيئاً ، وبلغ المكروه منهم ما قد تسمع بعضه .

---

(١) المسعر ما سعرت به النار وما تحرك به من حديدة أو خشبة . وكلمة ويل كناية عن الهلاك والعذاب بحسب الأصل للذم ثم كثرت حتى صارت تقال عند التعجب يقولها الإنسان لمن يحب ، ولمن يبغض .

(٢) سورة الفتح : مدنية ٢٤ - ٢٦ .

فأين أنت يا بطالُ من هؤلاء السابقين ، وأين عملك من أعمالهم ، وهل بقى عمل لعامل فى عصرنا هذا بوقت أو لحظة من أوقاتهم وسبقهم ، وإنما نالوا الشرف بسبقهم إلى الإسلام وبذلهم النفوس ، والكلٌّ فى الله حتى أيد الله بهم نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأظهر بهم دينه ، وأعان بهم الحق ، وأظهر بهم الصدق ، فكيف يجسر على الطعن عليهم من عرف الله ساعة فى عمره أم كيف يجترىء على سبهم من يزعم أنه مسلم ، والله سبحانه وتعالى يقول : (لِلْفُقَرَاء المهَاجِرِينَ الذينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِم وأموالهم يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً ، وَيَنْصُرُونَ اللّهَ ورسولَهُ اولئك همُ الصادقونَ * والذينَ تَبَوَّؤا الدَّارَ والإيمَان مِنْ قَبْلِهِم يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إليهِمْ وَلا يجدُونَ فى صُدُورهم حاجَةً مِمَّا أُوتوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أنفسِهِم ولو كان بهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأُولئك هُمُ المُفْلِحُون * والذين جاءوا مِنْ بعدهم يقولون رَبَّنَا اغْفِر لنَا ولإخْوَاننا الذينَ سبقونا بالإيمانِ ، ولا تجعل فى قُلُوبِنَا غِلاًّ للّذين آمنُوا ربنا إنكَ غفور رحيم)(١)

فأين أنت وأين لك وأهل عصرك من هؤلاء ، هيهات أن تدرك بعض شأنهم أو أن تبلغ مُدّ أحدهم أو نصيفه ، فكيف وأنت ترجع فى أمرك كله إلى عقلك الفاسد ، ورأيك الأعرج ، فتقول : قد فعل فلان ، ولم كان ، ومِمَّ كان ، وأنت يا جاهل قد ضارع قولك قول إبليس حين قاس فقال : (خَلَقْتَنِى من نارٍ وخلقتَهُ من طِينٍ)(٢) ، فأنت تعارض كما عارض وليك الشيطان . ثم من أدل الأدلة أنك لو تقطعت واجتهدت لم يصح لك أصل تعتمد عليه إلا أن تكذب وتنقل الكذب لتستريح إليه ولا راحة لكذاب ، والله عز وجلّ يقول : (قُتِلَ الخرَّاصُون)(٣) أى لعن الكذابون ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من كَذبَ علىَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من النار » .

---

(١) سورة الحشر : مدنية ٨ - ١٠ . (٢) سورة الأعراف : مكية ١٢ .
(٣) سورة الذاريات : مكية ١٠ .

وأيضاً فتأويلك القرآن على غير تأويله ، وقولك فيه برأيك الفقير ، ومخالفتك للسلف ، وخروجك من العلم ، ورجوعك إلى الجهل الذى هو أولى بك ، وقولك فى حجتك : روى سديف[١] الصيرفى ، وفلان وفلان كذا وكذا . وأهل العلم فى الآفاق يردون ذلك ويكذبونك من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة . فأنت ضال مضل ، تركت السواد الأعظم ، وتركت الطريق الواضحة والله تعالى يقول : (وإنَّ هذا صِراطى مُسْتَقيماً فاتَّبِعُوه ، ولا تَتَّبِعُوا السُّبُل ، فتَفَرَّق بكم عن سبيله ، ذلكم وَصَّاكم به لعلكم تتقون)[٢] .

فهل عقلت هذا عن الله عز وجل ، أم أنت من الأخسرين الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض . واعلم أن من كفر بآية من الكتاب فقد كفر بجميعه ومن كفر بحديث واحد[٣] فهو كافر بصاحب الشريعة ، ولن ينفعه عمل ولا له مصير إلا إلى النار .

فاللّهَ اللّهَ فى نفسك ، انتبه ودع ما يَريبك لِمَا لا يريبك ، ولا تتبع هواك ، فليس على وجه الأرض شخص يعدل عن السنة والجماعة والألفة ، إلا كان متبعاً لهواه ، ناقصاً عقله ، خارجاً من العلم والتعارف ، فالزم الحق ترشد إن شاء الله .

وأنا أذكر لك فى هذا الجزء الثالث[٤] الفرق الاثنتين والسبعين فرقةً ومن هى بأسمائها ، وما تنتحلُ من كفرها وعدوانها ، وأنها بانتحالها وفعالها فى النار كما قال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذكره الأمم فقال : افترقت اليهود على إحدى وسبعين

---

(١) من غلاة الروافض الكذبة راجع الميزان (ز) ويرجح بعضهم أنه لعل صوابه : « سدير » .

(٢) سورة الأنعام : مكية ١٥٣ .

(٣) ثبت عنه عليه السلام ثبوتاً قطعياً (ز) .

(٤) هكذا فى الأصل وليس معه الأول ولا الثانى (ز) .

فرقة ، فرقة ناجية وسبعون فى النار ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، فرقة ناجيةوإحدى وسبعون فى النار » تذكر ناجية اليهود من أصحاب موسى عليه السلام ، والحواريين من المسلمين من أصحاب عيسى عليه السلام. وقال بعد ذلك : « وتفترق أمتى على ثلاثٍ وسبعين فرقةً واحدة ناجية . واثنتان وسبعون فى النار» فقيل من الناجية يا رسول الله ؟ قال : « ما أنا وأصحابى عليه اليوم » . وقال : « عليكم بالسواد الأعظم » . وأنت أيها المبتدع لا ترضى بذلك ولا تقبل أمره عليه السلام . وقال أيضاً : « لا تجتمع أمتى على ضلالة » وسماهم الصادقين ، وأنت تُكفّر الصحابة كلهم إلا سلمانَ وعماراً ، والمقدادَ[1] ، وأبا ذرٍّ[2] رحمهم الله ، فمن دلك على هذا ؟ وأى علم نطق به ، وأى سبيل إلى هذا غير الهوى ، والكفر المحض ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وأنا أذكر فى هذا الجزء الفِرَق على ما أنبأتك إن شاء الله ، وأختم الكتاب بجزء رابع فيه الحجاجُ على الجميع ، وأختصر فى الحجاج فى هذا الجزء ، وقدمت فى الجزء الأول ، والثانى من الذكر وسقت النسب[3] ، ودللتك على منهج السلامة وجعلت كتابى هذا معقلا للمسلمين إن شاء الله تعالى . فمن نظر فيه ، متفهماً لمعانيه ، محتفظاً لأصوله ، ومحتجاً بفصوله ، وناظَرَ فيه ازداد بصيرةً ، إذ الاجتهاد منى فى ذلك قد انتهى ، وإذ الأصول التى تكلم فيها الأفاضل من المسلمين قد سقتها ، ومنها ما قد أوضحته شرحاً ، ومنها ما قد اكتفيت عن شرحه بما أعدت من ذكره ، فجاء فى موضعه على كماله ، وفى موضع على التلويح به بدليل فيه قائم ، أردت بذلك أن يأخذ بحظ منه من كتبه عن آخره ؛ ومن كتب

---

(١) ابن الاسود . (٢) هو جندب بن جنادة .
(٣) هكذا فى الاصل .

بعضه أن يدرك بعض ما فاته من كماله ، فإلى هذا عزوت ، وإليه أشرت . فلا يقولَنَّ أحد ينظر فى كتابنا هذا : إنه قد كرر فيه ما قد أتى به فى موضع قد كفى ذلك عن تكراره ، فأعلمتك ما قصدت ، ودللتك على ما أردت ، لتزيل ببيانى شيئاً إن خامرك شىء من ذلك ، ولتعلم أنه لم يخف على ذلك . وإنى — لعمرك — أحب الإيجاز فى الأمر كله ، ولكن رأيت من صعوبة الزمان ، تجرد قوم فى بغض أهل السنة وبحثهم عليهم وقصدهم ما ساءهم من قول وفعل ، فجعلت ذلك على ما قدرت عليه بمعونة الله ، والله ممد لأهل السنة بالمعونة الدائمة ، والكفاية الشاملة ، والعز المتصل ، والجلالة فى أعين عباده ، والكلاءة فى الأنفس والأهل والأولاد والأموال وحسن العاقبة فى المعاد ، ومبلغهم ما هو أهله من لطائفه وإحسانه ، فهم فى عصرنا هذا هم الأطواد الشامخة ، والبدور الزاهرة ، والسادة الذين شملهم الله بعونه وستره ، فوجوههم بالعون زاهرة ، وألسنتهم بالصدق ناطقة ، (إنَّ الله معَ الذينَ اتقَوْا والّذينَ هُمْ مُحْسِنُون[1]) .

باب ما شرح من بيان السنة :

قال أبو الحسين رحمه الله : والذى ثبت عن محمد بن عكاشة[2] أن أصول السنة[3] مما اجتمع عليه الفقهاء ، والعلماء ، منهم : على بن عاصم ، وسفيان بن عيينة ،

---

(١) سورة النحل : مكية ١٢٨ .

(٢) يرمى بالكذب ووضع الحديث راجع ترجمته فى الميزان واللسان ، والمصنف على صلاحه وخبرته فى القراءات قليل البضاعة فى معرفة الرجال سريع الانخداع بالروايات على قلة إلمام منه بالنظر (ز) .

(٣) وفى اللسان سرد حال « أصول السنة » التى تروى بطريق محمد بن عكاشة ، والمصنف عول على روايته وليس هؤلاء الرجال على منزلة واحدة فى الثقة والائتمان (ز) .

ومحمد بن يوسف الفريابى ، وشعيب ، ومحمد بن عمر الواقدى ، وشابة بن سوّار ، والفضل بن دُكين الكوفى ، وعبد العزيز بن أبان الكوفى ، وعبد الله بن داود ، ويعلى بن قبيصة ، وسعيد بن عثمان ، وأزهر ، وأبو عبد الرحمن المقرى ، وزهير ابن نعيم ، والنضر بن شميل ، وأحمد بن خالد الدمشقى ، والوليد بن مسلم القرشى ، والروّاد بن الجراح العسقلانى ، ويحيى بن يحيى ، وإسحاق بن راهويه ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدى ، وأبو معاوية الضرير ، كلهم يقولون : رأينا[1] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون :

الرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمر الله ، والصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله ، والنهى عما نهى الله عنه ، والإخلاص بالعمل لله ، والإيمان بالقدر خيره وشره من الله ، وترك المراء والجدال والخصومات فى الدين ، والمسح على الخفين ، والجهاد مع أهل القبلة ، والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة ، والإيمان يزيد وينقص قول وعمل ، والقرآن كلام الله ، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منهم من عدل أو جور ، ولا يخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا ، ولا ينزل أحد من أهل التوحيد جنة ولا ناراً ، ولا يكفر أحد من أهل التوحيد بذنب وإن عملوا الكبائر ، والكف عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وأفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على رضى الله عنهم أجمعين .

باب فيمن أراد أن يرى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه :

قال محمد بن عكاشة رحمه الله : أخبرنى معاوية بن حماد الكرمانى ، عن

---

(١) كيف يصح هذا وليس بين هؤلاء تابعى واحد ، وإن كان معظم تلك الأصول مقبولا (ز) .

الزهرى . قال : من اغتسل ليلة الجمعة وصلى ركعتين يقرأ فيهما : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)[١] ألف مرة رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه[٢] قال محمد بن عكاشة قدمت عليه كل ليلة جمعة أصلى الركعتين أقرأ فيهما (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ألف مرة طمعاً أن أرى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامى فأعرض عليه هذه الأصول فأتت على ليلة باردة فاغتسلت وصليت ركعتين ، ثم أخذت مضجعى فأصابنى حلم ، فقمت ثانية فاغتسلت وصليت ركعتين وفرغت منهما قريباً من الفجر فاستندت إلى الحائط ووجهى إلى القبلة إذ دخل علىّ النبى صلى الله عليه وسلم ووجهه كالقمر ليلة البدر ، وعنقه كإبريق فضة فيه قضبان الذهب على النعت والصفة ، وعليه بردتان من هذه البرود اليمانية قد اتزر بواحدة ، وارتدى بأخرى ، فجاء واستوفز على رجله اليمنى وأقام اليسرى ، فأردت أن أقول : حياك الله . فبادرنى وقال : حياك الله . وكنت أحب أن أرى رباعيته المكسورة فتبسم فنظرت إلى رباعيته فقلت يا رسول الله : إن الفقهاء ، والعلماء قد اختلفوا علىّ ، وعندى أصول من السنة أعرضها عليك . فقال : نعم . فقلت :

الرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمر الله ، والصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله ، والنهى عما نهى الله عنه ، والإخلاص بالعمل لله ؛ والإيمان بالقدر خيره وشره من الله ، وترك المراء والجدال ، والخصومات فى الدين ، والمسح على الخفين ، والجهاد مع أهل القبلة ، والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة ، والإيمان يزيد وينقص قول ، وعمل ، والقرآن كلام الله ، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان فيه من

---

(١) سورة الإخلاص : مكية ١ .

(٢) وهذا خبر ساقط بالمرة ولم ينتبه إليه المصنف راجع اللسان (٥ - ٢٨٦) وماوضعه محمد بن عكاشة هذا من الاخبار يبلغ الآلاف عند أهل العلم ، ومثله لايكون إلا مكذبا فى رواياته عن أناس حتى فيما وافق معتقد الجماعة ، وحكاية الكذاب بعض مايصدق عند الجمهور لاتكون إلا لمجرد التغطية على أكاذيبه لتروج عندهم (ز) .

جور وعدل ، ولا يخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا ، ولا ينزل أحد من أهل التوحيد جنة ولا ناراً ، ولا يكفر أحد من أهل التوحيد بذنب وإن عملوا الكبائر ، والكف عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم - فلما أتيت : والكف عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بكى حتى علا صوته - وأفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على . قال محمد بن عكاشة : فقلت فى نفسى فى على : ابن عمه وختنه ، فتبسم عليه السلام كأنه قد علم ما فى نفسى . قال محمد : فدمت ثلاث ليال متواليات أعرض عليه هذه الأصول كل ذلك أقف عند عثمان ، وعلى . فيقول لى عليه السلام : ثم عثمان ، ثم على ، ثم عثمان ثم على ثلاث مرات . قال : وكنت أعرض عليه هذه الأصول وعيناه تهملان بالدموع . قال : فوجدت حلاوة فى قلبى وفمى فمكثت ثمانية أيام لا آكل طعاماً ، ولا أشرب شراباً حتى ضعفت عن صلاة الفريضة فلما أكلت ذهبت تلك الحلاوة واللذة ، والله شاهد علىّ ، وكفى بالله شهيداً[١] .

وقال أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله لأحمد بن حنبل رضى الله عنه : يا أحمد ! إنى أريد أن أجعلك بينى وبين الله حجة ، فأظهرنى على السنة والجماعة ، وما كتبته عن أصحابك عما كتبوه عن التابعين ، مما كتبوه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحدثه بهذا الحديث[٢] .

---

(١) والحكاية على طولها كذب وقد اختصرها المؤلف بعض اختصار قال أبو زرعة : محمد بن عكاشة الكرمانى رأيته وكتبت عنه وكان كذابا وكتبت الرؤيا التى كان يحكيها فزعم أنه عرض على شبابة الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص وأنه عرض على أبى نعيم على ثم عثمان وهو كذوب ولا يحسن أن يكذب يعنى أن شبابة لا يقول بذلك وكذا أبو نعيم راجع اللسان (ز) .

(٢) والإمام أحمد برىء من أن يصدق مثل هذا الكذاب المكشوف الأمر وهذه الحكاية لا زمام لها ولا خطام (ز) .

باب ذكر الرافضة وأصناف اعتقادهم :

قال أبو الحسين الملطى رحمه الله : إن أهل الضلال الرافضة ثمانى عشرة فرقة يتلقبون بالإمامية[١] وأنا أذكرها إن شاء الله على رتبها :

فأولهم : الفرقة الغالية من السبئية وغيرهم ، وهم أصحاب عبد الله بن سبأ . قالوا لعلى عليه السلام : أنت أنت . قال : ومن أنا ؟ قالوا : الخالق البارىء . فاستتابهم فلم يرجعوا فأوقد لهم ناراً ضخمة وأحرقهم وقال مرتجزاً :

لمَّا رأيتَ الأمرَ أمراً منكرا أجَّجْتُ نارى ودعوت قنبرا

فى أبيات له عليه السلام . وقد بقى منهم إلى اليوم طوائف يقولون ذلك ، ويتلون من القرآن : (إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنه فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فاتَّبِعْ قُرْآنه)[٢] ، وهم يقولون : إن علياً ما مات ، ولا يجوز عليه الموت ، وهو حى لايموت . ويقال لما جاءهم نعى علىٍّ إلى الكوفة رحمة الله عليه . قالوا : لو أتيتمونا بدماغه فى سبعين قارورة لم نصدق بموته . فبلغ ذلك الحسن بن على رضى الله عنهما فقال : فلم ورثنا ماله ، وتزوج نساؤه ؟ ؟

والفرقة الثانية من السبئية يقولون : إن علياً لم يمت ، وإنه فى السحاب ، وإذا نشأت سحابة بيضاء صافية منيرة ، مُبْرِقة ، مُرعِدة قاموا إليها يبتهلون ، ويتضرعون ويقولون : قد مرَّ على بنا فى السحاب .

والفرقة الثالثة من السبئية هم الذين يقولون : إن علياً قد مات ، ولكن

---

(١) والمعروف أن الإمامية هم الاثنا عشرية وجعلها المؤلف تشتمل صنوف الروافض الذين لهم رأى مافى الإمامة ولا مشاحة فى الاصطلاح إلاأن الرفض لايشمل معظم الزيدية (ز) .

(٢) سورة القيامة : مكية ١٨ .

يبعث قبل القيامة ، ويبعث معه أهل القبور حتى يقاتل الدجال ، ويقيم العدل والقسط فى العباد والبلاد ، وهؤلاء لا يقولون إن علياً هو الله ولكن يقولون بالرجعة .

والفرقة الرابعة من السبئية يقولون بإمامة محمد بن على ، ويقولون : هو فى جبال رضوى[١] حى لم يمت ويحرسه على باب الغار الذى هو فيه تِنّينٌ وأسد ، وإنه صاحب الزمان يخرج ويقتل الدجال ويهدى الناس من الضلالة ويصلح الأرض بعد فسادها .

وهؤلاء الفرق كلهم يقولون بالبداء إن الله تبدو له البداوات وكلاماً لا أستجيز شرحه فى كتاب ولا أقدم النطق به ، وهؤلاء كلهم أحزاب الكفر ، وفرق الجهل ، فمتى لم يُقرُّوا بموت محمد وعلى عليهما السلام ، فالضرورة إلى المكابرة ، وأينما كانوا لا حجة لهم ، وأما قولهم إن علياً هو الإله القديم فقد ضاهوا بذلك قول النصارى ، وقد تقدم بالرد على النسطورية من النصارى أن ذا جسم وكيفية لا يكون إلهاً ، فكذلك قولهم فى الرجعة أكذبهم فيه قول الله تبارك وتعالى : (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[٢] ، يخبر أن أهل القبور لا يبعثون إلى يوم النشور ، فمن خالف لحكم القرآن فقد كفر .

وقولهم : على فى السحاب فإنما ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى أقْبلَ وهو مُعْتَمٌّ بعمامة للنبى صلى الله عليه وسلم كانت تدعى السَّحابَ ، فقال صلى الله عليه وسلم : « قد أقبل على فى السحاب » يعنى فى تلك العمامة التى تسمى السحابَ

---

(١) جبال فى الحجاز شمال ينبع مطلة على البحر الأحمر ، والتنين : ثعبان عظيم .

(٢) سورة المؤمنون : مكية ١٠٠ .

فتأولوه[١] هؤلاء على غير تأويله .

الفرقة الخامسة : هم القرامطة ، والديلم ، وهم يقولون : إن اللهَ نورٌ علوى لا تشبهه الأنوار ولا يمازجه الظلام ، وإنه تولد من النور العلوى النور الشعشانى فـكان منه الأنبياء والأئمة فهم بخلاف طبائع الناس ، وهم يعلمون الغيب ويقدرون على كل شيء ، ولا يعجزهم شيء ، وَيقْهرُون ولا يُقْهَرون ، وُيعَلِّمُون ولا يُعلمون ، ولهم علامات معجزات ، وأمارات ، ومقدمات قبل مجيئهم وظهورهم وبعد ظهورهم يعرفون بها ، وهم مباينون لسائر الناس فى صورهم وأطباعهم وأخلاقهم ، وأعمالهم ، وزعموا أنه تولد من النور الشعشعانى نور ظلامى وهو النور الذى تراه فى الشمس ، والقمر ، والـكواكب ، والنار ، والجواهر ، الذى يخالطه الظلام ، وتجوز عليه الآفات والنقصان ، وتحل عليه الآلام والأوصاب ، ويجوز عليه السهو والغفلات ، والنسيان ، والسيئات ، والشهوات ، والمنـكرات ، غير أن الخلق كله تولد من القديم البارىء ، وهو النور العلوى الذى لم يزل ، ولا يزال ، ولا يزول ، سبق الحوادث ، وأبدع الخلق من غير شيء كان قبله ، قَدَرُه نافذ ، وعلمه سابق ، وإنه حى لا بحياة ، وقادر لا بقدرة ، وسميع بصير لا يسمع ولا يبصر ، ومدبر لا بجوارح ولا آلة ، فيصفون الإله جل وعز كما يصفه الموحدون مع قولهم : إنه نور لا يشبه الأنوار ، ثم يزعمون أن الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج وسائر الفرائض نافلة لا فرض ، وإنما هو شـكر للمنعم ، وأن الرب لا يحتاج إلى عبادة خلقه ، وإنما ذلك شـكرهم فمن شاء فعل ، ومن شاء لم يفعل ، والاختيار فى ذلك إليهم ، وزعموا أنه لا جنة ولا نار ، ولا بعث ولا نشور ، وأن من مات بلى جسده ، ولحق روحه بالنور الذى تولد منه حتى يرجع كما كان .

---

(١) هكذا فى الأصل والقياس فتأوله .

وقوم منهم يقولون بتناسخ الروح ونذكره إذا أتينا عليهم ، وزعموا أن كل ما ذكر الله عز وجل فى كتابه من جنة ، ونار ، وحساب ، وميزان ، وعذاب ، ونعيم ، فإنما هو فى الحياة الدنيا فقط من الأبدان الصحيحة ، والألوان الحسنة ، والطعوم اللذيذة ، والروائح الطيبة ، والأشياء المبهجة التى تنعم فيها النفوس .

والعذاب : هو الأمراض ، والفقر ، والآلام ، والأوصاب وما تتأذى به النفوس وهذا عندهم الثواب والعقاب على الأعمال ، وهم يقولون بالناسوت فى اللاهوت على قول النصارى سواء ، يزعمون أن الإنسان هو الروح فقط ، وأن البدن هو مثل الثوب الذى هو لابسه فقط ، ويزعمون أن كل ما يخرج من جوف واحد منهم من مخاط ، ونخاع ، ورجيع ، وبول ، ونطفة ، ومذى ، ودم ، وقيح ، وصديد ، وعرق ، فهو طاهر نظيف حتى رُبَّما أخذ بعضهم من رجيع بعض فأكله لعلمه أنه طاهر نظيف (١) .

وزعموا أن من قال بهذا القول ، واعتقد هذا المذهب فهو مؤمن ، ونساؤهم مؤمنات محقنو الدماء ، محقنو الأموال ومن خالفهم فى قولهم ، واعتقادهم فهو كافر مشرك حلال الدم والمال والسبى ويسمى بعضهم بعضاً المؤمنين ، والمؤمنات ، وزعموا أن نساء بعضهم حلال لبعض ، وكذلك أولادهم ، وأبدانهم مباحة من بعضهم لبعض لا تحظير بينهم ولا منع ، فهذا عندهم محض الإيمان حتى لو طلب رجل منهم من امرأة نفسها ، أو من رجل ، أو من غلام فامتنع عليه فهو كافر عندهم ، خارج من شريعتهم ، وإذا أمكن من نفسه فهو مُؤمن مُواس

---

(١) وفى الهامش : قلت أنا أصدق المصنف رضى الله عنه كان المسمى منيراً الصوفى قبحه الله قدم إلينا فى سنة خمس وأربعين وخمسائة وذكر أنه هوأ كل رجيع شيخ كان له وخطب ذلك من بعض أصحابى وقال له : أكلت غائط الشيخ يعنينى وذكر ذلك عن نفسه وهو شيخ متدين له أصحاب وهو مشهور قبحه الله ا هـ .

فاضل ، والمفعول به من الرجال والنساء أفضل عندهم من الفاعل حتى يقوم الواحد منهم من فوق المرأة التى لها زوج وليست بمحرم فيقول لها : طوباك يا مؤمنة ، وهكذا يقولون للرجل والغلام إذا أمكن من نفسه ، وكذلك أموالهم ، وأملاكهم لا يحظرونها من بعض على بعض مباحة بينهم ، وهم فى الحرب لا يدبرون حتى يقتلوا ، ويقولون : حياة بعد القتل والموت إنا نخلص أرواحنا من قذر الأبدان وشهواتها ونلحق بالنور ، وهم يرون قتل من خالفهم لا يتحاشون من قتل الناس وليس عندهم فى ذلك شىء يكرهونه .

فأما شرب الخمور ، والمنكر ، والملاهى ، وسائر ما يفعله العصاة فهو عندهم شهوات إن شاء فعلها وإن شاء تركها ، ولا يرون فيها وعيداً ، ولا فى تركها ثواباً ، وهؤلاء قوم سبيلهم سبيل المانية سواء ، والرد عليهم فى النور كالرد على المانية ، وهم ظاهرو الجهل والعماء .

والفرقة السادسة : هم أصحاب التناسخ ، وهم فرقة من هؤلاء الحلولية يقولون : إن الله عز وجل نور على الأبدان والأماكن ، زعموا أن أرواحهم متولدة من الله القديم وأن البدن لباس لا روح فيه ولا ألم عليه ولا لذة له ، وأن الإنسان إذا فعل الخير ومات صار روحه إلى حيوان ناعم مثل فرس ، وطير ، وثور مُوْدَع يتنعم فيه ثم يرجع إلى بدن الإنسان بعد مدة ، وإذا كان نفساً خبيثة شريرة ومات صار روحه فى بدن حمار دَبِرٍ[1] ، أو كلب جرب يعذب فيه بمقدار أيام عصيانه ، ثم يرد إلى بدن الإنسان ،لم تزل الدنيا هكذا ، ولا تزال تكون هكذا .

وهذا مذهب الخرمية سواء ، وسنذكر الحجة على الجميع فى موضعها إن شاء الله .

وأما الفرقة السابعة من الحلولية فهم الذين يقولون : إن الله تبارك وتعالى بعث

---

(١) الحمار الدبر : الذى فى ظهره جرح .

جبريل إلى على فغلط جبريل وصار إلى محمد عليه السلام فاستحيا الرب وترك النبوة فى محمد صلى الله عليه وسلم ، وجعل علياً وزيره والخليفة بعده .

والفرقة الثامنة من الحلولية زعموا أن علياً ومحمداً عليهما السلام شريكان فى النبوة وأن الرسالة إليهما ، وأن طاعتهما ومعصيتهما واحد لا فرق بينهما ، وأن علياً نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، واحتجوا بقول النبى عليه السلام : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى » ، وهؤلاء جهال وقد خالفوا الأمة ، والكتاب ، والسنة ، والعقل ، والحجة عليهم آخر كتابنا هذا فى باب الحجاج .

والفرقة التاسعة : هم المختارية الذين يقولون بنبوة المختار بن أبى عبيد وينحون نحو التناسخية من الحلولية .

والفرقة العاشرة : هم السمعانية الذين يقولون بنبوة ابن سمعان(١) وينحون نحو التناسخ أيضاً ، وقد ذكرت مذاهبهم أولا وآخراً لتعرفوا ذلك وتحذروا إن شاء الله .

الفرقة الحادية عشرة : هم الجارودية ، وهم بين الغالية والتناسخية ، لا يفصحون بالغلو ، ويقولون : إن الله عز وجل نور ، وأرواح الأئمة والأنبياء منه متولدة ، وينحون نحو التناسخ ولا يقولون بانتقال الروح من جسد إنسان إلى جسد غير إنسان ، بل يقولون بانتقال الروح من جسد إنسان ردىء إلى جسد إنسان مؤلم ممرض فتعذب فيه مدة بما عمل من الشر والفساد ثم تنقل إلى جسد إنسان متنعم فتتنعم فيه طول ما بقيت فى الجسد الأول .

وزعموا أن هذا يسمى الكور فيكون معذباً أو مقيداً فى جسدهم أو ممرض أو مسقم ، أو يكون منعما فى جسد شاب حسن متلذذ ، واحتجوا فى ذلك بقول الله : (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ)(٢) ،

---

(١) هو : بيان ابن سمعان .

(٢) سورة ق : مكية ١٥ .

وهؤلاء قد غلطوا فى تأويل هذه الآية . وإنما تأويلها : أن قريشاً ومشركى العرب كانوا يشكون فى النشأة الآخرة ويوقنون بالنشأة الأولى ، ولا يجيزون قدرة الله عز وجل على إحياء الموتى . فقال الله عز وجل يحتج عليهم بالنشأة الأولى قوله : (أَفَعَيِينَا) أى عجزنا (بالخلْقِ الأول) يعنى أن ابتدعته من غير شىء وهم لا يشكون فيه (بَلْ هم فى لَبْسٍ) أى شك (مِنْ خلْقٍ جَدِيد) أى ابتداعُ الشىء أقرب فى الوهم من إعادته ، وهؤلاء تأولوه على الأكوار .

واعلم أن هؤلاء الفرق من الإمامية الذين ذكرناهم ونذكرهم أيضاً كفار غالية، قد خرجوا من التوحيد والإسلام ، وسأذكر الحجة عليهم فى الحجاج على أصناف الملحدين .

الفرقة الثانية عشرة من الإمامية : هم أصحاب هشام بن الحكم يعرفون بالهشامية وهم الرافضة الذين رُوى فيهم الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يرفضون الدين ، وهم مشتهرون بحب على رضى الله عنه فيما يزعمون ، وكذب أعداء الله وأعداء رسوله وأصحابه ، وإنما يحب علياً من يحب غيره ، وهم أيضاً ملحدون ، لأن هشاماً كان ملحداً دهريا ثم انتقل إلى الثنوية والمانية ، ثم غلبه الإسلام فدخل فى الإسلام كارهاً ، فكان قوله فى الإسلام بالتشبيه والرفض . وسأذكر الرد على المشبهة إن شاء الله .

وأما قوله بالإمامة فلم نعلم أن أحداً نسب إلى على رضى الله عنه وولده عيباً مثل هشام لعنه الله ، والله نحمده قد نزع عن على وولده عليهم السلام العيوب والأرجاس وطهرهم تطهيراً .

وما قصد هشام بقوله فى الإمامة قصد التشيع ولا محبة أهل البيت ، ولكن طلب بذلك هدّ أركان الإسلام ، والتوحيد ، والنبوة ، فأراد هدمه ، وانتحل فى

التوحيد التشبيه ، فهدم ركن التوحيد ، وساوى بين الخالق والمخلوق ، ثم انتحل محبة أهل البيت ونشر عنهم وطعن على الكتاب والسنة ، وكفر الأمة التى هى حجة الله على خلقه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفرهم ونسب إليهم الرِّدَّة والنفاق ، فعمل على هدم الإسلام العمل الذى لم يقدم عليه أحد من أعداء الإسلام فالله يحكم فيه يوم القيامة بسوء كيده.

فزعم هشام لعنه الله أن النبى عليه الصلاة والسلام نص على إمامة على فى حياته بقوله : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وبقوله لعلى : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبى بعدى » ، وبقوله : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » ، وبقوله لعلى : « تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » ، وأنه وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته فى ذريته وهو خليفة الله فى أمته ، وأنه أفضل الأمة وأعلمهم ، وأنه لا يجوز عليه السهو ولا الغفلة ، ولا الجهل ، ولا العجز وأنه معصوم وأن الله عز وجل نصبه للخلق إماما لكى لا يهملهم ، وأن المنصوص على إمامته كالمنصوص على القبلة وسائر الفرائض ، وأن الأمة بأسرها من الطبقة الأولى بايعوا أبا بكر الصديق رضى الله عنه فكفروا وارتدوا ، وزاغوا عن الدين وأن القرآن نسخ وصعد به إلى السماء لردتهم ، وأن السنة لا تثبت بنقلهم إذ هم كفار ، وأن القرآن الذى فى أيدى الناس قد انتقل ووضع أيام عثمان ، وأحرق المصاحف التى كانت قبل . وأن الأمة قد داهنت ، وغيرت ، وبدلت ، ونافقت ، لأحقاد كانت لعلى فيهم من قتله آباءهم وعشيرتهم مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزواته . وأن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير وعائشة رضى الله عنهم أجمعين عندهم من شر الأمة وأكفرها يلعنونهم ويتبرؤن منهم ، وأنه ما بقى مع على - عَلَى الإسلام إلا أربعة : سلمان ، وعمار . وأبو ذر ، والمقداد بن الأسود ، وأن أبا بكر مر بفاطمة عليهما السلام فرفس فى بطنها فأسقطت

وكان سبب علتها وموتها ، وأنه غصبها فدك ، فذكر أشياء كثيرة مما كاد بها الإسلام من المخاريق ، والأباطيل والزور ، التى لا تجوز عند العلماء ، ولا تخفى إلا على أهل العمى والغباء .

وأنه ليس لله حجة على خلقه فى الدين والشريعة فى كتاب ولاسنة ، ولاإجماع إلا من قبل الإمام الذى اختصه الله لدينه على كتمان ، وتقية ، وإخفاء لا يتكلم لله بحق ، ولا يقوم لله بحجة ، مخافة على نفسه أن تقتل ، وخشية على الإسلام أن يهتك .

فأباح بهذا القول المحارم ، وأطلق كل محذور ، إذ لاحجةلأحد - بزعمه - فى حلال ، ولا حرام، مع أشياء كثيرة يطول ذكرها من نحو هذا الكلام الذى فيه هدم الدين .

يقال لهم : أخبرونا عن قول الله تعالى وتبارك (اليومَ أكملتُ لكم دينكم)[1] هل أكمل الله دينه فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعده ؟ أو اليوم الذى أنزل هذه الآية فيه ؟

فإن قالوا : « لا ، ما أكمل الله دينه قط » ظهر جهلهم وكفرهم . وإن قالوا : « بل أكمل الله لهم الدين ، وأتم عليهم النعمة فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام ، فلما مات النبى عليه الصلاة والسلام غيروا ، وبدلوا ، وخذلهم الله ، ونسخ القرآن منهم ، وسلبهم الدين » .

يقال لهم : هذا دعوى منكم بلا حجة ما غير ولا بدل من الدين ، والكتاب ، والسنة شيء ، بل هو على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته ،

---

(١) سورة المائدة : مدنية ٣ .

المنصوصات كالقبلة ، والصوم ، والصلاة ، وغير ذلك من منصوصات الدين ، فمن أين قلت : إنه غير وبدل بعد تمامه وكماله ؟ فإن حاول حجة على دعواه لم يجد .

ويقال لهم : قال الله عز وجلَّ (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ والذينَ اتَّبَعُوهُمْ بإِحْسَانٍ رضىَ اللهُ عَنهُمْ وَرَضُوا عنهُ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جنَّات تَجْرِى مِنْ تحتِهَا الأَنهَارُ خَالدين فِيهَا أبداً ذلك الفَوْزُ العَظِيم)[1] .

فمن أين قلتم أنتم : إنهم غيروا وبدلوا ، وكفروا ، والله يمدحهم بهذا المديح ويصفهم بوصف الإيمان ؟؟ وقال عز وجلَّ : (يَا أَيُّهَا الذينَ آمنوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُون فى سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُون لَوْمَةَ لائم)[2] ، فكان أبو بكر الصديق والذين معه قاتلوا أهل الردة حتى رجعوا إلى الدين بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال الله عزَّ وجلَّ : (وَعَدَ اللهُ الذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فى الأرضِ كما اسْتَخْلَفَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لهمْ دِينَهُمُ الذى ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى وَلَا يُشْرِكُون بى شيئاً)[3] .

فمكن بحمده بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفاءه وأمته فى أرضه يعبدونه لا يشركون به شيئاً .

وقال عز وجلَّ : (هُوَ الذى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَدِينِ الحقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ولوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون)[4] .

---

(١) سورة التوبة : مدنية ١٠٠ .

(٢) سورة المائدة : مدنية ٥٤ .

(٣) سورة النور : مدنية ٥٥ .

(٤) سورة التوبة : مدنية ٣٣ .

فكيف قلتم : إن الأمة كفرت بعد رسولها ، وارتدت وغيرت وبدلت ، والله أظهر بهم حجته على الأديان كلها ؟ ؟ فما من دين إلى يوم القيامة إلا والإسلام ظاهر عليه ، وقد ظهر عليه ، وأكد حجته عليه كما قال عز وجل .

فيقال لهم : هذا محكم القرآن لا متشابه فيه ، فكيف تقولون أنتم فيه ؟ ؟ فإن قالوا : « هو صدق وهو قرآن » تركوا قولهم الخبيث ورجعوا إلى الحق . وإن قالوا « ليس هذا بقرآن بل هو شيء وضعوه وافتعلوه » فإنهم قوم يطعنون على القرآن وحينئذ لا يكلمون إلا فى القرآن ، ولا يكلمون فى الإمامة ، لأن الإمامة فرع ، والقرآن أصل ، فمن طعن فى الأصل لا يكلم فى الفرع .

يقال لهم : أخبرونا عن القرآن الذى هو اليوم بين الدفتين ، وفى صدور الأمة ، ويتلونهُ فى صلواتهم ، وأيامهم ، وأوقاتهم ، يحفظون حُروفَهَ وَحُدوده ، ومتشابهه ومحكمه ، وتأويله وتنزيله ، ولا يسقط عليهم منه شيء وهو مائة وأربعَ عشرةَ سورة معلومة محفوظة أهو القرآن الذى أنزله الله على رسوله أم لا ؟ فإن قالوا : « لا بل ذلك القرآن صعد به إلى السماء ، ونسخ من قلوبهم حين ارتدوا » ، يقال لهم : فإذا كان القرآن مع نقل الأمة طبقة عن طبقة ، وجماعة عن جماعة لا يصح نقله ، فمن أين لكم هذه الأخبار التى تدعونها حُجة لكم فى إثبات الإمامة ؟ ؟ ومن أين علمتم أن النبى عليه الصلاة والسلام نص على إمامة علىّ ؟ وكيف خالفت الأمة ؟ أعلمكم من جهة سمع أم من جهة عقل ؟ فإن قالوا : « من جهة عقل » غلطوا وَأخطأوا فإن هذا لا يعرف من جهة العقل لأنه خبر عما كان فى القديم . وَإن قالوا : « من جهة سمع ونقل عرفناه » قيل لهم : فكيف يكون قولكم صحيحاً وقول غيركم خطأ ؟ أسرفتم فيما تُجيزون لأنفسكم ، ولا تُجيزون مثله لغيركم هذا ظلم فى الجدال لا يجوز لكم .

وإن قالوا : « نقلكم صحيح » بطل قولهم فى القرآن بالطعن عليه بأنه نسخ ، وغير ، وبدّل . والقرآن معجز ، قد تحدى به العرب ثلاثاً وعشرين سنة أن

يأتوا بسورة منه فلم يقدروا ، وعجزوا وبان عجزهم إلى اليوم وأبداً ظاهر عجز الخلق عن القرآن .

وكيف يكون القرآن مفتعلا وهو القرآن الذى عجز عنه الخلق ، وأيضاً فإن المصاحف لم يكتب فيها إلا ما كان نص القرآن ، لأن القرآن كان محفوظاً ، معلوماً وإنما المصاحف لمن لا يحفظ ، وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الجماعات الكثيرة يحفظون القرآن وكذلك من جاء بعدهم من التابعين وأتباع التابعين حفظوا القرآن ، وأدوه إلى من بعدهم ، ولم يزل القرآن محفوظاً معلوماً إلى يومنا هذا لم ينسخ منه شىء ، ولا زال منه شىء ، وفيه حجة الله على خلقه .

ويقال لهم : قال الله عز وجل : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1] هل صدق الله فى قوله أم لا ؟ فإن قالوا : « لا » كذَّبوا الله وكفروا بتكذيبهم ربهم .

وإن قالوا : « صدق الله هو أنزله وهو حفظه علينا » تركوا قولهم . وإن قالوا : « حفظه النبى صلى الله عليه وسلم فأما بعد النبى فقد نسخه وعرج به » فقد ادعوا شيئاً بلا حجة وسبيلهم سبيل من تعدى بلا حجة ولا بيان .

ويقال لهم : أخبرونا عن القرآن : أهو كلام الله عز وجل أم كلام البشر ؟ فإن قالوا : « كلام الله ما فيه كلام البشر » قالوا بالحق وتركوا الطعن على القرآن .

ويقال لهم أيضاً : الإجماع أن هذا القرآن الذى أنزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغير ، ولم يبدل ، ولم ينسخ منه شىء . فمن أين خالفتم الإجماع وقلتم إن القرآن غير ، وبدل ، ونسخ ؟ ؟ ومن خالف الإجماع ضل . لأن النبى

---

(١) سورة الحجر : مكية ٩ .

عليه السلام قال : « أمتى لا تجتمع على ضلالة » وإجماع الأمة أصل من أصول الدين ، وطعنكم على جماعة الأمة وقولكم إنهم ضلوا وارتدوا بلا حجة ، ولا بينة لا يقبل منكم ولا يجوز قبوله فى عقل ولا سمع ، وأيضاً فإن القرآن فيه الحلال ، والحرام ، والدين ، والشريعة وهو حجة الله فى الأرض إلى أن تقوم الساعة ، والإسلام ظاهر على كل الأديان إلى يوم القيامة لقوله عز وجل : (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُله ولَوْ كَرِهَ المشْرِكُون)[1] .

فمن أين قلتم أنتم خلاف ما قال الله عز وجل ؟ وأيضاً فإن معالم الدين ، ومنصوصات الفرائض فى القرآن والسنة ، ومنهما يعلم ذلك فإذا أبطلتم القرآن والسنة يجب أيضاً أن تُبطلوا منصوصات السنة بنقل القبلة فى القرآن الذى يخرج به إلى غير الكعبة ، والصوم فى شهر رمضان ، والزكاة من ربع العشر فى الذهب والفضة فلا تدرون أنتم . فإن قالوا : «ذلك يجوز» شكوا فى فرائض الله وخرجوا من دين الإسلام ، وإن قالوا : « بل ذلك هو القرآن لا تكذيب له » أقروا بصحة القرآن وتركوا قولهم ، ونقضوا أصلهم ، والكلام عليهم كثير . غير أن كلامهم يذهب على جاهل وعَمٍ . فأما العلماء وأهل التميز من الفقهاء فليس يذهب عليهم خطؤهم وضلالتهم .

وزعموا أن الناس لو لم ينص لهم على بن أبى طالب رضى الله عنه تاهوا وضلوا وكان الله قد أهملهم .

يقال لهم : فتقولون إن علياً رضى الله عنه دعا الناس إلى الهدى ، وبين لهم ردتهم ، وأنهم تركوا بيعته ، فضلوا وأضلوا وكفروا ، وإن الدين قد ذهب من أيديهم بكفرهم وردتهم ، وإن طريق الهدى إليه فقط . وإن بيعة أبى بكر ضلالة ،

---

(١) سورة التوبة : مدنية ٣٣ والصف : مدنية ٩ .

وكذلك بيعة عمر ، وعثمان رضى الله عنهم ، وإن ترك بيعته ظلم وكفر ، ولم يبين ذلك ولم يحتج به عليهم . فإن قالوا : « قد بين وأظهر ذلك » قالوا الجهل الذى لا يعلم ، والكذبَ الذى لا يصدق ، والبهتانَ الذى لا يحقق . ومتى قال على ذلك وأتى به وأظهره ؟

والظاهر من فعله رضى الله عنه بيعة أبى بكر ، وعمر ، وعثمان رضى الله عنهم والصلاة خلفهم ، وأخذ العطاء منهم ، والرد للخلاف عليهم والقول بفضلهم ، والمشورة عليهم فى أمرهم ، ومشاركتهم فيما هم فيه ، وتصويب رأيهم .

فإن قالوا : « فعل ذلك على تُقْيَة منه وخوف من القتل » وهكذا يقولون وربما قالوا : « فعل ذلك خوفاً على الأمة أن تقع فى اختلاف » .

يقال لهم : قد نقضتم أصلكم : إن الله أقام علياً ليظهر به الدين ، وكيف يكون ذلك كذلك ، وعلىٌّ كاتم دينه ، ومتقٍ على نفسه وعلى الأمة ؟ لم يظهر الله حجته فى أيام أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، ولا فى أيام خلافته . فكيف يكون هذا حجة ولم يظهر به حجة أصلا ؟

فإن قالوا : « أظهر ذلك فى خفية عند خاصته ، وفى معانى كلامه من حيث لا يفهم كل الناس » .

يقال لهم : ادعيتم مجهولا ، وقلتم منكراً من القول وزوراً . ما كان على رضى الله عنه عاجزاً ، ولا جباناً ، ولا واهناً ، ولا كتوماً ، ولا خائناً ، ولا جاهلاً وإنما ألزمتموه أنتم هذه الأشياء لبغضكم له . إنما تظهرون محبته وتكتمون بغضه ، ولا يجوز ذلك على عالم ، وأى شىء لكم فى على وأنتم على خلافه وخلاف الإسلام ؟

ويقال لهم فى قولهم : « إن علياً ظلم وبويع أبو بكر فى الإمامة » فهذا قول

مجهول لا يعرف ، وكذلك قولهم : إن عليًا أقامه الله نصًا إمامًا للمسلمين بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من كنت مولاه . . . » وأنا أذكر الحجاج في الجزء الأخير في هذا كله موجوداً واضحاً فالتمسه هنالك إن شاء الله ، واعلموا رحمكم الله أن في الرافضة اللواط ، والأبنة ، والحمق ، والزنا ، وشرب الخمر ، وقذف المؤمنين ، والمؤمنات ، والزور ، والبهت وكل قاذورة ليس لهم شريعة ولا دين .

والفرقة الثالثة عشرة من الإمامية : هم الإسماعيلية ، يتبرؤون ويتولون ، ويقولون بكفر من خالف عليًا ، ويقولون بإمامة الإثنى عشر ، ويصلون الخمس ، ويظهرون التنسك والتأله(١) ، والتهجد ، والورع . ولهم سَجَّادات(٢) وصفرة في الوجوه وعمش في أعينهم من طول البكاء والتأوه على المقتول بكربلاء : الحسين بن على ورهطه رضى الله عنهم ، ويدفعون زكاتهم وصدقاتهم إلى أئمتهم ، ويتحنئون(٣) بالحناء ، ويلبسون خواتيمهم في أيمانهم ، ويشمرون قمصهم وأرديتهم كما تصنع اليهود ، ويَتَحَذَّوْن(٤) بالنعال الصفر ، وينوحون على الحسين عليه السلام ، واعتقادهم العدل ، والتوحيد ، والوعيد ، وإحباط الحسنات مع السيئات . ويكبرون على جنائزهم خمساً ، ويأمرون بزيارة قبور السادة .

والفرقة الرابعة عشرة من الإمامية : هم أهل قُمْ : قولهم قريب من قول الإسماعيلية غير أنهم يقولون بالجبر والتشبيه يجمعون بين الظهر والعصر في أول الزوال ، وبين المغرب والعشاء في جوف الليل آخر وقت المغرب عندهم ، ويصلون

---

(١) التأله : التعبد .

(٢) السجادات مفرده سجادة : وهي أثر السجود في الوجه .

(٣) حنأ لحيته : خضبها بالحناء .

(٥) احتذى يحتذى إذا انتعل ، ولم يرد في قواميس اللغة تحذى فلعلها محرفة عن يحتذون .

صلاة الفجر(١) بين طلوع الفجر الأول الذى يسمى ذنب السرحان ، ويمسحون فى الوضوء بالماء على ظهور أقدامهم وأسفلها ، ولهم طعن على السلف ، وشتم عظيم حتى يبلغ الواحد منهم أن يأخذ شيئًا أو مثالا يحشوه تبنًا أو صوفًا يسميه أبا بكر ، وعمر ، وعثمان رضى الله عنهم ، ويضربه بالعصى حتى يهريه ليشفى بذلك مافى قلبه(٢) فى الغل للذين آمنوا ، مع أشياء يقبح ذكرها من مذاهبهم ، مذاهب السفلة العمى أخوةِ القردة ، بل أخْوةُ القردة أفضلُ منهم .

والفرقة الخامسة عشرة : هم الجعفرية : يشبه قولهم قول الاسماعيلية .

والفرقة السادسة عشرة : القطعية العظمى : الذين يقطعون على محمد وعلى عليهما السلام ، ويقولون قول الجعفرية ويتبرءون ويتولون .

والفرقة السابعة عشرة : القطعية القصرى : الذين يقطعون على الرضا ويقولون : لا إمام بعده رضى الله عنه ، ويقتدون بمن قبلهم من إخوانهم القطعية العظمى فى جميع مذاهبهم .

والفرقة الثامنة عشرة : هم الزيدية : أصحاب زيد بن على رضى الله عنهما وهم أربع فرق :

فالأولى من الزيدية أعظمهم قولا ، وهم الذين يكفرون الصدر الأول وسائر مَن يَنْشَؤا أبداً إذا خالفهم ، ويرون السيف ، والسبى ، واستهلاك الأموال ، وقتل الأطفال ، واستحلال الفروج ، وليس فى الإمامية أكثر ضرراً منهم فى الناس ، إنما هو بقدر ما يخرج الواحد منهم يضع السيف ، والحريق ، والنهب ،

---

(١) وجود كلمة « بين » فى هذا الموضع غير صحيح لأنها تقتضى شيئين فالظاهر أنها محرفة عن كلمة « بعد » .

(٢) هكذا فى الأصل ويظهر أن « فى » محرفة عن « من الغل » .

والسبى ولا يقصدون ولا يرعون وكان منهم على بن محمد صاحب البصرة سبى العلويات ، والهاشميات ، والعربيات ، وباعهن مكشفات الرؤوس بدرهم ودرهمين ، وأفرشهن الزنوج والعلوج ، واستباح دماء المسلمين وأموالهم وأهراق الدماء ، وقتل الأطفال ، وأحرق المصاحف والمساجد تأول أنهم مشركون وكان يقول : (لا يَلِدُوا إلاَّ فاجِراً كَفَّاراً)(١) ، وكان يستحل كل ما حرم الله .

والفرقة الثانية من الزيدية : يكفرون السلف ، ويتبرؤن(٢) ويتولون ، ولا يرون السيف ، ولا السبى ، ولا استحلال الفروج ، ولا الأموال .

والفرقة الثالثة من الزيدية : يقولون : إن الأمة ولت أبا بكر رضى الله عنه اجتهاداً لا عناداً ، وقصدوا فأخطأوا فى الاجتهاد ، وولّوْا مفضولا على فاضل ، فلا شىء عليهم ، وإنما أخطأوا فى ذلك ولم يتعمدوا فقالوا بالنص ولم يتبرؤا ، ولم يكفروا أحداً ، وتولوا وهم أصحاب سمت يُظهرون زهداً وعبادة ، وخيراً ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقولون بالعدل ، والتوحيد ، والوعيد .

والفرقة الرابعة من الزيدية : هم معتزلة بغداد ، يقولون بقول الجعفرية ، جعفر ابن مبشر الثقفى ، وجعفر بن حرب الهمدانى ، ومحمد بن عبد الله الإسكافى ، وهؤلاء أئمة معتزلة بغداد ، وهم زيدية يقولون بإمامة المفضول على الفاضل ، ويقولون : إن علياً عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسبقه بالفضل أحد من الأمة ، وزعموا أن إمامة المفضول على الفاضل جائز لما ولى النبى صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص على فضلاء المهاجرين والأنصار فى غزوة ذات السلاسل .

---

(١) سورة نوح : مكية ٢٧ .

(٢) أى يتبرؤن من أبى بكر وعمر .

وقالوا : لو أن رجلا عالماً قارئاً ، وآخر دونه فى العلم والقراءة قدم فصلى المفضولُ بهم وصلى الفاضلُ خلفه ، جاز ذلك بعد أن يكون هذا الدون يعلم معالم الصلاة والقراءة قالوا : فكذلك يبايع المفضول على الفاضل إذا علم أنه يقوم بالإمامة ، ويؤدى حقها ، ويعلم علمها ، قالوا : فكذلك فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا أبا بكر — وإن كان علىّ أفضل منه — يصلح لهم فولوه ورضى بهم علىّ ، وتابعهم ، وأخذ العطاء منهم ، وضرب بين أيديهم بالسوط وصلى خلفهم ، وتزوج من سبيهم أُم محمد بن الحنفية ، فأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وطلحة ، والزبير ، وعائشة ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبو عبيدة وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم كلهم فى الجنة لا شك فيهم . وإن علياً أفضلهم وَيَتَوَلَّونَهم وجميع الصحابة إلا أن هؤلاء الذين شهدوا لهم بالجنة لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « عشرة فى الجنة » وقوله عليه السلام : « أزواجى فى الدنيا أزواجى فى الآخرة » . ويتبرؤن من أبى موسى الأشعرى ، والمغيرة بن شعبة ، والوليد بن عقبة ، وطوائف زعموا أنهم مالئوا على عداوة علىّ مع معاوية رضى الله عنهم ، وركنوا إلى الدنيا وآثروها على الآخرة ، ويتبرؤن ممن يتبرأ من أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وهؤلاء العشرة الذين بشروا بالجنة ، ويقولون : من تبرأ منهم فهو فاسق عاص ، ويقولون : علىّ أفضل الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعتقدون بشهادته ويأخذون بقوله فى العدل ، والتوحيد ، والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بإحباط الأعمال والقول بالفرض ويقتدون به فى قتال أهل الصلاة ويقولون : هو إمامنا ، ومعلمنا ، وحجة الله علينا بعد رسوله الله صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء هم الشيعة الخلص عندهم .

والطائفة السادسة[1] : من مخالفى أهل القبلة هم المعتزلة : وهم أربابُ الكلام ،

---

(١) لم يسبق ذكر خمس طوائف من مخالفى أهل القبلة لتكون هذه الطائفة =

وأصحاب الجدل ، والتمييز ، والنظر ، والاستنباط ، والحجج على من خالفهم وأنواع الـكلام ، والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل ، والمنصفون فى مناظرة الخصوم ، وهم عشرون فرقة ، يجتمعون على أصل واحد لا يفارقونه ، وعليه يتولون ، وبه يتعادون ، وإنما اختلفوا فى الفروع ، وهم سموا أنفسهم معتزلة ، وذلك عندما بايع الحسن بن على عليه السلام معاوية ، وسلم إليه الأمر اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس . وذلك أنهم كانوا من أصحاب عليّ ، ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا : نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة[1] . والأصول التى هم عليها خمسة وهى : العدل ، والتوحيد ، والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر . إلا أنهم يعدلون إلى ما هم به يجزون ويطالبون لأن أهل الصلاة من أهل السنة والجماعة يقولون : إن الله واحد قديم ، صمد ، فرد ، ليس كمثله شىء ، لا شبيه له ولا نظير ، ولا ند ، ولا عديل ، وإنه عدل لا يجوز ، وصادق لا يكذب ، ولا يخلف الميعاد .

باب المنزلة بين المنزلتين :

وأنه من آمن بالله ورسله وكتبه ودينه ، وأحل الحلال ، وحرم الحرام ثم أصاب فى إيمانه كبيرة فإنه فاسق لا يخرجه ذنبه من الإيمان إلى الـكفر ، ولا يدخله فى الإيمان على التفرد ، وإنما هو فاسق لا كافر ولا مؤمن ، ولا مسلم ، وإن كان أقر بالله وأسلم له ، فإن اسم الإيمان والإسلام لا يعود له كما يعود للذين آمنوا وعملوا الصالحات وإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر واجب على جميع الناس وهكذا جميع الأمم فرض .

= هى السادسة ففى الأصل نقص وسيأتى تعديل الفرق فى أواسط الـكتاب ثانى مرة وبه يكون استدراك ما فات (ز) .

(١) سبق لى أن نقلت هذا من هنا فى مقدمة تبيين كذب المفترى المطبوع بدمشق سنة ١٣٤٨ هـ ، وهى أقرب الروايات فى سبب تلقيبهم بالمعتزلة (ز) .

قال أبو الحسين : يقولون : إن الله عدل لا يجوز ، ثم ينقضون ذلك بما لا أحب ذكره . وكذلك أيضاً قول المرجئة من أمتنا وغيرها يقولون : الله صادق فى أخباره ثم ينقضون ذلك ، فتقول المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين . وتقول المرجئة : الفاسق مع فسقه مؤمن مسلم إيمانه كإيمان جبريل ، وميكال ، والرسل . وقالت الخوارج والرافضة : هو مع فسقه كافر مشرك ، وقال آخرون : هو مع فسقه منافق .

قال أبو الحسين الملطى رحمه الله : الأمة مجمعة على أنه من رأى منكراً وجب عليه أن ينكره كما مضت به السنة ، وقد اختلف أيضاً فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال قوم : لا ينكر على أهل الصلاة إلا بالنعال ، والأيدى . وقال آخرون : بالنعال والأيدى ، والكلام ، وقال آخرون : بالقبض ، والسلاح ، وقال آخرون : لا ينكر أحداً منكراً حتى يجتمع له عشرة آلاف رجل يقيمون إماماً يقاتل معهم ، وإلا لم يلزمه فرض الإنكار ، فنقضوا بقولهم هذا عروة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فاحذر ذلك كله .

واعلم أن المعتزلة التى تحب أن تعرف ما هى عليه كما سألتنى أن أشرح لك ذلك لتعلمه فاعلم أنها بنيت على الأصول الخمسة التى ذكرتها ذلك . فالمعتزلة كلها متمسكون بالقول بذلك ويجادلون عليه ، وقد وضعوا فى ذلك الكتب الكثيرة على من خالفهم ، ويتبرؤن ممن خالفهم فيها ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم . وقالوا : إن فاعل الكبائر بعد إيمانه المقيم على إيمانه فاسق لا مؤمن ولا كافر ، ولا مؤمن ولا مسلم ، ولا منافق كما سماه الله فقط وسموه المنزلة بين المنزلتين أى منزلة بين الكفر والإيمان . وقالوا فى إنكار المنكر الذى يجب على الرجل إذا رأى المنكر الذى يجب فرض رده عليه : أن يُنْكِره بما قدر عليه ، فإن لم يقدر على إنكاره بأشد الأمور [وإلا

أنكره][1] فبقلبه ولا شىء عليه إذا لم يقدر على تغييره .

وهذه الأصول الخمسة ماجأهم ، وأصل مذهبهم مع اختلافهم فى الفروع ، وهم يتوالون عليها ، ويعادون عليها ، ويردون الفروع بها ، وهم معتزلة بغداد ، ومعتزلة البصرة .

وبالبصرة أول ظهور الاعتزال لأن أبا حذيفة واصل بن عطاء جاء به من المدينة ويقال : معتزلة بغداد أخذوا الاعتزال من معتزلة البصرة ، أولهم بشر بن المعتمر خرج إلى البصرة ، فلقى بِشْرَ بن سعيد ، وأبا عثمان الزعفرانى ، فأخذ عنهما الاعتزال ، وهما صاحبا واصل بن عطاء . فحمل الاعتزال والأصول الخمسة إلى بغداد ، ودعا إليه الناس ، ففشى قوله ، فأخذه الرشيدُ وحبسه فى السجن ، فجعل يقول فى السجن رجزاً مزاوجاً فى العدل ، والتوحيد ، والوعيد حتى قال أربعين ألف بيت لم يسمع الناس بشعر مثل ذلك ، فألهج الناس بنشدها فى كل مجلس ومحفل ، فقيل للرشيد : ما يقوله فى السجن من الشعر أَضَرُّ على الناس من الكلام الذى بينه ، ثم أخذ الكلام من بشر ببغداد أبو موسى بن صبيح الملقب بمردار فكان المجلس له والكلام . وخرج بعده الجعفران : جعفر بن حرب ، وجعفر ابن مبشر . وخرج بعد الجعفرين محمد بن عبد الله الإسكافى ، فوضعوا من الكتب وصنفوا فى الفقه ، والكلام والجدال أكثر من أن يُحَد ، وَردُّوا على جميع المخالفين من أهل الصلاة وغيرها .

وأما معتزلة البصرة[2] فكان أبو الهُذَيل العلاف أخذ الكلام من بشر بن

---

(١) هكذا بالأصل والعبارة غير واضحة ولعل صحة العبارة : فإن لم يقدر على إنكاره بأشد الأمور أنكره بقلبه ولا شىء عليه إذا لم يقدر على تغييره .

(٢) بلغ خلف . محسن بن طاهر سمع من ههنا إلى آخر الكتاب من الهامش .

سعيد ، وأبى عثمان الزعفرانى صاحبى واصل بن عطاء ، فوضع من الكتب ألفاً ومائتى صنف يرد فيها على المخالفين ، وينقض كتبهم إلا كتابَ الحجة ، فإنه وضعه فى الأصول . وكان المجلس قبل أبى الهذيل بالبصرة ، والكلام لضرار بن عمرو أظهر الخلاف ، والتبس عليه العدل ، والتوحيد ، والوعيد . ونص رسالة « إلى العامة » ما سبقه إليها أحد فى حسن الكلام ونظامه يذكر فيها العدل ، والتوحيد ، والوعيد . ثم كان فى آخر أيامه أبو بكر الأصم عبد الرحمن بن كيسان فالتبس عليه أيضاً العدل والتوحيد ، وله كتب كثيرة ما سبقه بها أحد ، وكان أبو الهذيل يلقبه بخربان ، لأن الخر بالفارسية هو الحمار والخربان المكارى فجرى عليه هذا اللقب . ثم أخرج أبو الهذيل إبراهيم النظام ، وهشاما الفوطى ، فعابا عليه وخالفاه فى الفرع ؛ لأن الأصل الذى خالفه عليه هشام الفوطى يكون فى مائة وعشرين مسألة ، فوضع عليه فيها كتاباً ، وكان آخر أيام أبى الهذيل ، وكان كف بصره ، فتقدم إلى بعض تلامذته فنقضها عليه ، ثم خالفه إبراهيم النظام أيضاً فى مائة وعشرين مسألة فوضع فيها نقضاً ، ونقضها عليه أبو الهذيل . وكانت المناظرات بينهم فى المجالس لا تنقطع ، وأبو الهذيل هذا لم يُدْرَك فى أهل الجدل مثلُه ، وهو أبوهم وأستاذهم ، وكان الخلفاء الثلاثة : المأمون ، والمعتصم ، والواثق يقدمونه ويعظمونه ، وكان الوزيرُ ابنُ أبى دواد من تلامذته . وكان لا يقوم له فى الكلام خصم يصوغ الكلام صياغة . ثم خرج من تحت يد النظام بعد أن صنف كتباً كثيرة الجاحظ ، وصنف كتباً ، وكان صاحب تصنيف، ولم يكن صاحبَ جدل ، وأخرج هشامٌ عبادَ بنَ سليمان ، وكان أحد المتكلمين فملأ الأرض كتباً وخلافاً ، وخرج عن حد الاعتزال إلى الكفر ، والزندقة لحدة نظره ، وكثرة تفتيشه ، ثم لم يقم للمعتزلة إمام مذكور بالبصرة ، ولا بغداد إلى أن خرج أبو على محمد بن عبد الوهاب بكور جبى بين البصرة والأهواز ، وكان لقى الشحام بالبصرة قبل خروج على بن محمد الشحام صاحب أبى الهذيل ،

فتعلم منه مخرج لا شبه له ، ووضع أربعين ألف ورقة فى الـكلام ، ووضع تفسير القرآن فى مائة جزء وشيئاً لم يسبقه أحد بمثله ، وسهل الجدال على الناس ، ثم خرج ابنهُ أبو هاشم فوضع مائة وستين كتاباً فى الجدل فى أيام قلائل ، شىء[١] ما وصل إلى مثله أحد قبله ولا أبوه ، وخالف أباه فى تسعة وعشرين مسألة ، وكان أبوه يخالف أبا الهذيل فى تسع عشرة مسألة وبين معتزلة بغداد ومعتزلة البصرة اختلاف كثير فاحش يكفر بعضهم بعضا فى بعض ذلك الاختلاف أكثر من ألف مسألة ، نعوذ بالله من الريب كله ونسأله السلامة ، ومن لزم السواد الأعظم ، وترك الشك نجا إن شاء الله ولا قوة إلا بالله

واعلم أن للمعتزلة سوى من ذكرناهم جماعة كثيرة قد وضعوا من الـكتب ، والهوس مالا يحصى ولا يُبلَغ جمعُه ، وهى[٢] فى كل بلد وقرية لا تخلو منهم الأرض . فأما البلدان التى غلب عليها الاعتزال حتى لا يظهر فيها غير الاعتزال فعسكر مكرم من أرض الأهواز ، والصيمرة ، ومدينة بأرض فارس يقال لها جهرم[٣] وهراة ، واصطخر من أرض كرمان ، نصفهم خوارج ، ونصفهم معتزلة ، إلا أن الاعتزال أغلب عليهم .

فأما الذى يكفر فيه معتزلة بغداد معتزلة البصرة فالقول فى الشاك ، والشاك فى الشاك ، ومعنى ذلك أن معتزلة بغداد ، والبصرة وجميع أهل القبلة لا اختلاف بينهم أن من شك فى كافر فهو كافر ، لأن الشاك فى الـكفر لا إيمـان له ، لأنه لا يعرف كفراً من إيمان ، فليس بين الأمة كلها المعتزلة ومن دونهم خلاف أن الشاك فى الـكافر كافر ، ثم زاد معتزلة بغداد على معتزلة البصرة أن الشاك فى الشاك ،

---

(١) يبدو أن « شىء » خبر مبتدأ محذوف أى وهذا شىء ما وصل إلخ .

(٢) هى : يعود إلى الجماعة .

(٣) جهرم على وزن جعفر بلد بأرض فارس كما فى القاموس (ز) .

والشاك فى الشاك إلى الأبد إلى مالا نهاية له كلهم كفار وسبيلهم سبيل الشاك الأول ، وقال معتزلة البصرة الشاك الأول كافر لأنه شك فى الكفر ، والشاك الثانى الذى هو شاك فى الشك ليس بكافر ، بل هو فاسق لأنه لم يشك فى الكفر إنما شك فى هذا الشاك أيكفر بشكه أم لا ؟ فليس سبيله فى الكفر سبيل الشاك الأول وكذلك عندهم الشاك فى الشاك ، والشاك فى الشاك إلى مالا نهاية له كلهم فساق إلا الشاك الأول فإنه كافر ، وقولهم أحسن من قول أهل بغداد ، وتقول معتزلة بغداد : الجعفران ، والإسكافى : إن على بن أبى طالب رضى الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إن أبا بكر أفضل من عمر ، ثم إن عمر أفضل من عثمان رضى الله عنهم ، ومعتزلة البصرة أبو الهذيل يقول : أبو بكر وعلى فى الفضل سواء لا فضل بينهما ، ثم أبو بكر أفضل عمر ، ثم عمر أفضل من عثمان ، وقولهم هذا كلهم فى التفضيل على ما ذكرت لك ، فافهم .

واعلم أن للمعتزلة من الكلام مالا أستجيز ذكره لأنهم قد خرجوا عن أصول الإسلام إلى فروع الكفر ، فمن بعض قولهم : إن أطفال المشركين عندهم فى الجنة وقال هشام منهم : لا أقول إن الله شىء ، ولكن هو منشىء الأشياء . وكيف تدبرت قولهم عرفت جهلهم ووسواسهم ، وهوسهم لأنهم يختلفون فى الاجساد والأرواح من الخلق كلهم ، إنسهم وجانهم ، ولا يدعون ذكر بهيمة ، ولا طائر ، ولا شىء خلقه الله عز وجل إلا تكلموا عليه ، ووضعوا قياساً ، ثم عدلوا عن ذلك كله ، فلم يرضوا به ، وهم لا يعلمون ، فقالت طائفة : بظاهر التنزيل ، ورد المتشابه إلى المحكم والترك وهم أهل العراق وبينهم فى ذلك خلاف ومنازعات وأشياء تخرج إلى الكفر والتعطيل والتخليط .

والذى عندى من ذلك أن تلزم المنهج المستقيم وما نزل به التنزيل وسنة الرسول ، وما مضى عليه السلف الصالح فعليك بالسنة والجماعة ترشد إن شاء الله ،

وإنما تركت البيان فى ذكر اختلافهم لبشاعة ما يقولون ، وفظيع ما به ينطقون والله للظالم بالمرصاد ، فعليك يا أخى بالتضرع إلى الله أن يحميك له فما الدين ما يقول المخلطون ، ولا أرى للبيب ما هو أفضل من لزوم ما بين الدفتين والإكثار من النظر فى تأويله ولزوم السنة والجماعة ، ودع عنك العوج ، ولِمَ وكيف ؟ فما أمرت به وإنما خلقك الله لعبادته ، وأنزل إليك نوراً مبيناً ، وأرسل إليك رسولا كريماً ، فاتبع نوره وما سن لك نبيّه عليه الصلاة والسلام فما عدا هذين فهو ضلال ، واستقم كما أمرت ، وكُن لله مطيعاً إنْ الأهواء مالت بأهلها فأوردتهم عذاباً أليماً .

ومن بعض ما أدلك عليه أن تعلم أن الله عز وجل أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم فبلّغ الرسالة ولم يكتم شيئاً ، وبين وأرشد ، وقد نهاك القرآن والرسول عن الشبهات والجدال ، ولا تتأول القرآن على رأيك ، والله عز وجل يقول فى كتابه : (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ)[1] ، ثم قال : (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ)[2] ، ثم علمنا الاستعاذة كيف نقول فقال : (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)[3] (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)[4] ، ثم الصديق أبو بكر رضى الله عنه بعد الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علىّ رضى الله عنهم وأرضاهم ، وهم القدوة والسادة والأعلام والحجةُ ، فهل سمعت عنهم إلا التحذير عن البدع ، والمحدَثات ؟ ؟ ونقل عنهم أن كلَّ مُحْدَثَة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، فهذا محدث ووسواس .

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) سورة آل عمران : مدنية ٧ — ٩ .

فاحذر يا أخى ، واعلم أنك بمنظر من اللطيف الخبير ، ولم أضع كتابى هذا إلا ليكون إماماً وأصلا أرجع إليه ومَعْقِلاً لى وللمؤمنين إن شاء الله ، نخذ ما آتيتك فيه وتمسك بجميعه ، فإنه وما فيه من أصل وحجة مذهب من سلف من مصابيح الهدى والصدر الأول وأهل البصائر والعلم ، والكتاب ، والسنة ، ولم أترك من جهد جهدى شيئاً إلا قد أثبته ، ودللت عليه ، وفى بعض وصاتى لكم بلاغ إن شاء الله وبه أعوذ وبه ألوذ من الحور بعد الكور ولا قوة إلا بالله .

باب ذكر المرجئة :

وقد ذكرت المرجئة فى كتابنا هذا أولا وآخراً ، إذ قولها خارج من التعارف والعقل ، ألا ترى أن منهم من يقول : من قال لا إلٰهَ إلا الله محمد رسول الله ، وحرم ما حرم الله ، وأحل ما أحل الله ، دخل الجنة إذا مات ، وإن زنى ، وإن سرق ، وقتل ، وشرب الخمر ، وقذف المحصنات ، وترك الصلاة والزكاة والصيام ، إذا كان مقراً بها يسوف التوبة لم يضره وقوعه على الكبائر ، وتركه للفرائض ، وركوبه الفواحش ، وإن فعل ذلك استحلالا كان كافراً بالله مشركاً ، وخرج من إيمانه وصار من أهل النار ، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وإيمان الملائكة ، والأنبياء ، والأمم وعلماء الناس وجهالهم واحد لا يزيد منه شىء على شىء أصلا .

واحتجوا بقول الله عز وجل : (إنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء)[1] . فقالوا : الكافر وحده لا يغفر له ، وما دون الكفر مغفور لأهله ، ورووا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إلاّ الله دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وإن زنى ، وسرق ، وقتل » وأنا أذكر دليل هذا فى جزء الحجاج إن شاء الله .

---

(١) سورة النساء : مدنية ٤٨ و ١١٦ .

وينبغى أن يقول لهم : أخبرونا عن الإيمان : ما هو ؟ فإن قالوا : «لا ندرى» سقطت موار بة كلامهم ، وصاروا بمنزلة من يقول الشىء على الجهل ، والجاهل لا حجة له .

وإن قالوا : « الإيمان هو الإقرار » فقد صدقوا ، يقال لهم : فالإقرار يكون باللسان أو بالقلب ؟ فإن قالوا : « باللسان فقط » يقال لهم : فالمنافقون الذين أقروا بألسنتهم ، وأسرُّوا الشرك أهو شىء صح لهم الإيمان إذا أقروا بألسنتهم والإيمان عندكم الإقرار باللسان .

فإن قالوا : « هؤلاء أقروا بألسنتهم وأسروا هذه فلم يصح إيمانهم » نقضوا قولهم لأنهم قد اعترفوا أن القول باللسان لا يصح ، إلا مع إقرار بالقلب . وإن شك القلب ببعض إقرار اللسان فيجب عليهم حينئذ أن يقولوا : الإيمان قول باللسان و إقرار بالقلب ، والإقرار بالقلب عمل ، بل هو أصل كل الأعمال التى بالجوارح لأن الجوارح عن القلب تصدر . وإذا كان كذلك فقد وجب أن يقولوا : إن الإيمان قول وعمل ، وينقضوا أصلهم إن الإيمان قول بلا عمل . وأيضاً إذا أقروا أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب لزمتهم أن يقولوا وعمل بالجوارح[1] فإن أبوا أن يقولوا ذلك ردوا إلى الكلام الأول فبان جهلهم ، وإن أجازوا ذلك تركوا قولهم وقالوا : «الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب ، وعمل بالجوارح يزيد وينقص » . وهذا هو الحق لا يجوز غيره .

ويقال لهم أيضاً : أخبرونا افترض الله على عباده فرائض فيها أمر ونهى ، فإن قالوا : « لا » جهلوا وكابروا .

---

(١) باعتبار أن عمل الجوارح من كمال الإيمان لا أنه جزء من ماهية الإيمان لئلا يلزم الانزلاق إلى مذهب المعتزلة أو الخوارج (ز) .

وإن قالوا : « نعم » قيل لهم : فما تقولون فيمن أدى إلى الله ما أمر به وانتهى عما نهاه ؟ أهو كمن عصاه فى أمره ونهيه ؟ فإن قالوا : « هما سواء عند الله وعندنا » جعلوا المعصية كالطاعة والطاعة كالمعصية ، وهذا جهل وكفر ممن قاله .

وإن قالوا : « الطاعة غير المعصية وليس من أطاع الله فى أمره ونهيه كمن عصاه » تركوا قولهم وقالوا بالحق .

ويقال لهم : أخبرونا عن قول الله تبارك وتعالى : (أَمْ حَسِبَ الذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهم كالذِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحاتِ سَواء مَحْيَاهُم ومَمَاتُهم سَاء مَا يَحْكُمون)[1] وقال تعالى : (أَمْ حَسِبَ الّذِينَ يَعْمَلونَ السَّيئاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)[2] ، أهذا شىء قاله على حَقِيقَةِ القولِ أَمْ على المجاز ؟ . فإن قالوا : « على المجاز » جعلوا إخبار الله عن وعده على المجاز وهذا كفر ممن قاله لأن أحداً لا يتيقن حينئذ بخبره إذا لم يكن له حقيقة وصحة ، وإن قالوا : « على حقيقة » يقال لهم : أخبر الله عز وجل أنه لا يستوى عنده الولى والعدو .

ويقال لهم : أخبرونا عمن زنا وأتى شيئاً من الكبائر أترون عليه التوبة أم لا ؟ فإن قالوا : « لا » بان جهلهم ، وإن قالوا : « نعم » قيل لهم : لأى شىء يتوب ؟ فإن قالوا : « يقبل الله توبته ، ويغفر ذنبه » تركوا قولهم وجعلوا لأهل المعاصى توبة وغفرانا مما اجترموا .

وإن قالوا : « لا يحتاجون إلى غفران ولا توبة عليهم » خرجوا من دين الإسلام وخالفوا الجماعة .

---

(١) سورة الجاثية : مكية ٢١ (٢) سورة العنكبوت مكية ٤ .

ويقال لهم : فلم قلتم « إن الله يغفر المُصِرِّينَ بلا توبة » أمن سمع أو عقل ؟ فإن فى العقل شواهد دالة أن الحكيم لا يستوى عنده وليه الذى أطاعه وعدوه الذى عصاه ، ولا يجوز ذلك فى الحكمة .

ويقال لهم : فى قولهم : « إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص » ما تقولون فيمن آمن وهو بالله وبدينه عارف ؟ ومن آمن وهو بالله وبدينه جاهل ؟ فإن قالوا : « هما سواء » . تجاهلوا ، وإن قالوا : « المؤمن العارف بالله وبدينه أفضل » تركوا قولهم ، وقالوا بالحق : إن الإيمان يزيد بالعمل والعلم ، وينقص بنقص العلم والعمل .

ويقال لهم : هل تجعلون بين أهل المعصية ، وأهل الطاعة فضلا ؟ فإن قالوا : « لا فضل بينهم » تجاهلوا ، وإن قالوا : « نعم » قيل لهم : ما الذى تجعلونه بينهم ؟ فإن قالوا : «لأهل الطاعة الوعد والثواب ، ولأهل المعصية الوعيد والعقاب» تركوا قولهم الخبيث وقالوا بالحق . وإن قالوا : « لا ندرى » تجاهلوا .

ويقال لهم : ما تقولون فى قول الله تبارك وتعالى : (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)[1] أليس عندكم من تصدق بدرهم فله عشر من الحسنات ، ومن سرق درهما فعليه وزر درهم واحد ، فإذا قالوا « نعم » ، يقال لهم : فرجل سرق عشرة دراهم وتصدق منها بدرهم أليس له تسع حسنات وعنده تسع الدراهم ؟

فإن قالوا « لا تجزئه صدقة من سرقة لأن السرقة تحبط أجره » تركوا قولهم ، وإن قالوا : « تجزئه » زعموا أن من سرق عشرة دراهم وتصدق بدرهم منها فله تسع حسنات وعنده تسع الدراهم لأن الحسنة بعشرة أمثالها والسيئة بمثلها ، وهذا

---

(١) سورة الأنعام مكية ١٦٠ .

ربح لا ربح بعده ، مع أن على السارق لأموال الناس بسبب سرقته ذنوباً يعاقب عليها .

باب ذكر الشراة والخوارج :

قال أبو الحسين : وأنا أذكر الشراة والخوارج وعددهم فى هذا الجزء وعند تفسيرى قوله عليه السلام : « تَفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقةً » وأُبينهم بأسمائهم إن شاء الله .

فأما الفرقة الأولى من الخوارج : فهم المُحَكِّمة الذين كانوا يخرجون بسيوفهم فى الأسواق فيجتمع الناس على غفلة فينادون : لا حُكم إلا لله ، ويضعون سيوفهم فيمن يلحقون من الناس ، فلا يزالون يقتلون حتى يقتلوا ، وكان الواحد منهم إذا خرج للتحكيم لا يرجع أو يقتلَ فكان الناس منهم على وجل وفتنة ، ولم يبق منهم اليوم أحد على وجه الأرض بحمد الله . فمتى تعرضت هذه الفرقة من الشراة يقال لهم : أخبرونا عن قولكم « لا حُكْم إلا لله » ماذا تريدون ؟ فإنهم يقولون : لا تحكيم فى دين الله لأحد من الناس إلا لله ، وهم لا يحكمون بينهم حكم[1] ، فلما حكم أبو موسى الأشعرى بين على ومعاوية رضى الله عنهم ، وخلع علياً رضى الله عنه ، قال هؤلاء : على كفر بجعل الحكم إلى أبى موسى الأشعرى ولا حكم إلا لله .

والشراة كلهم يكفرون أصحاب المعاصى ومن خالفهم فى مذهبهم مع اختلاف أقاويلهم ومذاهبهم .

يقال لهم : من أين قلتم : لا حكم إلا لله ؟ وقد حكم الله الناس فى كتابه فى غير

---

(١) هكذا بالأصل والظاهر أن صحة العبارة ولا يحكمون بينهم حكماً .

موضع قال عز وجل فى جزاء الصيد : (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ[١]) وقال تعالى : (وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا[٢]) . وقال : (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا)[٣] يعنى الزوج والزوجة. وقال: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ[٤]) وأيضاً (فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَإِلَى الرَّسُولِ[٥]) وقال: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً[٦]) . فهذا محكم القرآن قد جعل أحكاماً كثيرة إلى العلماء ، وإلى الأمراء من الناس ينظرون فيه مما لم ينزل بيانه من عند الله . فكيف قلتم : لا حكم إلا لله ؟ فإن أبوا هذا الشرح ، ومحكم الكتاب ظهر جهلهم . وإن قالوا به تركوا قولهم ورجعوا إلى الحق .

ويقال لهم : لا يحل دم مؤمن يهرق إلا بثلاثة خلال : إما زنى بعد إحصان ، أو ارتداد بعد إيمان ، أو أن يقتل نفساً عمداً فيقتل به ، ثم لم يطلق قتل أحد من أهل القبلة ، فبم استحللتم قتل الناس ؟ فإن حاولوا حجة لم يجدوها ، وإن مروا على جهلهم بغير حجة بان خطؤهم .

ويقال لهم فى تكفير الناس : لم كفرتم من أقر بالله ورسوله ودينه ثم أتى كبيرة ؟ فإن قالوا : « قياساً على قول الله عز وجل : (وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ[٧]) ثم قال عز وجل : (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا

---

(١) سورة المائدة : مدنية ٩٥ (٢) و(٣) سورة النساء : مدنية ١٢٨ ، ٣٥ .
(٤) سورة الشورى : مكية ١٠ (٥) سورة النساء : مدنية ٥٩ .
(٦) سورة النساء : مدنية ٨٣ (٧) سورة المائدة : مدنية ٥ .

كَفُوراً)[١] ، وقال : (وهُوَ الذى خَلَقَكُم فَمِنْكُمْ كافِرٌ ومِنْكُمْ مُؤْمِنٌ)[٢] ، فلم يجعل الله بين الكفر والإيمان منزلة ثالثة ، ومن كفر وحبط عمله فهو مشرك والإيمان رأس الأعمال ، وأول الفرائض فى عمل ، ومن ترك ما أمره الله به فقد حبط عمله وإيمانه ، ومن حبط عمله فهو بلا إيمان ، والذى لا إيمان له مشرك كافر » .

يقال لهم : أَخْطَأْتُم القِياسَ وتركتم طريق العلم ، وذلك أن الله عز وجل بين فى كتابه المحكم أن الفاسق له منزلة بين الإيمان والكفر[٣] بقوله : (وَالّذِينَ يَرْمُونَ المحصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يأتُوا بِأَرْبعةِ شهداء فاجلدوهُم ثَمَانِينَ جَلْدَةً ولا تَقْبَلُوا لَهُم شَهادَةً أبداً وأُولَئِكَ هُم الفاسِقُونَ)[٤] ، ولم يقل : إنهم مع فسقهم مؤمنون كما قالت المرجئة ، ولا قال إنهم مع فسقهم كفار كما قلتم أنتم وأثبت لهم اسم الفسق فقط فهم فساق لا مؤمنون ولا كافرون كما قال الله عز وجل وأجمعت عليه الأمة ، والأمة مجمعة على اسم الفسق لأهل الكبائر وإنما هو اسم ومنزلة بين الكفر والإيمان أجمعت الأمة على ذلك ، وإنما ذهب من ذهب إلى تكفير أهل الكبائر من أهل القبلة بعد القول بفسقهم ، وكذلك المرجئة إنما سموا أهل الكبائر مؤمنين بعد ما سموهم فاسقين لأن الله عز وجل سماهم فاسقين ولم يتهيأ لهم أن يزيلوا اسم الفسق عنهم ، فاجتمعوا على فسقهم ، ثم افترقوا إلى غير ذلك .

ويقال لهم أيضاً : لما صيرتم الكبائر والصغائر شيئاً واحداً والله عز وجل

---

(١) سورة الرحمن : مدنية ٣ (٢) سورة التغابن : مدنية ٢.

(٣) هذاميل من المصنف إلى رأى المعتزلة فى القول بالمنزلة بين المنزلتين.

(٤) سورة النور : مدنية ٤

قد فرق بين الصغائر والكبائر بقوله : (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً)[١] ، يعنى مَنْ لَمْ يَعْمَل الكبائر ، فإن حاولوا حجة فى تكفير الأمة لم يجدوا . وإن جعلوا الذنوب كلها كبائر لم يجدوا إلى الحجة سبيلا من عقل ولا سمع .

وقالوا بولاية الشيخين أبى بكْر ، وعمر رضى الله عنهما ، وعداوة الخَتَنَين عُثمان ، وعلىّ رضى الله عنهما . قالوا : كفر عثمان ، وكذلك على .

يقال لهم : بماذا كفرتموهما ؟ فإن قالوا : « لأن علياً حكَّم الحكمين وخلع نفسه عن إمرة المؤمنين وحكم فى دين الله فكفر ، وعثمان ولى رقاب المؤمنين ولاة جور فحكم بغير ما حكم الله فكفر » .

يقال لهم : قد بينا أن الله عز وجل قد جعل فى كثير من دينه الحكم إلى عباده فلا حاجة لنا إلى إعادته .

أخبرونا الآن عن عثمان ، وعلىّ رضى الله عنهما : أليسا كانا وليين للمسلمين فى الأصل بإجماع لا اختلاف فيه عندكم وعند كل الناس . فإن قالوا : « لا ما كانا وليين للمؤمنين » تجاهلوا وردوا الإجماع ، وإن قالوا : « نعم قد كانا مؤمنين وليين للمؤمنين بإجماع ثم كفرا » .

يقال لهم : فالإجماع على إيمانهما وولايتهما ثابت حتى يجىء إجماع مثله فيزيل ولايتهما وإيمانهما ، ويثبت كفرهما ، فلا حجة لهم بعد هذا البيان فى تكفيرهما .

ويقال لهم : قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم بإجماع الأمة لا يختلف فيه

---

(١) سورة النساء : مدنية ٣١ .

ناقل ولا راو أنه سماكم مارقة وأخبر عنكم وذكركم أنكم كلاب أهل النار .
فقيل : يا رسول الله ، ما معنى مارقة ؟ قال : « يمرقون من الدين كما يمرق السهم
من الرميَّة » . يعنى يخرجون من الدين وأنتم بإجماع الأمة مارقون خارجون من
دين الله لا اختلاف بين الأمة فى ذلك مع أن أفعالكم من إهراق دماء المسلمين
وتكفيركم السلف والخلف ، واستحلالكم لما حرم الله عليكم ظاهرة شاهدة
عليكم بأنكم خارجون من الدين داخلون فى البغى والفسوق ، ومنهم فرق تبلغ
بهم أعمالهم وأقاويلهم الكفر سنذكرهم إذا أتينا على ذكرهم إن شاء الله .

وأما الثانية من الخوارج : فهم الأزارقة ، والعمرية ، أصحاب عبد الله[1] بن
الأزرق وعمر بن قتادة ، وهؤلاء أقل الخوارج شراً لأنهم لا يرون إهراق دماء
المسلمين ، ولا غنم أموالهم ، ولا سبى ذراريهم ، ولكن يقولون : المعاصى كفر ،
ويتبرؤن من عثمان ، وعلىّ ويتولون أبا بكْر ، وعمر ، وهم أصحاب ليل وورع
واجتهاد ، وقد فقد هؤلاء بحمد الله ، لم يبق منهم أحد .

وأما الثالثة : فهم أصحاب شبيب الخارجى ، خرج على الحجاج بن يوسف
فى خمسة وسبعين رجلا من قومه من جبال عُمان ، فهزم للحجاج أربعة جيوش
حتى دخل الكوفة ، وصعدت امرأته منبر الكوفة وخطبت ، ولعنت الحجاج ،
وبنى مروان على المنبر ، وكانت جعلت ذلك عليها نذراً فوفت بنذرها ، ثم خرج
إلى الأهواز ونواحيها ، فكان لا يقوم له جيش ، وكان أشجع الناس وأفرسهم ،
وذلك أن أمه ماتت ، وأرضع بلبن أتان لهم ، فخرج شديد البدن ، وكان لا يقتل
أحداً ، ولا يسبى ، ولا يستحل شيئاً مما حرم الله إلا ما يستحله من الحجاج

---

(١) عند الجمهور : نافع بن الأزرق وعند الفخر أبو نافع راشد بن الأزرق ولعل
الصواب أبو راشد نافع بن الأزرق (ز) .

وأصحابه ، غير أنه كان يكفر السلف والخلف ، ويتبرأ من الختنين[١] ، ويتولى الشيخين . وكان آخر أمره أن جنح به فرسه فرمى به فى دجله فغرق فشق بطنه وأخرج فؤاده أسود كالحجر ، فكانوا يضربون به الأرض ، فيرتفع قامة الرجل من صلابته وغلظه ، وقد تفرق أصحابه بعد هلاكه ، فلم ير منهم أحد إلى اليوم .

وأما الفرقة الرابعة : فهم النجدية [النجدات] أصحاب نجدة الحرورى ، خرج من جبال عُمان ، فقتل الأطفال ، وسبى النساء ، وأهرق الدماء ، واستحلّ الفروج والأموال ، وكان يكفر السلف والخلف ، ويتولى ويتبرأ ، وكان رديا مرديا حتى قتل ، وكان يقول : الاستطاعة مع الفعل .

والفرقة الخامسة من الخوارج : هم الإباضية ، أصحاب إباض[٢] بن عمرو خرجوا من سواد الكوفة ، فقتلوا الناس ، وسبوا الذرية ، وقتلوا الأطفال ، وكفروا الأمة ، وأفسدوا فى العباد والبلاد ، فمنهم اليوم بقايا بسواد الكوفة .

والفرقة السادسة الصفرية : وهم أصحاب المهلَّب بن أبى صُفْرة[٣] خرجوا على الحجاج مع يزيد بن المهلب ، فقاتلوا الحجاج ولم يؤذوا الناس ولا كفروا الأمة ، ولا قالوا بشىء من قول الخوارج الذين تقدم ذكرهم حتى هزمهم الحجاج وأبادهم ، ودخل يزيد فى طاعته بعد ذلك .

---

(١) هما ختنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : عثمان وعلى .

(٢) انفرد عن باقى كتب النحل بتسمية زعيم هذه الفرقة بهذا الاسم (ز) .

(٣) والجمهور على أنها نسبة إلى زياد بن الأصفر الخارجى . وكان المهلب يحارب الخوارج ولا يحارب عنهم ، ولعله أراد بأصحاب المهلب الذين حاربهم المهلب ، وعلى كل حال فيه وقفة (ز) .

والفرقة السابعة الحرورية : يقولون بتكفير الأمة ويتبرؤن من الختنين ، ويتولون الشيخين ، ويسبون ، ويستحلون الأموال والفروج ، ويأخذون بالقرآن ولا يقولون بالسنة أصلا ، وإذا تطهر منهم الرجل أو المرأة للصلاة لا يبرح ولا يمشى أصلا حتى يصلى فى المكان الذى تطهر فيه ، وزعموا أنه إذا مشى الرجل تحرك شرجه وانتقضت طهارته ، ويستنجون بالماء ، وإذا خرجت منهم الريح لم يتطهروا للصلاة خلافا لجميع الأمة ، ولا يصلون فى السراويل ، ويقولون : السراويل جب الفقاح ، وتقاتل نساؤهم على الخيل مضمرات كما يقاتل رجالهم ، وهم بناحية سجستان ، وهراة ، وخراسان ، وهم عالم كثير لا يعرف عددهم إلا الله ، وهم أصحاب خيل وشجاعة .

وأما الفرقة الثامنة : فهم الحمزية[1] ، يقولون بكل قول الحرورية ، غير أنهم لا يستحلون أخذ مال أحد حتى يقتلوه ، فإن لم يجدوا صاحب المال لم يتناولوا من ذلك المال شيئاً دون أن يظهر صاحبه فيقتلوه ، فإذا قتلوه حينئذ استحلوا ماله قد جعلوا هذا شريعة لهم .

والفرقة التاسعة : الصليدية[2] من الحمزية أيضاً يقولون بقول الحرورية والحمزية ويقتلون ويستحلون الأموال على الأحوال كلها ، وهم أشر الخوارج وأقذرهم ، وأكثرهم فساداً ، ولهم عدد وجمع بناحية سجستان ونواحيها .

والفرقة العاشرة من الخوارج : هم الشراة الذين يكفرون أصحاب المعاصى

---

(١) نسبة إلى حمزة الخارجى ، وفى اسم أبيه تلاعبت الأقلام ، فعند نشوان الحميرى « أدرد » من الدرداء فى الأسنان ، وعند الشهرستانى « أدرك » وفى طبعة بدر للفرق « أكرك » . ولعل الصواب هو الأول (ز) .

(٢) بل الصلتية نسبة إلى الصلت بن عثمان (ز) .

فى الصغائر والـكبائر ، ويتبرؤن من الختنين : عثمان وعلىّ ، ويتولون الشيخين : أبا بكر ، وعمر ، وهم لا يستحلون أموال الناس ولا يسبون النساء ، ولا يخالفون فى دين ولا سنة ، وهم يقولون : العصاة كفار نعمة لا كفار شرك ، وهم فى ناحية هراة ، واصطخر بين دارابجرد ، وكرمان ، ولهم كتب وضعوها على تصحيح مذهبهم ، فيها حجج وكلام صعب ، وفيهم علماء ، وفقهاء ، ولهم مروءة ظاهرة ، ودنيا واسعة وخصب ، وقد ظهر فيهم اليوم مذاهب المعتزلة ، فمنهم من ترك مذهبه وقال بالاعتزال ، فنعوذ بالله من الضلال كله ، وقد ذكرت جملا أشرحها لك على النسق بعد ذكرى لمتشابه القرآن وما أشبه ذلك إن شاء الله ، نفعنا الله وإيا كم ونسأله الزيادة فى العلم والعمل .

باب ذكر متشابه القرآن :

قال أبو الحسين : هلـكت الزنادقة وشـكوا فى القرآن حتى زعموا أن بعضه ينقض بعضاً فى تفسير الآى المتشابه كذباً وافتراء على الله جل اسمه من جهلهم بالتفسير للآى المحـكم ، الذى زاد الله المؤمنين به إيماناً وتصديقاً ، فقال المؤمنون : آمنا به ونحن به مؤمنون مقرون أن بعضه يصدق بعضاً ، واعلم — أحسن الله توفيقنا وإياك — أن للقرآن وجوهاً كثيرة ومواطن ومواضع منه خاص وعام : (لا يَعْلَمُ تأويلَهُ إلا اللهُ والراسِخُونَ فى العِلمِ يَقُولُونَ آمنَّا بِهِ وما يذَّكَّرُ إلاَّ أولُوا الألبابِ)[1] ، وأيضاً فمن طَلَبَ عِلْمَ ما أشكلَ عليهِ ومِنْ ذلك عند أهلِ العِلم به من ثقات العلماء وجد مطلبه ، ولعمرى : إن أهل الأهواء فى مثل ذلك اختلفوا وضلوا ، وهذه جملة جاءت

---

(١) سورة آل عمران مدنية .

بها الرواية ، وأخذناها عن الثقات عن مقاتل بن سليمان[١] ، إن تدبرت ذلك نفعك إن شاء الله .

قال مقاتل : أما ما شكت فيه الزنادقة فى مثل هذه الآية ونحوها من قوله جل ثناؤه : (هذا يَوْمُ لا ينطِقُونَ * ولا يُؤْذَنُ لهم فَيَعْتَذِرُون)[٢] ، ثم قال فى آية أخرى : (ثُمَّ إنَّكم يَوْمَ القيامةِ عِنْدَ رَبِّكم تختَصِمُون)[٣] ، فهذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً ، وليس بمنتقض ، ولكنهما فى تفسير الخواص فى المواطن المختلفة .

أما تفسير (هذا يومُ لا ينطِقُونَ ، ولا يُؤْذَنَ لهم فَيَعْتَذِرُونَ) فأولُ ما يجتمع الخلائق بعد البعث فهم لا ينطقون فى ذلك الموطن (ولا يُؤْذَنَ لهم فَيَعْتَذِرُن) ، قال : مقدار ستين سنة ثم يؤذن لهم فى الكلام فيكلم بعضهم بعضاً : (ثُمَّ إنكم يوم القيامةِ عِنْدَ رَبكم تَختَصِمُون) عند الحساب ثم يقال لهم : (قال لا تَختَصِمُوا لَدَىَّ وقَدْ قدَّمتُ إلَيْكم بالوعيد)[٤] بعد الحساب .

وأما قوله جل ثناؤه : (ونَحْشُرهُمْ يوم القِيامةِ عَلَى وُجُوهِهم عُمْياً وبُكماً وصُماً)[٥] ، وقال فى آية أخرى : (ونادَى أصحابُ النَّارِ أصحابَ الجَنَّة)[٦] فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً ، يقول : هم بكم ، ونادى أصحاب النار وليس بمنتقض ، ولكنها فى تفسير الخواص فى المواطن المختلفة .

---

(١) هذا من المجسمة ، ولا يعول عليه إلا فيما لا يمس معتقده ، والكلام فيه طويل الذيل (ز) .

(٢) سورة المرسلات مكية ٣٥ و ٣٦

(٣) سورة الزمر مكية ٣١ .

(٤) سورة ق : مكية ٢٨

(٥) سورة الإسراء مكية ٩٧ .

(٦) سورة الأعراف : مكية ٥٠

وأما قوله : (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) فإنهم أول ما يدخلون النار ينادون أهل النار : (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ)[١]، وينادون أصحاب الجنة : (أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ)[٢] (وَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ)[٣]، فيتركهم مقدار سبعة آلاف سنة أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يقول عز وجل سبحانه فى آخر ذلك : (اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)[٤]، فمنذ ذلك صاروا عمياً وبكماً وصماً لا يستطيعون الكلام ولا يسمعون ولا يبصرون ؛ فهذا تفسيرها .

وأما قوله عز وجل : (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)[٥]، فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً حين قال : (وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) وقال فى آية أخرى : (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ)[٦] وليس بمنتقض ولكنهما فى تفسير الخواص فى المواطن المختلفة .

فأما تفسير (فلا أنسابَ بينهُمْ يومئذٍ ولا يتساءلون) : فإذا نفخ فى الصور النفخة الثانية قام الخلائق من قبورهم فلا أنساب بينهم فى ذلك الموطن ولا يعطف بعضهم على بعض قريب لقرابته حتى ينجو من الحساب إلى الجنة ولا يسأل بعضهم بعضاً ، فذلك قوله جل ثناؤه : (وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا)[٧]، وذلك قوله : (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ

---

(١) سورة الزخرف : مكية ٧٧ .

(٢) سورة الأعراف : مكية ٥٠ .

(٣) و (٤) و (٥) سورة المؤمنون : مكية ١٠٧ و ١٠٨ .

(٦) سورة الصافات : مكية ٢٧ .

(٧) سورة المعارج : مكية ١٠ .

يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)[١] ، فإذا صاروا إلى الجنة (أقبلَ بعضهم عَلَى بعض يتساءلون) إذا رأى بعضهم بعضا ؛ فهذا تفسيرها .

وأما قوله جل ثناؤه : (وَيَوْمَ نحشُرُهُمْ جميعاً ثمَّ نقولُ لِلَّذِينَ أشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * ثمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتهم إلاَّ أنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)[٢] ، وقال فى آية أخرى : (يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لو تُسَوَّى بهم الأرْضُ ولا يَكْتمون اللهَ حَدِيثاً)[٣] فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضا حيث قالوا : (واللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) ، وليس بمنتقض ولكنهما فى تفسير الخواص فى المواطن المختلفة .

فأما تفسير قول المشركين حيث قالوا : (والله ربنا ما كُنَّا مُشْرِكين) فإنهم لما نظروا يوم القيامة إلى ما يصنع الله بأهل التوحيد من الكرامة ، وكيف يتجاوز عن مساويهم ويَشْفع فيهم الملائكة ، والنبيون ، والمؤمنون بعضهم فى بعض ، قال المشركون عند ذلك : تعالوا نكتم الشرك ، فلما سئلوا : (أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتم تَزْعُمُونَ ؟) قالوا : (وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) ، فلما كتموا الشرك ختم الله على ألسنتهم واستنطق جوارحهم وأيديهم وأرجلهم فذلك قوله : (اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ) يعنى بعد ما كتمت الألسن الشرك (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِم وَتَشهَدُ أَرْجُلُهُمْ) بالشرك (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[٤] ، يعنى بما كانوا يعملون ، وقال فى حم السجدة : (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُم ، ولا أَبْصَارُكُمْ ، ولا جُلُودُكُم ، ولكن ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ

---

(١) سورة عبس : مكية ٣٤ - ٢٧ . (٢) سورة الأنعام : مدنية ٢٢ و ٢٣

(٣) سورة النساء : مدنية ٢٤ . (٤) سورة يس : مكية ٦٥ .

لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ)[١] يعنى بما كنتم تعملون من الشرك ، فذلك قوله فى سورة النساء : (يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً)[٢] يعنى يودون حين شهدت عليهم الجوارح بالشرك لو سويت بهم الأرض فدخلوا فيها ، ثم ذكر الجوارح فقال : (ولا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً) يعنى بالجوارح الأيدى ، والأرجل ، والأسماع ، والأبصار ، والجلود ، ولا يكتمون الله الشرك فيشهدون به عليهم عند الله ، فذلك قوله (ولا يكتمونَ اللهَ حَدِيثاً) يعنى بالجوارح ، وذلك قوله : (بَلْ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)[٣] يقول : بل جوارح الكافر على نفسه شاهدة بالشرك ، فلما شهدت الجوارح بما كتمت الألسن من الشرك أطلق الله الألسن فنطقت بعد ذلك فقالت للجوارح . وبيان ذلك فى حم السجدة : (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[٤] فى الدنيا ثم اعترفت الألسن بعد ذلك بالشرك ، فلما سألتهم الخزنة عند دخول النار فى سورة الزمر قالوا : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا بَلَى وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ)[٥] ، وذلك قوله فى تبارك الملك : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَىْءٍ ، إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِى ضَلَالٍ كَبِيرٍ)[٦] ، فلما أقروا على أنفسهم بالشرك والتكذيب بقول الله عز وجل للنبى صلى الله عليه وسلم : (فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ)[٧] يعنى تكذيبهم الرسل فيما جاءت به من التوحيد وغيره ؛ فهذا تفسيرها .

---

(١) سورة فصلت : مكية ٢٢ (٢) النساء : مدنية ٤٢ .

(٣) سورة القيامة : مكية ١٤ (٤) سورة السجدة : وفصلت مكية ٢١ .

(٥) سورة الزمر : مكية ٧١ (٦) و (٧) سورة تبارك : مكية ٨ و ١١ .

وأما قوله جل ثناؤه : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ)[١] ، وقوله : (يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرا)[٢] ، وقوله : (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً)[٣] ، فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً وليس بمنتقض ولكنهما فى تفسير الخواص فى المواطن المختلفة .

فأما تفسير (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرا) فإنهم من أول ما بُعثوا من القبور نظروا إلى ما كانوا يكذبون به فى الدنيا من البعث استقلوا مكثهم فى القبور فتشاوروا بينهم وقالوا : (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرا) يعنى ما لبثتم إلا عشر ليال ، ثم استكثروا عن أفعال أمثالهم وأبوا فى أنفسهم (إن لبثتم) يعنى ما لبثتم (إلا يوماً) يعنى يوماً واحداً من أيام الدنيا ، ثم استكثروا أيضاً يوماً ، فاتفق رأيهم على أنهم لم يلبثوا إلا ساعة من نهار من أيام الدنيا وذلك قوله : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ)[٤] ، يقول الله عز وجل : (كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ)[٥] يعنى هكذا كانوا يكذبون فى الدنيا ، كما كذبوا فى الآخرة حتى حين بعثهم ؛ فهذا تفسيرها .

وأما قوله جل ثناؤه : (يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لاَ عِلْمَ لَنَا)[٦] . وقال فى آية أخرى : (وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ)[٧] ، فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً وليس بمنتقض ولكنهما فى تفسير الخواص فى المواطن المختلفة .

---

(١) سورة الروم : مكية ٥٥ (٢) و (٣) سورة طه : مكية ١٠٣ و ١٠٤ .

(٤) و (٥) سورة الروم : مكية ٥٥ (٦) سورة المائدة : مدنية ١٠٩ .

(٧) سورة هود : مكية ١٨ .

فأما تفسير (يومَ يَجْمعُ الله الرسُل فيقولُ ماذا أُجِبْتُم قالوا لا عِلْمَ لنا) فإنه أول ما يبعث الخلائق قاموا مبهوتين فسئلت الرسل (ماذا أُجِبْتُم) فى التوحيد (قالوا لا عِلْمَ لَنَا) ، ثم رجعت إليهم عقولهم بعد ذلك ، فلما سئلوا أخبروا بماذا أجيبوا فذلك قوله : (ويقولُ الأشْهَادُ) يعنى الرسل يوم القيامة (هَؤلاءِ الذينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِم) فزعموا أن له شريكا فهذا تفسيرهما .

وأما قوله جل ثناؤه : (لا تُدْرِكُه الأبصارُ[1]) وقال فى آية أخرى : (وُجُوهٌ يَومئذٍ نَاضِرةٌ إلى رَبِّهَا ناظِرةٌ[2]) ، فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً ، وليس بمنتقض ، ولكنهما فى تفسير الخواص فى المواطن المختلفة .

فأما تفسير (لا تُدْرِكُه الأبصارُ) يعنى لا يراه الخلق فى الدنيا دون الآخرة ، ولا فى السموات دون الجنةَ ، وقوله : (وُجوهٌ يومئذٍ نَاضرةٌ * إلى رَبِّها ناظرة) يعنى يوم القيامة (ناضِرة) يعنى الحسن والبياض يعلوها النور (إلى رَبِّها نَاظِرة) ينظرون إلى الله عز وجل يومئذ معاينة فهذا تفسيرهما .

وأما قوله حيث قال موسى صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل : (رَبِّ أرِنِي أنظُرْ إليكَ قال لَنْ تَرانى[3]) ، وقال فى آية أخرى لمحمد صلى الله عليه وسلم : (وَلَقَدْ رآه نزلةً أُخْرَى[4]) فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً وليس بمنتقض ولكنهما فى تفسير الخواص فى المواطن المختلفة .

فأما تفسير قوله جل اسمه لموسى عليه السلام (لَنْ ترانى) ، قال موسى لما

---

(١) سورة الأنعام : مكية ١٠٣

(٢) سورة القيامة : مكية ٢٢ و ٢٣ .

(٣) سورة الأعراف : مكية ١٤٣ .

(٤) سورة النجم مكية : ١٣ .

سمع كلام ربه بأرض القدس اشتاق إلى رؤيته فقال : (رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إليكَ) فقال الله عز وجل : (لَنْ تَرَانِي) يعنى فى الدنيا ، فأما فى الجنة فإن موسى وغيره يرونه فى الجنة معاينة .

وأما تفسير قوله لمحمد صلى الله عليه وسلم : (ولقد رآه نزلةً أخرى) فقال : رآه فى الجنة ليلة أُسرى به ، تصديق ذلك قوله : (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى[1]) فذلك قوله : (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى[2]) يقول ما مال بصر محمد عن رؤية ربه حين رآه نظر إليه فى جنة المأوى وما ظلم كما قال موسى : (تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ[3]) فقد كان إبراهيم ، ونوح ، وآدم صلى الله عليهم وغيرهم مؤمنين قبل موسى عليه السلام . ولكن قول موسى (وأَنَا أولُ المؤمنين) يعنى أنا أول المصدقين بأنك لن ترَى فى الدنيا ، وكما قال فى سحرة فرعون : (أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ[4]) يعنى أول المصدقين من أهل مصر من بنى إسرائيل بما جاء به موسى عليه السلام من التوحيد ، وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم : (وأَنَا أولُ المسلمين[5]) يعنى من أهل مكة خاصة وقد كان قبله مسلمون فى الأمم الخالية فهذا تفسيرهما فى المواطن .

وأما قوله جل ثناؤه : (وما كانَ لبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أو يُرْسِلَ رَسولاً فَيوحِيَ بإذنِهِ ما يَشَاءُ إنَّهُ عَلِيٌّ حَكيمٌ[6]) وقال فى آية أخرى : (وَلو تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِم قال أَلَيْسَ هذا بالحقِّ

---

(١) و (٢) سورة النجم : مكية ١٤ - ١٧

(٣) سورة الأعراف : مكية ١٤٣ .

(٤) سورة الشعراء : مكية ٥١

(٥) سورة الأنعام : مكية ١٦٣ . (٦) سورة الشورى : مكية ٥١

قالوا بَلَى وربَّنا)[١] فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً وليس بمنتقض ، ولكنهما فى تفسير الخواص فى المواطن المختلفة .

فأما تفسير: (وما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وحْياً أوْ مِنْ وَراءِ حِجَابٍ) كما كلم موسى عليه السلام تكليماً من وراء حجاب ، وأما فى الآخرة فإنه يقف البار والفاجر على ربه يكلمونه بغير حجاب وذلك يوم القيامة كما قال عز وجل فى كتابه ، يكلمهم ويسأل عن أعمالهم عند الحساب ، فذلك قوله جل ذكره : (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أجمَعِينَ * عَمَّا كانُوا يَعمَلُون)[٢]، فإذا صاروا إلى الجنة أهل الجنة ، وأهل النار إلى النار فإنه يكلم أهل الجنة ولا يحتجب عنهم ، وأما الكفار فإنه (ولا يكلمهم الله[٣]) يعنى بعد الحساب ، (وَلاَ يَنْظُرُ إليهِمْ يوْمَ القِيامَةِ) بعد الحساب (وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ولَهُمْ عذابٌ أليمٌ) .

باب فى تفسير اختلاف المواضع :

وأما قوله عز وجل : (أَدْخِلوا آلَ فرعونَ أَشدَّ العذابِ)[٤] وقال فى آية أخرى : (إنَّ المنافِقينَ فى الدَّرْكِ الأسْفلِ مِنَ النَّارِ)[٥] ، فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً وليس بمنتقض ولكنهما فى تفسير الخواص فى المواطن المختلفة .

فأما تفسير قوله : (أدخِلوا آلَ فِرْعونَ أشَدَّ العَذابِ) يعنى فى الباب الذى هم فيه ، وأما تفسير : (إنَّ المنافِقينَ فى الدَّرْكِ الأسفلِ مِنَ النَّارِ) فهم فى أسفل درك من جهنم فهذا تفسيرهما .

---

(١) سورة الأنعام : مكية ٣٠ .
(٢) سورة الحجر : مكية ٩٢ و ٩٣
(٣) سورة آل عمران مدنية ٧٧ .
(٤) سورة المؤمن : مكية ٤٦ .
(٥) سورة النساء : مدنية ١٤٥ .

وأما قوله جل ذكره لأهل النار : (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ[١]) وقال فى آية أخرى : (ولا طَعَامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ[٢]) وقال فى آية أخرى : (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ[٣]) ، فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً وليس بمنتقض ، ولكن تفسيرهن عند الخواص فى المواضع المختلفة .

أما تفسير : (لَيْسَ لهم طعَام إلاَّ من ضريع) يعنى فى الباب الذى هم فيه ، وقوله : (ولا طعامٌ إلا منْ غِسْلِينٍ) ، يعنى فى الباب الذى هم فيه ، وقال : (إن شَجرةَ الزَّقُّوم طَعامُ الأثيم) : يعنى طعام أهل الجحيم .

وأما قوله : (وأَنَّ الكَافِرِينَ لا مَوْلَى لهم[٤]) وقوله فى آية أخرى : (ثم رُدُّوا إلى اللهِ مَوْلاهُمُ الحقِّ * وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كَانُوا يَفْتَرُونَ[٥]) فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً ، وليس بمنتقض ولكنهما من تفسير الوجوه المختلفة .

فأما تفسير : (وأَنَّ الكافِرِينَ لا مَوْلى لهم) يعنى لا يتولاهم إلا الله سبحانه فى العون ، مثل قوله للنبى صلى الله عليه وسلم (فإنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاه) فى العون له . وأما تفسير قوله للكافرين : (ثُم رُدُّوا إلى مَوْلاهم الحقِّ) يعنى ثم ردوا إلى الله فى الآخرة ربهم ومولاهم الحق لأنهم اتخذوا فى الدنيا أرباباً باطلا أولياء من دون الله ، فلذلك قال : (ثُمَّ رُدُّوا إلى مولاهم الحق * وضَلَّ عَنْهُم ما كانُوا يَفْتَرُون) وهذا تفسيرهما .

---

(١) سورة الغاشية : مكية ٦ . (٢) سورة الحاقة : مكية ٣٦ .
(٣) سورة الدخان : مكية ٤٣ و ٤٤ . (٤) سورة محمد : مدنية ١١ .
(٥) سورة الأنعام : مكية ٦٣ و ٢٤ .

وأما قوله جل ثناؤه : (وأقسطوا إنّ الله يحبُّ المقسطين[١]) وقوله : (وأمّا القاسطون فكانوا لجهنم حطبا[٢]) فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً ، وليس بمنتقض ولكن تفسيرهما فى الوجوه مختلف .

فأما تفسير : (وأقسطوا إنّ) ، فإنه يقول : واعدلوا (إن الله يحب المقسطين) يعنى يحب الذين يعدلون فى القول والفعل . وأما تفسير : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) يعنى وأما العادلون به يعنى الذين يشركون معه غيره (فكانوا لجهنم حطبا) فهذا تفسيرهما .

وأما قوله جل ثناؤه : (والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضهم أولياء بعض[٣]) . وقال فى آية أخرى : (والذينَ آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء[٤]) فكانَ هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً وليس بمنتقض . ولكن تفسيرها فى الوجوه مختلف .

فأما تفسير : (والمؤمنونَ والمؤمناتِ بعضهم أولياء بعضٍ) يعنى فى دين الإسلام وتفسير (الذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا) فى المواريث حتى يهاجروا ، ثم نسختها : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض[٥]) فأشرك جميع المؤمنين ، والإخوان فى المواريث ، ومن لم يهاجر ، فهذا تفسيرهما[٦] .

---

(١) سورة الحجرات : مدنية ٩ . (٢) سورة الجن : مكية ١٥ .

(٣) سورة التوبة : مدنية ٧١ .

(٤) و (٥) سورة الأنفال : مدنية ٧٢ و ٧٥ .

(٦) كتب بعضهم بالهامش : ثم نسختها (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين . . الآية) سورة النساء : مدنية ١١ .

وأما قوله جل اسمه لإبليس : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ)[١]
وقال فى آية أخرى قول موسى عليه السلام حين قتل النفس : (هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)[٢] ، يعنى من تزيين الشيطان من غير كفر كما زين لآدم عليه السلام ، ولإخوة يوسف ، وغيرهم فأزلهم ، وكانوا من أفاضل عباد الله المخلصين ، فهذا تفسيرهما .

وأما قوله لإبليس : (إنما سُلْطَانُه عَلَى الذين يتولونه)[٣] يعنى المشركين .
وقول إبليس فى آية أخرى : (وما كان لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ)[٤] فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً ، وليس بمنتقض ولكنهما فى تفسير الوجوه المختلفة .

فأما قوله عز وجل لإبليس : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) يعنى عباد الله المخلصين خاصة لمن استثنى عز وجل أنهم فى علمه مؤمنون ، فإنه ليس لإبليس عليهم سلطان أن يستزلهم عن التوحيد إلى الشرك خاصة بدعايته وتزيينه ووسوسته . فأما الذنوب دون الشرك فهو يستزلهم . وذلك قول موسى عليه السلام حين قتل النفس : (هذا من عمل الشيطان) يعنى من تزيين الشيطان من غير كفر كما زين لآدم عليه السلام ولإخوة يوسف عليه السلام ، وغيرهم فأزلهم ، وكانوا من أفاضل عباد الله المخلصين ، فهذا تفسيرهما .

فأما تفسير قوله سبحانه لإبليس : (إنما سُلْطَانُه عَلَى الذين يَتَوَلَّوْنَه) يعنى سلطانه فى الدعاء إلى الشرك والتزيين والوسوسة فى أمر الشرك (عَلَى الذين

---

(١) سورة الحجر : مكية ٤٢ . (٢) سورة القصص : مكية ١٥ .
(٣) سورة النحل : مكية ١٠٠ . (٤) سورة إبراهيم : مكية ٢٢ .

يَتَوَلَّوْنَهُ) يعنى إبليس والذين هم بالله مشركون ، فذلك قوله : (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ)[١] يعنى بدعائك ، وكذلك هى فى قراءة ابن مسعود . وقال فى آية أخرى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا)[٢] ، يعنى تغريهم إغراء ، وتزعجهم فى الكفر إزعاجاً بالدعاء والتزيين .

وأما تفسير قول إبليس : (وما كَانَ لِى عَلَيْكُم مِنْ سُلْطَان) يقول : ولم يكن لى عليكم من الملك ما أقهركم على الشرك ، وتصديق ذلك قوله : (إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُم لى)[٣] ، فهذا تفسيرها .

وأما قوله عز وجل للكفار : (إِنَّا نَسِينَاكُم)[٤] وقال فى آية أخرى : (لا يَضِلُّ رَبِّى وَلاَ يَنسَى)[٥] ، فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً وليس بمنتقض ولكنهما فى تفسير الوجوه المختلفة .

فأما تفسير الوجوه قول الله تبارك وتعالى : (إِنَّا نَسِينَاكُم) فإنه يقول للكفار حين أدخلهم النار : إنا تركناكم فى العذاب ، ولا ينسى الرب تبارك وتعالى شيئاً أبداً ، ولا يذهب من حفظه ولكنه كما قال أيضاً : (نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ)[٦] ، يقول : تركوا الإيمان بالله ، فتركهم الله سبحانه من ذكره ، وكما قال : (ما نَنْسَخْ مِنْ آية أو نُنْسِها)[٧] ، يعنى نتركها كما هى فلا ننسخها ، وأما قوله عز وجل : (لاَ يَضِلُّ رَبى وَلاَ يَنْسى) ، يعنى لا يخطىء ما فى الكتاب (وَلا ينسى) يعنى ولا يذهب من حفظه أبداً فهذا تفسيرها .

---

(١) سورة الإسراء : مكية ٦٤ .
(٢) سورة مريم : مكية ٨٣ .
(٣) سورة إبراهيم : مكية ٢٢ .
(٤) سورة السجدة : مكية ١٤ .
(٥) سورة طه : مكية ٥٢ .
(٦) سورة التوبة : مدنية ٦٧ .
(٧) سورة البقرة : مدنية ١٠٦ .

وأما قوله : (ونحشُره يَوم القِيامةِ أَعْمِى)[١] ، وقال فى آية أخرى : (فَبَصُركَ اليوم حَديدٌ)[٢] ، فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً ، وليس بمنتقض ولكنهما فى تفسير الوجوه المختلفة .

وأما قوله : (وَنحْشُرهُ يَوْمَ القيامةِ أَعْمَى) عن حجته . وأما قوله : (فَبَصَرُكَ اليومَ حَديدٌ) فإذا بعث الله عز وجل الكافر من قبره فنظر إلى البعث الذى كان يكذب به فى دار الدنيا ، وذلك كشف الغطاء عنه فبصره عند ذلك حديد ، أى شاخص بصره لا يطرف ، فهذا تفسيرها .

باب تفسير متشابه صلات الكلام :

أما قوله عز وجل لموسى عليه السلام : (إِنَّا مَعَكُم مُسْتَمِعُونَ)[٣] ، وقال فى آية أخرى : (إِنَّنِي مَعَكما أَسْمعُ وَأَرَى)[٤] . وقال فى آية أخرى : (إِنَّا نَحْنُ نحْيِي ونُمِيتُ)[٥] . وقال فى آية أخرى : (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الموتى)[٦] ونحو ذلك مما ذكر فى نفسه جل ذكره ، مِمَّا يشبه كلام الجماعة والفرد فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً وليس بمنتقض ولكن تفسيرهما فى صلات الكلام مشتبه .

أما قوله يخبر عن نفسه من نحو قوله : (إنا نحن نحيي ونميت) ، وقلنا وفعلنا وأشباه ذلك من الكلام ، فهو صلة فى الكلام ، وهو من كلام الله وحده ، وهذا كلام الملوك . يقول الملك وحده : قد أمرنا لك بكذا وكذا . ونحن نعطيك

---

(١) سورة طه : مكية ١٢٤ .
(٢) سورة ق : مكية ٢٢ .
(٣) سورة الشعراء : مكية ١٥ .
(٤) سورة طه : مكية ٤٦ .
(٥) سورة ق : مكية ٤٣ .
(٦) سورة القيامة : مكية ٤٠ .

كذا وكذا ، ولا يحسن هذا القول لغير الملوك ، وأن الله سبحانه ملك الملوك ، وهذا من قوله ، وهو واحد لا شريك له فى الملك ، ولا فى شىء من الأشياء ، فهذا تفسيرهما .

وأما قوله لآدم عليه السلام : (خَلَقَهُ مِنْ تُرَاب)[١] ، وقال فى آية أخرى : (خَلَقَ الأنسانَ مِنْ صَلْصَال كالفَخَّار)[٢] . وقال فى آية أخرى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)[٣] . فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً وليس بمنتقض ، ولكن تفسيرهن فى اختلاف الحالات مشتبه .

أما قوله لآدم : (خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ) فإن بدء خلقه كان من تراب من أديم الأرض فذلك قوله : (خلقه من تراب) . فحول التراب بالماء إلى الطين . فذلك قوله : (وَبدأ خَلْقَ الإنسانِ مِنْ طِين)[٤] . فصار طيناً إذا قبض عليه انسل فذلك قوله : (ولَقَدْ خَلَقنا الإنسانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِين)[٥] . فتركه حتى تغير ريحه فذلك قوله : (مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) يعنى من حمإ متغير الريح ، وكان طيناً لاصقاً جيداً فذلك قوله : (طين لازب)[٦] ، يعنى لاصقاً جيداً ، ثم صوره فتركه مصوراً حتى جف فإذا حُرِّك صار له قعقعة بمنزلة الطين الجيد إذا ذهب عنه الماء تشقق وصار له صوت كصوت الفخار . فذلك قوله : (خَلَقَ الإنسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ) . ثم نفخ فيه الروح فصار لحماً ودما ، فأراد أن ينهض قبل أن تتم الروح فيه فذلك قوله : (خُلِقَ الإنسانُ مِنْ عَجَلٍ)[٧] ، (ثم جَعَلَ نَسْلَهُ

---

(١) سورة آل عمران : مدنية ٥٩ . (٢) سورة الرحمن : مكية : أومدنية ١٤ .
(٣) سورة الحجر : مكية ٢٦ . (٤) سورة السجدة : مكية ٧ .
(٥) سورة المؤمنون : مكية ١٢ . (٦) سورة الصافات : مكية ١١ .
(٧) سورة الأنبياء : مكية ٣٧ .

مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ)[١] يعنى خلق ذريته من النطفة التى تنسل من الإنسان ، والمهين الضعيف .

وأما قوله جل ثناؤه : (قالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ)[٢] ، وقوله فى آية أخرى : (لا يَذُوقُونَ فيهَا الموتَ إلا الموتَةَ الأُولَى)[٣] ، فكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً وليس بمنتقض ولكن تفسيرهما فى وجوه الحالات مشتبه .

أما قوله : (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) ، يعنى كنا نطفاً ميتة ليست فيها أرواح فخلقتنا من تلك النطفة ، فجعلت فينا أرواحا ، فهذه موتة وحياة يعنى[٤] بالموتة ، والحياة الحياة الثانية حين أماتهم فى الدنيا عند آجالهم ثم يحييهم يوم القيامة فهذه موتة وحياة أخرى ، تصديق ذلك فى سورة البقرة حيث يقول للكفار وهم أحياء فى الدنيا : (كَيفَ تَكْفُرونَ باللهِ وكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْيا كُم)[٥] ، يقول : كنتم نطفاً ميتة ليست فيها أرواح فخلقكم وجعل فيكم أرواحا ثم يميتكم عند آجالكم فى الدنيا ، ثم يحييكم فى الآخرة ، فهاتان موتتان وحياتان ، فهذا تفسيرهما .

باب تفسير اشتباه التقديم فى الكلام :

أما قوله عز وجل : (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ فى سِتَّةِ أَيامٍ

---

(١) سورة السجدة مكية ٨ .

(٢) سورة المؤمن « غافر » : مكية ١١ . (٣) سورة الدخان : مكية ٥٦ .

(٤) هكذا وردت العبارة فى الأصل ويبدو أن صحتها : ويعنى بالموتة والحياة الثانية الحياة حين أماتهم فى الدنيا عند آجالهم ثم يميتهم يوم القيامة الخ .

(٥) سورة البقرة : مدنية ٢٨ .

وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)[١] . فـكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً ، وليس بمنتقض ولـكن تفسيرهما فى وجوه تقديم الـكلام مشتبه .

أما تفسير قوله : (إِنَّ رَبَّـكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ فى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً ، وَالشَّمْسُ وَالقَمَرَ وَالنجوم مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، أَلاَ لَهُ الخَلْقَ وَالأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللهُ رَبَّ العالمين)[١] فيها تقديم . يقول : كان استواؤه على العرش قبل خلق السموات والأرض[٢] والله تعالى فوق العرش ، فهذا تفسيرهما .

وأما قوله عز وجل : (قُلْ أَئِنَّـكُمْ لَتَـكْفُرُونَ بالذى خَلَقَ الأَرْضَ فى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَـلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّماء وَهِىَ دُخَانٌ)[٣] .

وقال فى آية أخرى : (أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْـكَهَا فَسَوَّاهَا)[٤] ، إلى قوله : (والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا)[٥] . فـكان هذا عند من يجهل التفسير ينقض بعضه بعضاً وليس بمنتقض ، ولـكن تفسيرهما فى وجوه تقديم الـكلام مشتبه .

أما قوله : (أَئِنَّـكُمْ لَتَـكْفُرُونَ بالذى خَلَقَ الأَرْضَ فى يَوْمَينِ) إلى

---

(١) سورة هود : مكية ٧ . (٢) سورة الاعراف : مكية ٥٤ .

(٣) فى هذا نزعة حشوية لا يتحمل المقام الإفاضة فيها فليراجع الأسماء والصفات للبيهقى ، وتعويل المؤلف على أقوال مقاتل بن سليمان يوقعه فى أمثال هذه الهفوات الباردة نسأل الله السلامة (ز) .

(٤) سورة السجدة ، أوفصلت : مكية ٩ - ١١ .

(٥) و (٦) النازعات : مكية ٢٧ - ٢٨ - ٣٠ .

قوله (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) فيها تقديم ، وكان استوى إلى السماء قبل ذلك ، والسماء خلقت قبل الأرض ، وذلك (أَوَلَمْ يَرَ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السماء والأرضَ كانَتَا رَتقاً فَفَتَقْنَاهُمَا)[١] كلاهما كانتا ماء ففتقهما ، فأبان بعضها من بعض ، وخرج البخار من الماء كشبه الدخان ، فخلق سبع سموات منه فى يومين قبل خلق الأرض ، وكان موضع الكعبة زبدة على ظهر الماء ، فخلق الأرض بعد ذلك فبسطها من تحت الكعبة فذلك قوله : (والأرض بعد ذلك دَحَاهَا) يعنى بعد خلق السموات (دحاها) يعنى بسطها من تحت الكعبة .

وقال مقاتل : كل شىء فى القرآن (كذلك) يعنى هكذا ، وكل شىء فى القرآن (ذلك) يعنى هذا ، وكل شىء فى القرآن . (تلك) يعنى هذه ، وكل شىء فى القرآن . (لعلهم) يعنى (لكى) وكل شىء فيه (طبع) يعنى ختم ، وكل شىء فى القرآن . (فراشاً) يعنى بساطاً ، وكل شىء فى القرآن . (بساطاً) يعنى فراشاً ، وكل شىء فى القرآن . (لا يفقهون) يعنى يترددون فى الضلالة ، وكل شىء فى القرآن . (جنات تجرى من تحتها الأنهار) يعنى البساتين تجرى الأنهار فى أسفل أشجارها ، وكل شىء فى القرآن . (تجرى من تحتهم الأنهار) يعنى تحت منازلهم وغرفهم ، وكل شىء فى القرآن. (أحبارهم) يعنى علماءهم. (ولا تُغْنِي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً) يعنى لا تغنى نفس كافر عن نفس كافرة شيئاً من المنفعة ، وكل شىء فى القرآن. (لا يُغْنِي مَوْلًى عن مَوْلًى شيئاً) يعنى قريب عن قرابته شيئاً من المنفعة ، وكل شىء فى القرآن. (لا يُؤْخَذُ منها عدل) يعنى فداء ، وكل شىء فى القرآن . (يوم لا ينفعُ) يعنى لا فداء فيه وكل شىء فى القرآن . (خاسِئاً) يعنى صاغراً ، وكل شىء فى القرآن . (اخْسَئُوا) اصغروا ، وكل شىء فى القرآن . (خاسئين) يعنى صاغرين ، وكل شىء فى القرآن . (وقَفَّيْنَا) يعنى تبعنا على آثارهم ، وكل شىء فى

(١) سورة الأنبياء : مكية ٣٠

القرآن . (إنما أمْرُهُ إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ لهُ كُنْ فيكُون) فهو أمر تخليق والقيامة ، وكل شيء في القرآن . (خُطُواتِ الشَّيْطَان) يعنى تزيين الشيطان ، وكل شيء فى القرآن . (حَبِطَتْ أعمالهم) يعنى بطلت أعمالهم ، وكل شيء فى القرآن . (لا تأسَ) يعنى لا تحزن ، وكل شيء فى القرآن . (فادْرَؤا عن أنْفُسِكُم) يعنى فادفعوا ، وكل شيء فى القرآن . (وَيَدْرَؤن) يعنى ويدفعون ، وكل شيء فى القرآن . (فإن آنَسْتُمْ) يعنى رأيتم ، وكل شيء فى القرآن . (قولا سَدِيداً) يعنى عدلا ، وكل شيء فى القرآن (غليظاً) يعنى شديداً ، وكل شيء فى القرآن .(ألَمْ ترَ إلى الذينَ أُوتُوا نَصِيباًمنَ الكتاب) يعنى حظاً من التوراة ، وكل شيء فى القرآن . (لَعنَةُ الله) يعنى عذاب الله ، وكل شيء فى القرآن . (سَعِيراً) يعنى وقوداً ، وكل شيء فى القرآن . (عسى) فهو من الله واجب وكل شيء فيه (الحمدُ لله) يعنى الشكر لله ، وكل شيء فى القرآن. (وَيذرُهُم فى طُغيانهم يَعْمَهُون) يعنى يدعهم فى ضلالتهم فلا يخرجهم ، وكل شيء فى القرآن . (ذَرْهُمْ فى خَوْضِهم) يعنى خل عنهم فى باطلهم يترددون ، وكل شيء فى القرآن . (قد فصَّلنا الآيات) ، وكذلك (نفصِّلُ الآيات)[1] وكل شيء فى القرآن . (اعملوا على مَكَانتكُمْ) يعنى جديلتكم وناحيتكم ، وكل شيء فى القرآن . (يعمل على شاكلته) يعنى على جديلته ، وكل شيء فى القرآن . (وصدف عنها) يعنى أعرض . (سنَجزى الذينَ يَصْدِفون) يعنى عن الحق ، وكل شيء فى القرآن . (نَقْطَع دابرَ القوم الذين ظلموا) يعنى أصل القوم الذين كفروا ، وكل شيء فى القرآن . (ولا تَعْثَوْا فى الأرض مفسدين) يعنى لا تسعوا بالمعاصى ، وكل شيء فى القرآن . (يَبْغونها عِوَجاً) يعنى يريدون ملة الإسلام ، وكل شيء فى

---

(١) يبدو أن هنا حذفاً ، وهو : وكذلك تفصل يعنى نبين ونوضح .

القرآن . (كأن لم يَغنَوْا فيها) يعنى كأن لم يكونوا فيها ، وكل شيء فى القرآن . (وإذ تَأَذَّنَ ربُّكَ) يعنى وإذ قال ربك ، وكل شيء فى القرآن . (زعَمَ الذين كفروا) يعنى قال الذين كفروا قولا كذباً ، وكل شيء فى القرآن . (تالله) يعنى والله ، وكل شيء فيه . (لا جَرَمَ) يعنى حقاً ، وكل شيء فيه . (وَجِلَتْ قلوبهم) يعنى خافت ، وكذلك (وقلوبهم وَجِلَة) وكل شيء فى القرآن . (مُرْدِفين) و (تترى) و (مدراراً) و (أبابيل) فهو متتابع ، وكل شيء فيه . (عذاب مقيم) يعنى دائماً لا ينقطع ، وكل شيء فيه . (عذاب أليم) يعنى وجيعاً ، وكل شيء فيه . (إفْكاً) يعنى كذبا ، وكذلك (المُؤْتَفِكات) يعنى المكذبات ، وكل شيء فيه . (أُولُو الطَّوْل) يعنى السعة ، وكل شيء فى القرآن . (الخوالف) يعنى النساء ، وكل شيء فيه (الخالفين) يعنى من تخلف من الرجال عن الغزو ، وكل شيء فى القرآن . (الفلك المشحون) يعنى السفن الموقرة ، وكل شيء فيه . (فى فَلَكٍ يَسْبَحون) يعنى فى دوران يجرون ، وكل شيء فيه . (يرتدُّوا) ، (يَرْتَدِد) يعنى الرجوع وكل شيء فى القرآن . (الطمس) يعنى التحويل ، وكل شيء فيه . (المغفرة) يعنى التجاوز ، وكل شيء فيه . (غل) يعنى الغش ، وكل شيء فيه . (كظيم) و (مكظوم) يعنى مكروبا ، وكل شيء فيه . (دمرنا تدْميراً) يعنى أهلكنا بالعذاب هلاكا ، وكل شيء فيه . (انفَطَرت) و (مُنفطر) يعنى انفجرت ، ومنفجر ، وكل شيء فيه . (فطركم) و(فاطر السموات والأرض) يعنى خلقكم خالق السموات والأرض ، وكل شيء فى القرآن . (مَسْطوراً) يعنى مكتوباً ، وكل شيء فى القرآن . (الشيطان الرجيم) يعنى الملعون ، وكل شيء فى القرآن (على الأرائك) يعنى السرر فى الحجال ، وكل شيء فى القرآن . (قال المَلأ من قومه) يعنى الأشراف ، وكل شيء فى القرآن . (بل قلوبهم فى غَمْرَة) يعنى فى غفلة ، وكل شيء فى القرآن . (مُبْلِسُون) يعنى آيسون ، و (إبليس) يعنى آيساً

من الجنة ، وكل شيء في القرآن . (أنداداً) يعني شركاء ، وكل شيء في القرآن . (يَبْسُطُ الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني يوسع الرزق على من يشاء ، ويقتر على من يشاء ، وكل شيء في القرآن . (كتب يدرسونها) و (ما كنتم تدرسون) يعني تقرأونها (ودرسوا) يعني القرآن ، وكل شيء في القرآن . (عَذْبٌ فُرات) يعني طيباً ، وكل شيء في القرآن . (دار البوار . وقوماً بوراً . وتجارة لن تبور) يعني به الهلاك ، وكل شيء في القرآن . (نَصَب) يعني المشقة ، وكل شيء في القرآن . (لُغُوب) يعني عناء ، وكل شيء في القرآن . (يَصْطَرِخون) يعني يستغيثون) و (الصريخ) يعني غياثاً ، وكل شيء في القرآن . (ما زادهم إلا نفوراً) يعني تباعداً ، وكل شيء في القرآن (لدينا) يعني عندنا ، وكل شيء في القرآن . (وما أمرُنَا إلا واحدة) يعني إذا شاء أمره في البعث ، وكل شيء في القرآن . (زجرة) يعني نفخة من إسرافيل في البعث ، وكل شيء في القرآن . (مُهْطِعين) يعني مقبلين ، وكل شيء في القرآن . (يُهْرَعُون) يعني يسعون ، وكل شيء في القرآن . (الكَرْب العظيم) يعني الهول الشديد ، وكل شيء في القرآن . (الجحيم) يعني ما عظم من النار ، وكل شيء في القرآن . (نبأ) يعني حديثاً ، وكل شيء في القرآن . (أفواجاً) يعني زمراً ، وكل شيء في القرآن (خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم ، وكل شيء في القرآن . (يشْرَح صدره للإسلام) يعني يوسع صدره للإيمان ، وكل شيء في القرآن . (وما قدَرُوا اللهَ حقَّ قدْره) يعني ما عظموه — سبحانه وتعالى ! — حق عظمته ، وكل شيء في القرآن . (شططا) يعني جوراً ، وكل شيء في القرآن . (بحمد ربهم) يعني بأمر ربهم ، وكل شيء في القرآن . (كدَأْب آل فرعون) يعني كأشباه آل فرعون ، وكفعلهم أيضا ، وكذلك : (مثل دأْب قوم نوح) يعني مثل أشباه [ونظراء] ، وكل شيء في القرآن . (ما لكم من الله مِنْ عاصم) يعني من مانع ، وكل شيء في القرآن . (مانعا) يعني عاصما ، وكل شيء في القرآن.

(صَرْحًا) ، يعني قصراً ، وكل شيء فيه . (دَاخِرِينَ) يعنى صاغرين ، وكل شيء فيه : (صاغِرين) ، يعنى مُذَلين ، وكل شيء فيه : (تبارك) ، يعنى افتعل البركة ، وكل شيء فيه : (الأنعام) ، يعنى الإبل ، والبقر ، والغنم ، وكل شيء فيه : (وفي آذانهم وَقْراً) يعنى ثقلاً ، وكل شيء فيه : (فى أَكِنَّةٍ) ، يعنى على القلوب الغطاء ، وكذلك : (قُلُوبُنَا غُلْفٌ) ، و (الرَّوَاسِى) ، الجبال لئلا تزول بكم الأرض ، و (السَّماء الدُّنيا) أدنى السموات إلى الأرض ، (والنحْس) و (النَّحِسَات) الشداد ، و (ويَسْتَحِبُّونَ الحياةَ الدنيا) ، و (اسْتَحبوا) أيضاً اختاروا ، وكل شيء فى القرآن : (خَرُّوا) ، يعنى وقعوا ، وكل شيء فيه : (الذين خَلَوْا من قبلكم) ، يعنى الأمم الذين مضوا قبلكم ، وكذلك (قَد خَلَتْ) ، قد مضت ، وقوله : (فى رَوْضَةٍ يُحْبَرُون) ، يعنى بالروضة بساتين الجنة يكرمون فيها وينعمون ، (عَزْم الأمُور) ، يعنى حق الأمور ، و (ظَلَّ وجْهُهُ مُسْوَداً) ، يعنى متغيراً ، وقوله : (اصْطَفى) ، يعنى اختار ، وقوله : (اجْتَبى) ، يعنى استخلص ، وقوله . (الخرّاصُونَ) ، يعنى الذين يتخرصون الكذب فيتقولونه ، وقوله : (الطُّوفَان) ، يعنى الغرق : (ولما طَغَى الماء) ، يعنى على كل شيء . (والأَكْواب) يعنى أكواباً ، ليست لها عُرى مدورة الرؤس ، وقوله : (عُرباً) ، يعنى عاشقات لأزواجهن ، وقوله : (وُلْدان) ، يعنى لا يكبرون ، (مُخَلّدون) ، يعنى لا يموتون ، و (الأَتْراب) ، يعنى مستويات فى الملاذ بنات ثلاث وثلاثين سنة ، وكل شيء فى القرآن : (مُتَقَابِلين) ، يعنى فى الزيارة ، وكل شيء فى القرآن : (رَحِيق) يعنى الخمر ، وقوله : مَعِين) ، يعنى خمراً جارياً ، وكل شيء فى القرآن : (بَلَغَ أَشُدَّه) ، يعنى ثمانية عشر سنة وهو إلى أربعين سنة فى أشده ، وكل شيء فى القرآن : (واستوى) ، أى ابن اثنتين وثلاثين سنة واستقر [1]

---

(١) تفسير المجسمة كمقاتل وابن قتيبة (ز) .

وقوله : (أفٍّ لكم) ، أى الردى من الكلام وكل شىء فى القرآن : (يُعْرَضُ الذين كَفَرُوا عَلَى النَّار) ، و (عَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ للكافرين عَرْضًا) ، أى كشفنا الغطاء عنها ، وقوله : (وكَأَيِّن) ، أى وكم ، وقوله : (سَوَّل لهم) ، أى زين لهم ، وكذلك (سوّلت لهم) ، زينت ، وقوله : (سِيمَاهم) ، أى علامتهم وقوله : (لَوَ تزَيَّلوا) أى الاعتزال ، ومثله : (فَزَيَّلْنَا بينهم) ومثله : (وامْتَازوا اليوم) ، أى اعتزلوا ، وقوله : (قُلْ لِلمُؤْمنينَ يَغُضُّوا مِن أَبْصَارهم) ، يعنى يخفضوا أبصارهم عن المحارم . وكذلك كل (غَضٍّ) وقوله : (الذينَ يَلْمِزُونَ المطَّوِّعِينَ مِنَ المؤمِنينَ) و (يَلْمِزُكَ) و (لُمَزَة) . يعنى الطعن على الإنسان فى الشىء بعينه . وقوله : (هُمَزَة) و (هَمَّاز) . يعنى المغتاب . وقوله : (بَهِيج) . و (ذات بَهْجَة) . يعنى ذات حسن . وقوله : (طَلْعُهَا) ، و (لها طَلْع) . يعنى الثمر . وقوله : (عَنِيد) . يعنى معرضا . وقوله : (أُزْلِفت) . يعنى قربت . وقوله : (من قرن) . يعنى أمة . وقوله : (قَاتَلَهم اللهُ) . يعنى لعنهم الله. وقوله : (لا أَبْرَح) . يعنى لا أزال . وقوله : (فَاكِهين) . يعنى معجبين . وقوله : (فَبأَىِّ آلاءِ رَبِّكما تُكَذِّبَانِ) . يعنى نعماء ربكما . و (آلاءِ الله) . يعنى نعماء الله . وقوله : (بلاء من ربكم) . يعنى نقماً . و (إنَّ هذا لَهُوَ البلاءُ المبين) . يعنى النقم . وقوله : (اقْذِفيه) . يعنى الإلقاء . وقوله : (فَنَبَذْنَاهُ بالعَراء) . يعنى ألقيناه . وقوله : (الأَجْدَاث) . يعنى القبور . وقوله : (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِر) . يعنى متذكر ، وكذلك (وادَّكَرَ بعدَ أُمَّةٍ) يعنى وذكر . وقوله : (أساطير الأولين) . يعنى أحاديث الأولين . و (كأَنَّهنَّ الياقوتُ والمرجانُ) الدرر العظام . وقوله : (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ) . يعنى لم يطأهن ، وهو الجماع . وقوله : (زَرَابى) ، و (عَبْقَرِى) . يعنى الطنافس . وقوله : (رَفْرَفٍ خُضْر) يعنى المجالس على الفرش . وقوله : (مِن اسْتَبْرَقٍ) . يعنى الديباج . وقوله : (غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإثم) . يعنى غير متعمد . وكذلك (جنفاً) . يعنى عمداً . و (المقت)

البغض ، وكذلك (القَالِين) و (ما قَلَى) . يعنى المقت . وقوله : (سَفَرة) . يعنى الـكتبـة و (أسْفاراً) . يعنى كتباً . وقوله (فالِق) . يعنى خالق . و(الفَلَق) . يعنى الخلق . وقوله : (شَعائر) . يعنى المناسك . وقوله: (لا أُقسِم) يعنى أقسم . وقوله : (وما أدْرَاك) ، كل شيء منه فى القرآن : أى قد أخبرك ما هو . وكل شيء فى القرآن : (وما يدريك) فلم يخبره ما هو ، وقوله : (جِبلاًّ كثيراً) و(الجِبِلّة) يعنى الخلق . وقوله : (رَيْب) . يعنى شكا فى القرآن كله إلا الذى فى الطور (رَيْبِ المَنُون) يعنى حوادث الموت . وكل شيء فى القرآن : (لعلـكم) . يعنى لـكى . إلا الذى فى الشعراء (لعلـكم تخْلُدُون[1]) . يعنى كأنـكم تخلدون . وكل شيء فى القرآن . (رِجْز) يعنى عذاباً غير واحد فى المدثر (والرُّجزَ فَاهْجرْ[2]) . يعنى والصنم فاجتنب عبادته . وكل شيء فى القرآن: (شَيَاطين) . يعنى إبليس وذريته ، غـير واحد فى البقرة (وإذَا خَلَوْا إلى شَيَاطِينِهِم[3]) يعنى رؤسائهم من اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه وكل شيء فى القرآن : (شُهَدَاء) . يعنى يشهدون على كل شيء غير واحد فى البقرة ، (وادعُوا شُهَدَاء كم[4]) يعنى شركاءكم . وكل شيء فى القرآن : (يَسْخَرُون) و (سُخْرِيا) . يعنى الاستهزاء غير واحد فى الزخرف (لِيَتَّخِذَ بعضُهم بَعْضاً سُخْرِيًّا[5]) . يعنى السخرة فى الخدمة . وكل شيء فى القرآن : (السَّكِينة) . يعنى الطمأنينة فى القلب . إلا واحداً فى البقرة (سكينة من ربكم[6]) يعنى شيئاً كرأس الهر لها جناحان[7] ، وكل شيء فى القرآن : (وأقسِطُوا إنَّ اللهَ يُحِبُّ

---

(١) سورة الشعراء : مكية ١٢٩ . (٢) سورة المدثر : مكية ٥ .

(٣) و (٤) سورة البقرة : مدنية ١٤ و ٢٣ . (٥) سورة الزخرف : مكية ٣٢ .

(٦) سورة البقرة : مدنية ٢٤٨ .

(٧) رواية عن مجاهد غير مرفوعة إلى المعصوم ويقرب منها ما يروى عن وهب من خبر إسرائيل فى ذلك (ز) .

المقسطين) . يعنى واعدلوا إن الله يحب المعدلين . يقول الذين يعدلون فى القول والفعل . غير واحد فى قل أوحى . (وأما القاسطون[١]) يعنى العادلون الذين يعدلون بالله سبحانه غيره (فكانوا لجهنم حطبا) . وكل شىء فى القرآن . (يا أسفا) . فهو الحزن . غير واحد فى الزخرف (فلما آسفونا[٢]) . يعنى أغضبونا . وكل شىء فى القرآن : (يئس) ولا (تيأسوا) يعنى القنوط . غير واحد فى الرعد : (أفلم ييأس الذين آمنوا[٣]) . يعنى أفلم يتبين الذين آمنوا . وكل شىء فى القرآن : (بروج) . يعنى الكواكب . غير واحد فى النساء (ولو كنتم فى بروج مشيدة[٤]) . يعنى القصور الطوال فى السماء الحصينة . وكل شىء فى القرآن : (النكاح) . يعنى التزويج غير واحد فى النساء (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح[٥]) يعنى الحلم . وكل شىء فى القرآن (البر والبحر) . يعنى اليابس والماء . غير واحد فى الروم (ظهر الفساد فى البر والبحر[٦]) يعنى ، البرية ، والقرى . وكل شىء فى القرآن : (إخباتا) . يعنى إخلاصاً . غير واحد فى بنى إسرائيل (كلما خبت زدناهم سعيراً[٧]) . يعنى كلما سكتت إذ أكلت لحومهم زدناهم سعيراً . وكل شىء فى القرآن : (بخس) . يعنى نقصاً . غير واحد فى يوسف (وشروه بثمن بخس[٨]) . يعنى حراماً (دراهم معدودة) . وكل شىء فى القرآن : (واردون) . يعنى داخلون . غير واحد فى القصص (ولما ورد ماء مدين[٩]) يعنى ولما هجم على

---

(١) سورة الجن : مكية ١٥ . (٢) سورة الزخرف : مكية ٥٥ .

(٣) سورة الرعد : مدنية ٣١ .

(٤) و (٥) سورة النساء : مدنية ٧٨ ، ٦ .

(٦) سورة الروم : مكية ٤١ . (٧) سورة الإسراء : مكية ٩٧ .

(٨) سورة يوسف : مكية ٢٠ . (٩) سورة القصص : مكية ٢٣ .

الماء ولم يدخل الماء ، وكل شيء فى القرآن : (لَنَرْجُمَنَّكُمْ) و (يَرْجُمُوكُمْ) يعنى القتل غير واحد فى مريم (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ)[١] يعنى لأشتمنك ، وكل شيء فى القرآن : (حُسْبَانًا) و (يَحْسَبُون) يعنى حساباً ، غير واحد فى الكهف (حُسْبَانًا)[٢] يعنى عذاباً من السماء ، وكل شيء فى القرآن : (بَعْل) يعنى الزوج ، غير واحد فى الصافات (أَتَدْعُونَ بَعْلاً)[٣] يعنى رباً ، وكل شيء فى القرآن (كِسَفاً) يعنى جانباً من السماء ، غير واحد فى الروم : (ويَجْعَلُه كِسَفاً)[٤] يعنى يجعل السحاب قطعاً . وكل شيء فى القرآن : (الأَنْبَاء) يعنى الأحاديث ، غير واحد فى سورة القصص (فَعَمِيَتْ عليهم الأَنْبَاء يَوْمَئِذ)[٥] يعنى الحجج ، وكل شيء فى القرآن : (ماء مَعِين) يعنى جارياً ، غير الذى فى تبارك : (فمن يأتيكم بماء مَعِين)[٦] يعنى ماء طاهراً تناله الدلاء . وكل شيء فى القرآن : (كَلَّا) فهو (لا) غير واحد فى المطففين (كلا بَلْ رانَ عَلى قلوبهم)[٧] يعنى طبع على قلوبهم .

وأما شبه الاستثناء فى قوله فى البقرة : (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ)[٨] يعنى اليهود يعلمون أن الكعبة هى القبلة ، ثم استثنى (إلاّ الّذِينَ ظَلَمُوا) يعنى المشركين من أهل مكة ، فإنهم لا يعلمون أن الكعبة هى القبلة فهذه حجة لهم . وفى البقرة فى أمر الدّيْنِ (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) فإنه (أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا) يقول : وأحرى

---

(١) سورة مريم مكية : ٤٦ . (٢) سورة الكهف : مكية ٤٠ .

(٣) سورة الصافات : مكية ١٢٥ .

(٤) سورة الروم : مكية ٤٨ . (٥) سورة القصص : مكية ٦٦ .

(٦) سورة تبارك : مكية ٣٠ . (٧) سورة المطففين : مكية ١٤ .

(٨) سورة البقرة مدنية : ١٥٠ .

ألا تشكوا فى المال والأجل . ثم استثنى فقال : (إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا)[١]، وقال فى آل عمران : (فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِى شَىْءٍ)[٢]. ثم استثنى فقال : (إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) فلا بأس أن يرضيهم بلسانه ، وقال فى النساء : (وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ)[٣]. ثم استثنى (إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ) قبل التحريم . وقال أيضاً : (وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ)[٤]. ثم استثنى (إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ) قبل التحريم فلا بأس .

قال أبو الحسين : فهذه جملة مختصرة من تفسير المتشابه بينة كافية نافعة لمن عقل وتدبر ، وخاف وأناب ، وترك الهوى والفساد ، ولزم الحق وقال به وآمن به ، وكان حذراً على شأنه وما أمر به ، والإقبال على الجماعة ، والله يقول : (وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)[٥]، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاتباع ، وترك التَّنَطُّع والابتداع ، وسمى البدعة ضلالة ، والجماعة هداية ، فرحم الله امرءاً لزم ما أمر به ، واتبع سبيل ربه (فَإِنَّ اللهَ لَهَادِى الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[٦] (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالمين)[٧]، وقال : (فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِىَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِىَ الْمَأْوَى)[٨]، وكل هوى رحمكم الله

---

(١) سورة البقرة : مدنية ٢٨٢ . (٢) سورة آل عمران : مدنية ٢٨

(٣) و (٤) سورة النساء : مدنية ٢٢ و ٢٣ .

(٥) سورة آل عمران : مدنية ١٠٣ . (٦) سورة الحج : مدنية ٥٤.

(٧) سورة القصص : مكية ٥٠ . (٨) سورة النازعات : مكية ٣٧ - ٤١ .

فهو يُطغِي ويُرْدِي ، فعلى العبد محاسبة نفسه وزجرها عن الفضول الموبق ، وأن يحذر أن يقول قولا مال به إليه هواه فيحبط ذلك عمله ، وإن الله عز وجل قال : (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)[1] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سب أصحابي فعليه لعنة الله » . فليحذر السابُّ صحابة النبي صلى الله عليه وسلم أن تلحقه لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأيضاً فإنما أمرنا أن نستغفر للذين سبقونا بالإيمان ، وعلمنا أن نقول : (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ)[2] .

قال أبو الحسين : لما قص الله عز وجل علينا شأن آدم صلى الله عليه وسلم وأمره للملائكة بالسجود لآدم ، ونبهنا على جملة الخبر ، وقصة إبليس وكيف استكبر لما سبق فيه من الشقاء ، وكيف قاس فقال : (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)[3] ، فقال الله عز وجل : (فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) إلى آخر السورة[4] ، وكان بقياسه الفاسد وتركه أمر ربه كافراً ملعوناً فسأل التأخير إلى يوم القيامة فأخره كما قص الله شأنه .

وقال جماعة من التابعين رحمهم الله : أن أول من قاس إبليس ، وذلك أنهم يريدون أنه قاس ليدفع بقياسه ما أمر به نصًّا ؛ لأن الله عز وجل أمره بالسجود لآدم فقال : (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)

---

(١) سورة الكهف : مكية ٢٨ . (٢) سورة الحشر : مدنية ١٠ .
(٣) سورة الأعراف : مكية ١٢ .
(٤) سورة الحجر : مكية ٣٤ إلى آخر السورة .

يريد أن قوة النار على الطين دليل على أن الأضعف حكمه أن يخضع الأقوى ، وأن آدم أولى بالسجود فوضع إبليس القياس فى غير موضعه ؛ لأن ذلك القياس من إبليس إنما يستعمل مثله إذا لم يقع أمر ولا نص ، فلما استعمل إبليس هذا مع وجود النص والأمر اللازم كان مخطئاً فى بقياسه ، فصار قياسه الفاسد كافراً ملعوناً ، وكان قبل من خيار الملائكة[1] ، فنعوذ بالله من مكره وسوء ما سبق من الكتاب الأول .

قال أبو الحسين : وأهل البدع وافقوا إبليس فى مجال القياس وتركوا النص من التنزيل وتأولوا تأويلا فاسداً ، فعدلوا عن نص الخبر إلى القياس الفاسد ، وهذه جملة عددهم واختصار أخبارهم .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بنى إسرائيل افترقت على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النارِ إلا واحدةً » فقيل : يا رسول الله ، ما هذه الواحدة ؟ فقبض يده وقال : « الجماعة » وقال : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[2] .

---

(١) هذا صريح فى أن ابليس كان من الملائكة والحق أنه من الجن لقوله تعالى « إلا ابليس كان من الجن » ولأن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

(٢) سورة آل عمران : مدنية ١٠٣ .

باب ذكر الجماعة والنصيحة فى الدين :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من فارق الجماعة قِيدَ شبر[١] فقد خلع رِبْقة الإسلام من عنقه » ، وقال عليه السلام : « يد الله على الجماعة ، فمن شذ منها شذ مع الشيطان وعصى الله ورسوله » ، وقال حذيفة : « يد الله على الجماعة ، شذ من شذ عنها » ، وعن تميم الدارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما الدين النصيحة » قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، ولعامتهم » ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الدين النصيحة » قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، ولعامتهم » .

واعلموا رحمكم الله أن أفضل ما تمسك به العباد ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو هذا الدين ، وبالنصيحة لله جاءت المرسلون ، قال نوح صلى الله عليه وسلم : (وأنْصَحَ لكم)[٢] ، وقال هود : (وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)[٣] ، وقال صالح عليه السلام : (ونَصَحْتُ لَكُمْ ولَكِنْ لاَ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)[٤] .

وبلغنا أن الله عز وجل قال : « ما تعبدنى عبد بمثل النصح » ، وقال : (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَه يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وعِلْماً فاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وقِهِمْ عَذَابَ الجحيم * رَبَّنَا وأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ التي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائهم وأزواجِهِمْ وذُرِّيَّاتهم إنَّكَ أَنْتَ

---

(١) قيد شبر : أى مقدار شبر . والربقة : الحبل .

(٢) و (٣) و (٤) سورة الأعراف ، مكية ٦٢ — ٦٨ — ٧٩ .

العزيزُ الحكيم * وقِهمْ السَّيئاتِ وَمَنْ تقِ السيئات يومئذٍ فقَدْ رَحِمْتَه وذَلِكَ هُوَ الفوزُ العَظِيمُ)[١] ، فهذا نصح الملائكة لله فى عباده ، فأنصحُ عبادِ الله لعباد الله الملائكة ، وأغشهم لعباده الشيطان .

وقال أبو العالية الرياحى : تعلموا الإسلام فإذا علمتموه فلا ترغبوا عنه ، وعليكم بالصراط المستقيم فإن الصراط المستقيم الإسلام ، ولا تحرفوه يميناً ولا شمالا ، وعليكم بسنة نبيكم وأصحابه .

وقال حذيفة : اتقوا الله يا معشر القراء ، وخذوا طريق من كان قبلكم ، فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً ، ولئن تركتموه يميناً وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا — أو قال : مبينا — .

وقال العرباض بن سارية : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وعظنا ، فكان فيما وعظنا أنه قال : « مَنْ يَعِشُ منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء من بعدى الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومُحْدثاتِ الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » .

وقال ابن مسعود : إنما هما اثنتان : الهدى والكلام ، فأحسن الكلام كلام الله ، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، ألا وإياكم والمحدثات ، فإن شر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة .

وقالت عائشة رحمة الله عليها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صنع أمراً ليس على أمرنا فهو مردود » .

وقال ابن مسعود : سألت حذيفة الوصية ، فقال : إياك والتلون فى أمر الله ، وإياك وما تنكر وعليك بما تعرف .

---

(١) سورة المؤمن : مكية ٧ — ٩ .

وقال ابن مسعود : « ستجدون قوما يدعونـكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم ، عليـكم بالعلم وإياكم والتبدع ، والتنطع ، والتعمق ، وعليـكم بالعتيق »[1].

وقال معاذ بن جبل : إياكم والتنطع ، والتبدع ، وعليـكم بالعتيق .

وقال عبد الله : إن الله عز وجل لم يخلق شيئاً فى الدنيا والآخرة إلا جعل له نهاية ينتهى إليها ، وينقص ويزيد ، فالإسلام اليوم مقبل وله ثبات ويوشك أن يبلغ نهايته ، ثم ينقص الدين ولا يزيد إلى يوم القيامة ، وآية ذلك أن تفشو الفاقه ، وتقطع الأرحام حتى لا يخاف الغنى إلا الفقر ، ولا يجد الفقير من يعطف عليه .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتَتَّبِعُن سُنَنَ من كان قبلـكم باعاً كباع وذراعاً كذراع ، وشبراً كشبر حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لدخلتم » قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟ » .

وقال هشام بن عروة عن أبيه : إنما هلك بنو إسرائيل حين نشأ فيهم أولاد سبايا الأمم قبلهم ، فوضعوا فيهم الرأى فهلـكوا ، وقال ابن مسعود : القصد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة .

وقال خالد الربعى : بلغنى أنه كان فى بنى إسرائيل شاب قد قرأ كتابا ، وعلم علماً ، وأنه كان مغموراً فيهم ، وأنه طلب بقراءته الشرف والمـال ، فابتدع بدعا أدرك الشرف والمـال فى الدنيا حتى أمن به وهو كذلك ، قال : فتفـكر ليلة وهو على فراشه فقال فى نفسه : هب هؤلاء الناس لا يعلمون ما ابتدعت أليس

---

(١) أى القديم الأول وفى الحديث : عليكم بالأمر العتيق أى القديم الأول .

الله يعلم ؟ ؟ وقد اقترب أجلى ، فلو أنى تبت ! ! فبلغ من اجتهاده فى التوبة أن خرق ترقوته[1] فجعل فيها سلسلة ثم أوثقها إلى آسية من أواسى المسجد وقال : لا يزال هذا مكانى حتى ينزل الله لى توبة أو أموت مكانى ها هنا ، قال : فأوحى الله عز وجل فى شأنه : إنك لو أصبت ذنباً فيما بينى وبينك بالغاً ما بلغ تبت عليك ، ولكن كيف بعبادى الذين أضللت ؟ ماتوا فدخلوا جهنم ، ولا أتوب عليك .

وقال عليه السلام غداة العقبة لابن عباس : « هات اللَّقَطَ لى[2] » فلقط له ثلاث حصيات من حصا الخذف . وقال : « بأمثال هؤلاء ، وإياكم والغُلُوَّ فى الدين ، إنما هلك من كان قبلكم بالغُلُوِّ فى الدين » .

وقال يحيى بن كثير : السنة تقضى على القرآن ، ولا يقضى القرآن على السنة ، وقال مجاهد : لا تجالسوا أهل الأهواء ، فإن لهم غرة كغرة[3] الجرب ، وقال خصيف : أشهد أن فى التوراة : أن يا موسى لا تخاصم أهل الأهواء فيقع فى قلبك شىء فيدخلك النار .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تجالسوا أهل القدر ، ولا تفاتحوهم الكلام » ، وقيل لابن عمر : إن نجدة يقول : كذا ، وكذا ، فجعل لا يستمع منه ، كراهية أن يقع فى قلبه منه شىء .

---

(١) هى عظم يصل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين والآسية : الدعامة والسارية أى العمود .

(٢) اللقط بالتحريك : ما التقط من حصاة أو غيرها .

(٣) العر والعرة بالضم قروح نصيب الإبل فى مشافرها وقوائمها .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فى المكذبة بالقدَر : ينبغى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا نفوا من دار المسلمين ، وقال أيضاً : أرى أيضاً أن يجاهدوا على وجه البغى ، ونرى أيضاً قتلهم إلا أن يتوبوا .

وجاء رجل إلى حذيفة فقال : يا أبا عبد الله ، أكفرت بنو إسرائيل فى يوم واحد ؟ قال : لا ، ولكن كانت تعرض عليهم الفتنة فيأبونها ، فيكرهون عليها حتى يدخلوا فيها ، ثم تعرض عليهم أكبر منها فيأبونها ، فيضربون عليها حتى يدخلوا فيها ، ثم تعرض عليهم أكبر منها فيأبونها ، فيضربون عليها ويقولون : والله لا ندخل فى هذه أبداً فيضربون عليها حتى يدخلوا فيها ، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ أحدكم من قميصه .

وقال ابن مسعود : سلوا الله العافية ، فلستم بأصحاب بلاء إذ كان الرجل من قبلكم يوضع المنشار على رأسه بالكلمة يقولها فلا يقولها فيشق باثنين ، وأخذ مسيلمة رجلين من النبى صلى الله عليه وسلم فقال لأحدهما : أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فتشهد أنى رسول الله ، قال : إنى أصم ، فقتله ، فقال للآخر : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فتشهد أنى رسول الله ؟ قال : نعم ، فخلاه ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « أما الأول فأخذ بالفضل فآتاه الله إياه ، وأما الآخر فأخذ برخصة الله فلا تبعة عليه » ، وقال مجاهد : اجعل مالك جُنّةَ دونَ دينك ، ولا تجعل دنياك جُنّةَ دون مالك .

وكان فى بنى إسرائيل ملك يفتن الناس على أكل لحم الخنزير ، فأتى بامرأة يقال لها : سارة ، وبسبع بنين لها ، فدعا أكبرهم فقرب إليه خنزيراً فقال : ما كنت لآكل شيئاً حرمه الله على أبداً ، فأمر به فقطع يده ورجله عضواً عضواً حتى قتله .

ثم دعا بالذى يليه فقال : كل ، فقال : ما كنت لآكل شيئاً حرمه الله عَلَىّ أبداً . فأمر بقدر نحاس فملئت زيتاً ، ثم أغليت ، حتى إذا غلت ألقاه فيها حتى قتله . ودعا بالذى يليه فقال له : كل ، فقال : أنت أذل وأقل وأهون على الله من أن آكل شيئاً حرمه الله علىّ أبداً . فضحك الملك وقال : تعلمون ما أراد بشتمه إياى ؟ أراد أن يغضبنى فأعجل عليه فى قتله ، وليخطئنه ذلك. فأمر بحز جلد عنقه ، ثم أمر به أن يسلخ جلد رأسه فسلخوه سلخاً .

فلم يزل يقتل كل واحدمنهم بقتل غير قتل أخيه حتى أبقى أصغرهم فالتفت إليه وإلى أمه فقال لها الملك : لقد رأيت ما رأيت فانطلقى بابنك هذا فاخلى به وراوديه أن يأكل لقمة واحدة فيعيش لك . قالت : نعم . فخلت به فقالت له : اعلم ابنى أنه كان لى على كل رجل من إخوتك حق ، ولى عليك حقان ، وذلك أنى أرضعت كل أخ من إخوتك حولين ، فأرضعتك أنت أربعة أحوال ، لأن أباك مات وأنا حبلى بك فنفست بك وخرجت ضعيفاً فرحمتك لضعفك ، فأسألك بالله وبحقى عليك ألا ما صبرت ولم تأكل شيئاً حرمه الله عليك ، ولا ألقى إخوتك يوم القيامة ولست معهم . فقال : الحمد الذى أسمعنى هذا منك فإنما كنت أخاف أن تراودينى على أكله .

ثم جاءت به إلى الملك فقالت: قد راودته وعزمت عليه ، فأمره الملك أن يأكل فقال : ما كنت لآكل شيئا حرمه الله علىّ ، فقتله وألحقه بإخوته ، ثم قال لأمهم إنى قد رثيت لك ما رأيت اليوم ، كلى لقمة واحدة ، وأنا أصنع بك ما أحببت وأفوض إليك ما تعيشين به بقية عمرك ، فقالت : أجمع ثكل أولادى ومعصية الله تبارك وتعالى ، فلا أبالى أن أعيش بعدهم ، فراودها فلم تجبه فقتلها .

وعن عثمان رضى الله عنه قال : انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيدى ، فسرنا بالبطحاء حتى انتهينا إلى عمار وأمه وأبيه ، وهم يعذبون

فى الله فقار عمار : يارسول الله ، الدنيا هكذا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم اغفر لآل ياسر ، وقد فعلت » .

وقال مجاهد : أول من أظهر الإسلام النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمار بن ياسر ، وخَباب بن الأرَتّ ، وصُهَيْب ، وبلال ، وسُمَيَّة أم عمار . فأما النبى صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ؛ وأما الآخرون فأخذوهم فصهروهم فى الشمس وألبسوهم أدراع الحديد . فكل أعطى الذى دُعى إليه من الفتنة إلا بلالا هانت عليه نفسه لله ، وهان على قومه ، فجعل يقول : أحد ، أحد إله محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما أعياهم جعلوا فى عنقه حبلا ، وجعلوا يطوفون به مكة . وجاء أبو جهل إلى سمية فجعل يعنفها ووجأ فى قلبها بحربة فهى أول من استشهد فى الإسلام .

وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، والعبد يحب العبد لا يحبه إلا لله ، والرجل يلقى فى النار أحب إليه من أن يرجع يهوديا أو نصرانيا » .

وقال خباب : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة ، فقلنا له : ألا تستنصر الله لنا يا رسول الله ؟ قال : فجلس محمراً وجهه فقال : « والذى نفسى بيده لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل منهم فيحفر له فى الأرض ثم يؤتى بالمناشير فيجعل فوق رأسه فيجعل فرقين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه » .

وأسر أهلُ الأهواز رجلا ، فقالوا له : اكفر ، فأبى ، فأسخنوا له ماء ، فألقوه فيه ، فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فقال : يرحمه الله ، وما عليه لو تابعهم

وجاء عمار بن ياسر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « أفلح الوجه » ، فقال : ما أفلح الوجه ولا أنجح ، فقال عليه السلام : « إن عادوا فعد » . فأنزل الله تبارك وتعالى : (إلاَّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم)[1].

قال إبراهيم فى امرأة يأسرها العدو ، فيريدون أن يواقعوها أتقتل نفسها ؟ قال : لا ، لتصبر .

ولما قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمار : قالوا لك فقلت نعم ؟ فجعل يبكى وقال قلت نعم ، فقال له : إن عادوا فعد ، يعنى بالشرك .

وقالت رقيقة : دخل علىَّ النبى صلى الله عليه وسلم حيث جاء يبتغى النصر من ثقيف بالطائف ، فأمرت له بالسويق فشرب ، فقالت : ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعبدى طاغوتهم ولا تصلى لها . قلت : إذاً يقتلونى . قال : فإذا قالوا لك فقولى : ربى هذه الطاغية ، فإذا صليت فوليها ظهرك . قالت : ثم خرج .

وقالت ابنة رقيقة : أخبرنى أخواى وهب وسفيان ابنا قيس قالا : فلما أسلمت ثقيف أتينا رسول الله ـ أو خرجنا إلى رسول الله ـ فقال : ما فعلت أمكما ؟ قالوا : ماتت على الحال الذى تركتها عليه . قال : لقد أسلمت أمكما إذاً .

وقال الحسن : كل شىء أعطى الرجل بلسانه إذا خاف على نفسه الشرك فما دونه من طلاق أو عتاق أو غيره فليس عليه فيه شىء بعد أن يخاف على نفسه . وذكر أن رجلا دخل الجنة فى ذباب وآخر دخل النار فى ذباب وذلك أنهما كانا مسلمين

---

(١) سورة النحل : مكية ١٠٦ .

فمرا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا لهما : قربا اصنمنا قرباناً ، قالا : لا نشرك بالله شيئاً ، قالوا : قربا ما شئتما ولو ذبابا ، قال أحدهما لصاحبه : ماترى ؟ قال : لا نشرك بالله شيئاً ، فقتل فدخل الجنة ، ومال الآخر بيده على وجهه فأخذ ذبابة ، فألقاها على الصنم فدخل النار .

وعن أم الدراء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الله عز وجل لا يؤاخذ بالنسيان والخطأ وما استكره عليه » . قال : فذكرت ذلك للحسن ، فقال : نعم ، ما تقرأ القرآن (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) [١] .

باب

الفرق ، وذكرها ، وشرحها ، ومذهب كل فرقة ، وبالله التوفيق

قال أبو الحسين الملطى رحمه الله : أنا أسوق هذه المذاهب بصحة البيان إن شاء الله . واعلموا رحمكم الله أن أول من افترق من هذه المذاهب : الزنادقة ، وهم خمس فرق ، والجهمية ثمانى فرق ، والقدرية سبع فرق ، والمرجئة اثنتا عشرة فرقة ، والرافضة خمس عشرة فرقة ، والحرورية خمس وعشرون فرقة ، فذلك اثنتان وسبعون فرقة . فهذه جملتهم .

قال أبو عاصم خشيش بن أصرم الإسناد عنه فى أول الكتاب ، ثم تشعبت كل فرقة من هذه الفرق على فرق كان جماعها الأصل ، ثم اختلفوا فى الفروع ، فكفر بعضهم بعضاً . فافترقت الزنادقة على خمس فرق ، وافترقت منها فرقة على ست فرق ، فمنهم :

المعطلة : الذين يزعمون أن الأشياء كائنة من غير تكوين ، وأنه ليس لها

---

(١) سورة البقرة مدنية ٢٧٦ .

مكوّن ولا مدبر ، وأن هذا الخلق بمنزلة النبات فى الفيافى والقفار ، يموت سنة شىء ويحيي سنة شىء وينبت شىء ، وأنها تغلب عليها الطبائع الأربعة فى أبدانها فإذا غلبت إحداهن قتلته لأنه يموت الصغير ويحيي الكبير ، وإن أباه خلقه ، وخلق الأب أبوه لا يعرفون آدم ، وإن آدم له آباء ، تعالى الله عما يقولون .

ومنهم المانوية : يزعمون أن إلهين وخالقين ، خالق للخير والنور والضياء ، وخالق للشر والظلمة والبلاء ، نزهو الله وزعموا أنه لم يخلق الظلمة والبلاء ، والهوام والسباع ، فجعلوا معه لما نزهوه شريكا خلق هذه الأشياء ، وزعموا أن الله تعالى خلق الروح الجارى فى الجسد ، فقالوا : ألا ترى الروح إذا فارق الجسد أنتن ، وأن الخالق الآخر عندهم خلق الجسد والله لا يخلق نتناً ولا قذراً ، فجعلوا للخلق كلهم خالقين تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وإنما سموا مانية لأن رجلا كان يقال له مانى ، زعموا أنه نبيهم ، وكان فى زمن الأكاسرة فقتله بعضهم . وقد قال الله عز وجل فى كتابه : (ما اتخذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وما كانَ مَعَهُ مِنْ إله إذاً لذهَبَ كلُّ إله بما خلقَ وَلَعَلا بَعْضُهُم على بعض سُبْحانَ اللهِ عمّا يَصِفُون) [١] ، فهذان شاهدان .

ومنهم المزدكية : وهم صنف من الزنادقة وذلك أنهم زعموا أن الدنيا خلقها الله خلقاً واحداً وخلق لها خلقاً واحداً وهو آدم جعلها له يأكل من طعامها ويشرب من شرابها ، ويتلذذ بلذائذها ، وينكح نساءها ؛ فلما مات آدم جعلها ميراثا بين ولده بالسوية ، ليس لأحد فضل فى مال ولا أهل ، فمن قدر على ما فى أيدى الناس وتناول نساءهم بسرقة ، أو خيانة . أو مكر . أو خلابة . أو بمعنى من المعانى فهو له مباح سائغ وفضول ما فى أيدى ذوى الفضل محرم عليهم حتى يصير بالسوية بين العباد سواء ؛ وإنما سموا مزدكية لأنه ظهر فى زمن الأكاسرة رجل يقال له مزدك فقال هذه المقالة .

---

(١) سورة المؤمنون مكية ٩١ .

كذب أعداء الله ، والله يقول : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُم فى الحياة الدُّنْيَا ورَفَعْنَا بَعْضَهم فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجات لِيَتَّخِذَ بعضُهم بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ[1]) وقال : (يا أيُّها الذين آمنُوا لا تَأْكُلوا أمْوالكم بَيْنَكُم بالبَاطِلِ إلاّ أنْ تَكُونَ تِجارَةً عن تَراضٍ مِنْكُم وَلاَ تَقْتُلوا أنفُسَكُم إنَّ اللهَ كَانَ بِكُم رَحِيماً * ومَنْ يَفْعَل ذَلِكَ عُدْواناً وظُلماً فَسَوفَ نُصْلِيه ناراً وكان ذلك عَلَى اللهِ يسيراً[2]) .

ومنهم العَبْدَكية : زَعَمُوا أن الدنيا كلها حرام محرم لا يحل الأخذ منها إلا القوت ، من حين ذهب أئمة العدل ، ولا تحل الدنيا إلا بإمام عادل وإلا فهى حرام ، ومعاملة أهلها حرام ، فحل لك أن تأخذ القوت من الحرام من حيث كان ، وإنما سموا العبدكية لأن عبدك وضع لهم هذا ودعاهم إليه وأمرهم بتصديقه .

كذب أعداء الله ، قال الله عز وجل : (وأحَلَّ اللهُ البَيْعَ وحَرَّمَ الرِّبا[3]) وما أحل الله القوت إلا للمضطرين ، ولم تحل الصَّدَقةُ لِغَنِى ولا لِذى مِرَّة[4] سَوِى ، كذا رواه عبد الله بن عمر ، وقال رسول الله : « لغنى ولا لذى مرة سوى » .

ومنهم الروحانية : وهم أصناف ، وإنما سموا : الروحانية لأنهم زعموا أن أرواحهم تنظر إلى مَلَكوت السموات ، وبها يعاينون الجنان ، ويجامعون الحور العين ، وتسرح فى الجنة ، وسموا أيضاً : الفكرية لأنهم يتفكرون ، زعموا فى هذا حتى يصيرون إليه فجعلوا الفكر بهذا غاية عبادتهم ، ومنتهى إرادتهم ينظرون بأرواحهم فى تلك الفكرة إلى هذه الغاية فيتلذذون بمخاطبة الله لهم ، ومصافحته

---

(١) سورة الزخرف : مكية ٣٢ . (٢) سورة النساء : مدنية ٢٩ ـ ٣٠ .
(٣) سورة البقرة : مدنية ٢٧٥ . (٤) ذى مرة أى قوه .

إياهم ، ونظرهم إليه زعموا ويتمتعون بمجامعة الحور العين ، ومفاكهة الأبكار على الأرائك متكئين ، ويسعى عليهم الولدان المخلدون بأصناف الطعام ، وألوان الشراب وطرائف الثمار ، ولو كانت الفكرة فى ذنوبهم الندم عليها والتوبة منها والاستغفار لكان مستقيما ، وأما هذه الفكرة فبوبها لهم الشيطان ، لأنه لا يتلذذ بلذات الجنة إلا من صار إليها يوم القيامة ، وهكذا وعد الله عباده المؤمنين والمؤمنات

ومنهم صنف من الروحانية زعموا : أن حب الله يغلب على قلوبهم ، وأهوائهم ، وإرادتهم حتى يكون حبه أغلب الأشياء عليهم ، فإذا كان كذلك عندهم كانوا عنده بهذه المنزلة ، ووقعت عليهم الخُلّة من الله ، فجعل لهم السرقة ، والزنا ، وشرب الخمر والفواحش كلها على وجه الخلة التى بينهم وبين الله لا على وجه الحلال ولكن على وجه الخلة كما يحل للخليل الأخذ من مال خليله بغير إذنه . منهم : رَباح وكُليب كانا يقولان بهذه المقالة ويدعوان إليها .

كذب[١] أعداء الله وكيف يكون ذلك وإبراهيم الخليل خليل الرحمن عليه السلام يسئل يوم القيامة أن يشفع للناس إلى ربهم ليحكم بينهم فيقول : لست هناك ويذكر ثلاث كذبات كذا روى عن النبى عليه السلام أنه قال .

ومنهم صنف من الروحانية زعموا : أنه ينبغى للعباد أن يدخلوا فى مضمار الميدان حتى يبلغوا إلى غاية السبقة من تضمير أنفسهم[٢] وحملها على المكروه ، فإذا بلغت تلك الغاية أعطى نفسه كل ما تشتهى وتتمنى ، وإن أكل الطيبات

---

(١) فى الأصل : كذبوا .

(٢) تضمير أنفسهم : حملها على الهزال والضعف وتضمير الخيل هو أن يكثر علفها حتى تسمن ثم بعد ذلك لا تعلف إلا القوت فيذهب رهلها .

كأ كل الأراذلة من الأطعمة ، وكان الصبر والخبيص عنده بمنزلة ، وكان العسل والخل عنده بمنزلة ، فإذا كان كذلك فقد بلغ غاية السبقة ، وسقط عنه تضمير الميدان واتبع نفسه ما اشتهت . منهم : ابن حبان كان يقول هذه المقالة .

ومنهم صنف يقولون : إن ترك الدنيا إشغال للقلوب وتعظيم للدنيا ومحبة لها ولما عظمت الدنيا عندهم تركوا طيب طعامها ، ولذيذ شرابها ، ولين لباسها ، وطيب رائحتها ، فأشغلوا قلوبهم بالتعلق بتركها ، وكان من إهانتها مؤاتاة الشهوات عند اعتراضها حتى لا يشتغل القلب بذكرها ، ويعظم عنده ما ترك منها [ورباح وكليب] كانا يقولان هذه المقالة .

ومنهم صنف زعموا : أن الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الحرام . فأما الحلال فمباح لهذه الأمة من أطايب الطعام ، وغرايب الألوان ، وكفاية الخدم ، ولين الرياش ، وسعة المنازل ، ووطاءة المهاد ، وتشييد القصور ، وكفاية الحاجات ، وترك الطلبات ، وقطن الأوطان . وإن الأغنياء أفضل منزلة عند الله من الفقراء لما أعطوا من فضل أموالهم وفضول من نوائب حقوقهم وأدركوا من منتهى رغباتهم .

لقد قالوا خلاف ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه أبو هريرة عنه عليه السلام أنه قال: « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم » خمسمائة عام[1] وروى عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً » .

---

(١) لأن يوم الآخرة بألف سنة « وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » .

ومنهم الجهمية وهم ثمانى فرق :

منهم صنف من المعطلة يقولون : إن الله لا شيء ، وما من شيء ، ولا فى شيء ، ولا يقع عليه صفة شيء ، ولا معرفة شيء ، ولا توهم شيء ، ولا يعرفون الله فيما زعموا إلا بالتخمين فوقعوا عليه اسم الألوهية ، ولا يصفونه بصفة يقع عليه الألوهية .

وقال الله عز وجل فى كتابه : (قُلْ أَيُّ شيءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ [1]) فأخبر أنه شيء وقال أيضاً : (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ [2]) .

وأما ما جاءت به الآثار فهو ما روى أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيَسْئلنكم الناسُ عن كل شيء حتى يسئلونكم : هذا الله خلق الخلق فمن خلق اللهَ ؟ فقولوا : الله خالق كل شيء ، وقبل كل شيء ؛ وهو بعد كل شيء » .

وعن ابن عباس قال : قال رجل يا رسول الله : إنه يعرض فى نفسى الأمر لأن أكون حممة أحب إلى من أن أتكلم به . فقال رسول الله : « الله أكبر الحمد لله الذى رد أمره إلى الوسوسة » . وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزالون تسئلون حتى يقول أحدكم : هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟ » وذكره .

ومنهم صنف زعموا : أن الله شيء وليس كالأشياء لا يقع عليه صفة ،

---

(١) سورة الأنعام : مكية ١٩ .

(٢) سورة فصلت : مكية ١٥ .

ولا معرفة ، ولا توهم ، ولا نور ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا كلام ، ولا تكلم وإن القرآن مخلوق ، وإنه لم يكلم موسى ولا يكلم قط ، وإن الله خلق قولا وكلاماً فوقع ذلك القول والكلام فى مسامع من شاء الله من خلقه ، فبلغه السامع عن الله بعد ما سمعه فسمى ذلك قولا وكلاماً . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ومنهم صنف زعموا : أنه ليس بين الله وبين خلقه حجاب ولا خلل ، وأنه لا يتخلص من خلقه ، ولا يتخلص الخلق منه إلا أن يفنيهم أجمع ، فلا يبقى من خلقه شىء وهو مع الآخر فى آخر خلقه ممتزج به ، فإذا أمات خلقه تخلص منهم وتخلصوا منه ، وأنه لا يخلو منه شىء من خلقه ولا يخلو هو منهم [١] .

ومنهم صنف : أنكروا أن يكون الله سبحانه فى السماء [٢] ، وأنكروا الكرسى وأنكروا العرش أن يكون الله فوقه وفوق السموات من قبل هذا . وقالوا : إن الله فى كل مكان حتى فى الأمكنة القذرة ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ومنهم صنف قالوا : لا نقول إن الله بائن من الخلق ، ولا غير بائن ، ولا فوقهم ، ولا تحتهم [٣] ولا بين أيمانهم ، ولا عن شمائلهم ، ولا هو أعظم من بعوض ولا قراد ولا أصغر منها ، ولا نقول هذا ، ولا نقول إن الله قوى ولا شديد ، ولا حى ، ولا ميت ، ولا يغضب ، ولا يرضى ، ولا يسخط ،

---

(١) هذا مذهب الحلاج حقا ، هكذا فى هامش الأصل .

(٢) نفى أن يكون الله متمكنا فى السماء مذهب أهل الحق وكذا نفى الفوقية الحسية بخلاف معتقد الحشوية ، والمصنف مضطرب فى هذا الباب (ز) .

(٣) تنزيه الله سبحانه من الجهات هكذا هو معتقد أهل الحق كما فى عقيدة الطحاوى (ز) .

ولا يحب ، ولا يعجب ، ولا يرحم ، ولا يفرح ، ولا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يقبض ، ولا يبسط ، ولا يضع ، ولا يرفع . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ومنهم صنف زعموا : أن العباد لايرون الله ولا ينظرون إليه فى الجنة ولاغيرها زعموا أنه ليس بينهم وبين الله خلل[1] ينظرون إليه منها وإنه لا حجاب لله ، وإن موسى عليه السلام كفر حين سأل ربه ولأنه سأل ما لم يكن ، وإن عيسى عليه السلام كفر حين قال : (تَعْلَمُ مَا فى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ)[2] ، لأنهم زعموا أنه حين زعم أن لله نفساً فقد كفر . بلغ بهم الغلو إلى تكفير الأنبياء عليهم السلام ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ومنهم صنف زعموا : أن الجنة والنار لم يخلقهما الله بعد ، وأنهما تفنيان بعد خلقهما فيخرج أهل الطاعة من الجنة بعد دخولها إلى الحزن بعد الفرح ، والغم بعد السرور ، والشقاء بعد الرخاء ، جميع أهل الجنان من الملائكة والأنبياء والمؤمنين وإن الجنة تخرب بعد عمارتها حتى تصير رميما لا أحد فيها .

ويخرج أهل النار بعد دخولها فيصير إلى الفرح بعد الحزن ، وإلى السرور بعد الغم ، وإلى الرخاء بعد الشقاء . جميع أهل النار من الأبالسة والفراعنة والكافرين وإن النار تخرب بعد عمارتها حتى تخفق أبوابها ، وليس فيها أحد ، فيصرف ثواب الله عن أوليائه وعقاب الله عن أعدائه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ومنهم صنف أنكروا الميزان : أنكروا أن يكون لله ميزان يزن فيه الخلق أعمالهم ، وأنكروا الصراط : أن يكون الله عز وجل يجيز على الصراط أحداً ؛ وأنكروا الكرام الكاتبين : أن يكون الله عز وجل يجعل على عباده حفظة

---

(١) والقول بالخلل والمسافة بين الخالق والمخلوقات معتقد الحشوية قبحهم الله (ز)

(٢) سورة المائدة : مدنية ١١٦

يحفظون أعمالهم . وأنكروا الشفاعة : أن يشفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد عن أمته ، وأن يخرج الناس من النار بعد ما دخلوها ، وأنكروا عذاب القبر ، ومنكراً ونكيراً ، وزعموا أن الروح تموت كما يموت البدن . وأن ليس عند الله أرواح ترزق شهداء ولا غيرهم ، وأنكروا الإسراء أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأنكروا الرؤيا ، وزعموا أنها أضغاث أحلام . وأنكروا أن يكون ملك الموت يقبض الأرواح تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وهذا إجماع كلام الجهمية ، وإنما سموا جهمية لأن الجهم بن صفوان كان أول من اشتق هذا الكلام من كلام السمنية ، صنف من العجم بناحية خراسان ، وكانوا شككوه فى دينه حتى ترك الصلاة اربعين يوماً ، وقال : لا أصلى لمن لا أعرفه ثم اشتق هذا الكلام ، وبنى عليه من بعده .

قال أبو عاصم خشيش بن أصرم : وقد أنكر جهم أن يكون الله على العرش، وقال الله تبارك وتعالى : (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فى الأَرْضِ جَمِيعاً ثم اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شىء عَلِيمٌ)[1] . وقال : (اللهُ الذى رَفَعَ السَّمَوَاتِ بغيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كلٌّ يَجْرِى لأجَلٍ مُسَمَّى ، يُدَبِّرُ الأمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكم بلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ)[2] . وقال : (اللهُ الذى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فى سِتَّةِ أَيَّام ثمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ مَا لَكُم مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيِّ وَلاَ شَفِيع)[3] . وقال : (إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ فى سِتَّةِ

---

(١) سورة البقرة : مدنية ٢٩ . (٢) سورة الرعد : مدنية ٢ .

(٣) سورة السجدة : مكية ٤ .

أيام ثم استوى على العرش)[١] ، (وكان عرشه على الماء)[٢] . وقال : (الرحمن على العرش استوى)[٣] . وقوله : (الذين يحملون العرش ومن حوله)[٤] . وقوله : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)[٥] . وقال : (حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين)[٦] . وقال : (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا)[٧] . وقال : (رب العرش العظيم) .

وقال أبو عاصم : من كفر بآية من كتاب الله فقد كفر به أجمع ، فمن أنكر العرش فقد كفر به أجمع ، ومن أنكر العرش فقد كفر بالله . وجاءت الآثار بأن لله عرشاً وأنه على عرشه .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الحق كتب كتابا فوضعه عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي » . وفي حديث آخر أيضاً : « لما خلق الله الخلق كتب كتابا على نفسه فهو مرفوع فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي » .

وعن سعيد بن جبير قوله : (وكان عرشه على الماء)[٨] . قال : على متن الريح . وعن وائل قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : الحمد لله حمداً طيباً مباركا فيه ، فلما سلم قال : من صاحب الكلمة آنفاً ؟ قال الرجل : أنا ، وما أردت بها بأساً . قال : لقد رأيتها قد ابتدرها اثنا عشر ملكا ، ورأيتها

---

(١) سورة الأعراف : مكية ٥٤ .
(٢) سورة هود : مكية ٧ .
(٣) سورة طه : مكية ٦ .
(٤) سورة المؤمن : مكية ٧ .
(٥) سورة الحاقة : مكية ١٧ .
(٦) سورة الزمر : مكية ٧٥ .
(٧) سورة الفرقان : مكية ٥٩ .
(٨) سورة : هود مكية ٧ .

فتحت لها أبواب السماء ، فما يُنَهْنِهَا شيء دون العرش »[1] .

وعن العباس بن عبد المطلب[2] قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوساً بالبطحاء إذ مرت سحابة فقال : أتدرون ما هذه ؟ قلنا : سحاب . قال : والمزن . قلنا : والمزن . قال : والعنان . قال : فسكتنا . قال: أتدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة عام إلى أن ذكر السموات السبع ، ثم قال : وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض وفوق ذلك ثمانية أوْعال ، ما بين ركبهم وأظلافهم كما بين السماء والأرض وفوق ذلك العرش وما بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، والله عز وجل فوق ذلك ، ولا يخفى عليه شيء من أعمال بنى آدم .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ » . وعن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غربت الشمس : « أتدرى أين تذهب ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنها تذهب فتسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها » .

وعن كعب الحبر[3] قال : أقرب الخلق إلى الله تعالى جبريل ، وميكائيل ،

---

(١) وليس فى تلك الآيات والآثار شىء يدل على الاستقرار الحسى على العرش وعلى التمكن بمكان. راجع « الأسماء والصفات » للبيهقى. إلا أن خشيشا من النقلة الذين لا يعون ما يقولون بل يتقولون ما يسألون عنه يوم القيامة لأنه من هؤلاء الحشوية الذين قربهم المتوكل بعد رفع محنة القول بخلق القرآن . فلا يؤخذ منه علم أصول الدين وله رجال سامحهم الله (ز) .

(٢) حديث الأوعال فيه علل قادحة شرحتها فى مقال (أسطورة الأوعال) فى مجلة الاسلام (العدد ٤١ من سنة ١٣٥٩ هـ) (ز) .

(٣) خبر كعب ووهب من الاسرائيليات المرفوضة . راجع « دفع الشبه » . لابن الجوزى و « الأسماء والصفات » للبيهقى (ز) .

وإسرافيل عليهم السلام ، وهم تحت زوايا العرش ، وبينهم وبين رب العالمين خمسون الف سنة .

وعن وهب بن منبه قال : أربع أملاك يحملون العرش على أكتافهم ، لكل واحد منهم أربع وجوه ، وجه ثور ، وَوَجه أسد ، ووجه نسر ، وَوَجه إنسان . ولكل واحد منهم أربع أجنحة ، أما جناحان فعلى وجهه ليحفظاه من أن ينظر إلى العرش فيصعق فيهفو بهما ليس له كلام إلا أن يقول قُدُّوس الملك القوى ، ملأت عظمته السموات والأرض .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل الجبار[1] فى ظلل من الغمام والملائكة[2] » (وَيحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)[3] ، وهم اليوم أربعة ، أقدامهم على تخوم الأرض السفلى ، والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم ، فيضع الله تبارك وتعالى كرسيه حيث شاء من أرضه .

وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصُّورَ فأعْطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى السماء ينظُر متى يؤمر . وعن ابن عمر قال : خلق الله تبارك وتعالى أرْبعة أشياء بيده[4] : العرش ، وجنات عدن ، وآدم ، والقلم .

---

(١) فى سنده مجهول الاسم و لصفة ومتروك ومن لا يحتج به ومن يروى المناكير راجع ابن جرير فى سنده . وقوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) بمعنى هل ينتظر اليهود إلا مجىء الله فى الغمام كما هو مذكور فى توراتهم المبدلة أو بمعنى بظلل فيها العذاب على خلاف انتظارهم ، وكذا حديث فيأتيهم فى صورة كما قاله القرطبى وجل إله العالمين عن المشى والحركة وسائر أحداث الخلق والمؤلف كثير الانخداع بروايات مقاتل نسأل الله السلامة (ز) .

(٢) سورة البقرة : مدنية ٢١٠ .　　(٣) سورة الحاقة : مكية ١٧ .

(٤) أى بعنايته الخاصة عند جمهور أهل التنزيه لا بجارحة تعالى الله عما يأفكون (ز) .

وقال أبو أمامة : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « سلوا الله الفردوس فإنها سرة الجنة وأهل الجنة يسمعون أطيط العرش » .

وعن علي رضي الله عنه قال : أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام وهو عن يمين العرش قِبْطِيَّتَين ، ثم يكسى النبي عليه الصلاة والسلام وهو عن يمين العرش حلة حَبِرَة .

وعن ابن عباس قال : إن الله جل اسمه كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً ، فأول شيء خلق القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن .

قال ابو عاصم : وأنكر جهم أن يكون لله كرسي ، وقد قال الله تبارك وتعالى (وَسِعَ كُرْسِيُّه السموات والأرضِ)[1] . وعن ابن عباس في قوله : (وَسع كُرسيه السموات والأرض) قال : الكرسي موضع القدمين[2] ولا يقدر أحدٌ قدره ، غير أن أبا عاصم — يعني النبيل — قال : الكرسي موضع القدمين ، ولا يقدر قدر عرشه . وعن مجاهد : قوله (وسع كرسيه السموات والأرض) قال : ما السموات والأرض في الكرسي إلا مثل حلقة بأرض فلاة .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لقائم المقام المحمود » قيل : وما المقام المحمود ؟ قال : ذاك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه يئط كما يئط الرحل الجديد من تضايقه ، وهو كسعة ما بين السموات والأرض »[3] .

وعن عبد الرحمن بن البيلماني[4] قال : ما من ليلة إلا وينزل ربكم إلى السماء

---

(١) سورة البقرة : مدنية ٢٥٥ .

(٢) تفسير لغوي للكرسي بالنسبة إلى السرير (ز) .

(٣) حديث أطيط واه ألف ابن عساكر جزءاً في تبيين ذلك (ز) .

(٤) ضعيف لا يحتج به (ز) .

وإذا نزل إلى السماء خر أهلها سجوداً حتى يرجع وذكر وهب[١] عن عظمة الله فقال : إن السماوات السبع ، والأرضين السبع ، والبحار السبع لفى الهيكل قيل : لفى الكرسى ، وإن قدميه لعلى الكرسى فهو يحمل الكرسى ، وقد عاد الكرسى كالنعل فى قدمها . فسئل وهب : ما الهيكل ؟ قال : شىء من أطراف السماء إلى الأرض محدق بالأرضين والبحار كالأطناب ، كالفسطاط .

وعن أنس بن مالك قال : يقول جبريل إذا كان يوم القيامة نزل عن عرشه إلى كرسيه وحف الكرسى بالمنابر ، وحفت المنابر بالكراسى فجاء النبيون فقعدوا عليها ثم يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى .

وقال أنس بن مالك عن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « يأتونى فأمشى بين أيديهم حتى آتى باب الجنة وللباب مصراعان من ذهب مسيرة ما بينهما خمسمائة عام وعلى الباب حلقة من ياقوتة حمراء فأستفتح فيؤذن لى فأدخل على ربى تبارك وتعالى فأجده قاعداً على كرسى العز فأخر له ساجداً[٢] .

قال أبو عاصم : وأنكر جهم أن يكون الله فى السماء دون الأرض ، وقد دلّ فى كتابه أنه فى السماء دون الأرض بقوله حين قال لعيسى عليه السلام : (إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذينَ كَفَرُوا)[٣] ، وقوله : (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً)[٤] ، وقوله (بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ)[٥] ، وقال (يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السماء إلى الأرض ثمّ يَعْرُجُ إليه)[٦] وقوله (إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ)[٧]

---

(١) لم يروه عن معصوم فيكون مرويه إسرائيليا مرفوضا (ز)

(٢) خبر تالف وهذا الكلام لا نصيب له من الحق والصدق ولم يثبت من طريق صحيح وكذلك الأحاديث التى قبله (ز) .

(٣) سورة آل عمران : مدنية ٥٥ .

(٤) و (٥) سورة النساء : مدنية ١٥٧ - ١٥٨ .

(٦) سورة السجدة : مكية ٥ . (٧) سورة فاطر : مكية ١٠ .

وقال (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ)[١] وقال جل اسمه (وَهُوَ القَاهِر فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخبيرُ)[٢] وقال (وَرُدُّوا إلَى اللهِ مَوْلاَهُمْ الحقّ)[٣] وقال (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)[٤] وَقَالَ (أَأَمِنْتُم مَنْ فى السماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فإذَا هِىَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُم مَنْ فى السّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِير)[٥] وَقَالَ (ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ)[٦] وَقالَ (إِنَّ الذينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَته)[٧] وَقال (وَإِنْ مِنْ شىءٍ إلاّ عِنْدَنَا خزائِنُه)[٨] وَقال (وَلَهُ مَنْ فى السموات وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يستَكْبِرُونَ عن عِبادته)[٩] وَقال (وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كأَلْفِ سَنَةٍ مما تَعدُّون)[١٠] وَقال (ثُمَّ إنكم يومَ القِيامَة عِنْد رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُون)[١١] وَقال (ثُمَّ استَوَى إلى السّماء وَهِىَ دُخَانٌ)[١٢] وَقال (إِنَّ المتَّقِينَ فى جنَّاتٍ وَنَهَر * فى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيك مُقْتَدِر)[١٣]، وقال : (وَجَعَلُوا الملائِكَةَ الذينَ هُمْ عِبادُ الرحمن إناثاً)[١٤] وقال فى التنزيل (وَإِذَا قيلَ لهُمْ آمِنُوا بما أنزَلَ اللهُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ بِمَا أُنزلَ علينا وَيَكْفُرُونَ بما وَرَاءه وهوَ الحقُّ مُصَدِّقاً لما مَعَهُم ، قُلْ فلم تَقْتُلون أَنْبِياءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إن كُنتم مُؤْمِنِين)[١٥] وقال (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لجبْرِيلَ فإنه نَزَّلَهُ عَلَى قلبكَ بإذْنِ الله مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَهُدًى وَبُشْرَى للمؤمنين)[١٦] وقال (وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إليك آياتٍ بيِّنَاتٍ)[١٧] وقال (إِنْ يَكْفُرُوا بما أنزَلَ اللهُ بَغياً أن يُنَزِّل اللهُ مِنْ

---

(١) و (٢) سورة الانعام : مكية ٥٩ ـ ١٨ .
(٣) سورة يونس : مكية ٣٠ .
(٤) سورة الانعام : مكية ٩٤ .
(٥) سورة الملك : مكية ١٦ ـ ١٧ .
(٦) سورة الانعام : مكية ١٦٤ .
(٧) سورة الاعراف : مكية ٢٠٦
(٨) سورة الحجر مكية ٢١ .
(٩) سورة الانبياء : مكية ١٩ .
(١٠) سورة الحج : مدنية ٤٧
(١١) سورة الزمر : مكية ٣١ .
(١٢) سورة السجدة : مكية ١١ .
(١٣) سورة القمر : مكية ٥٤ ـ ٥٥ .
(١٤) سورة الزخرف : مكية ١٩ .
(١٥) و (١٦) و (١٧) سورة البقرة مدنية ٩١ ـ ٩٧ ـ ٩٩ .

فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين)(١) وقال: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)(٢) وقال: (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)(٣) وقال: (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان)(٤) وقال: (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات)(٥) وقال: (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا)(٦) وقال: (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً)(٧) وقال: (وهذا كتاب أنزلناه مبارك)(٨) وقال: (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون)(٩) وقال: (المص * كتاب أنزل إليك)(١٠) وقال: (إن وليى الله الذى نزل الكتاب)(١١) وقال: (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين)(١٢) وقال: (فأنزل الله سكينته عليه)(١٣) وقال: (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما

---

(١) سورة البقرة: مدنية ٩٠ .

(٢) و (٣) سورة البقرة: مدنية ١٠٥، ٤ .

(٤) و (٥) سورة آل عمران: مدنية ٣، ٤ .

(٦) سورة البقرة: مدنية ٢٣ .

(٧) و (٨) و (٩) و (١٠) الانعام: مكية ٩١، ٩٢، ١١١، ١١٤ .

(١١) و (١٢) سورة الاعراف: مكية ١ - ٢، ١٩٦ .

(١٣) سورة الفتح: مكية ٢٦ .

فى قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون)(١) وقال : (وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله)(٢) وقال : (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول)(٣) (وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون)(٤) وقال : (وكذلك أنزلناه قرآناً عربيا)(٥) وقال : (كتاب أنزلناه إليك)(٦) (وأنزلناه فى ليلة مباركة)(٧) وقال : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)(٨) وقال : (حتى يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليك من ربك)(٩) وقال : (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء)(١٠) وقال : (ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين)(١١) وقال : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون)(١٢) وقالوا : (لولا أنزل عليه آية من ربه)(١٣) وقال : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق)(١٤) لتحكم بين الناس بما أراك الله)(١٥) وقال :

---

(١) و (٢) سورة التوبة : مدنية ٤٠ ، ٦٤ .

(٣) و (٤) سورة التوبة مدنية ٨٦ ، ٢٤ .

(٥) سورة طه : مكية ١١٣ .   (٦) سورة إبراهيم : مكية ١ .

(٧) سورة الدخان : مكية ٣ .

(٨) و (٩) و (١٠) سورة المائدة : مدنية ٦٧ – ٦٨ ، ١١٢ .

(١١) و (١٢) سورة الانعام : مكية ٧ – ٨ .

(١٣) سورة الرعد : مدنية ٧ .   (١٤) سورة النساء : مدنية ١٠٥ .

(١٥) وليس فى شيء من تلك الآيات مايدل على ثبوت العلو الحسى والعلو المكانى لله سبحانه المتعالى عن المكان ، وأبو عاصم فى أول الكلام هو خشيش بن أصرم مؤلف كتاب « الاستقامة » وهو من ثقات الرواة الدين برزوا فى عهد المتوكل العباسى إلا أنه ممن لا شأن له فى علم أصول الدين فلا يؤخذ عنه غير علمه فإن =

﴿ آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ والكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ والكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبلُ ﴾[(١)] وقال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التوراةَ فِيهَا هُدًى ونُورٌ ﴾[(٢)] وقال : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ ﴾[(٣)] ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمونَ ﴾[(٤)] ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ ﴾[(٥)] وقال: ﴿ وإذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا أَساطِيرُ الأَولينَ ﴾[(٦)] ﴿ وَمَاذا أنزلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْرًا ﴾[(٧)] ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِليهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(٨)] ﴿ وإذا بَدَّلْنَا آيةً مكانَ آيةٍ واللهُ أَعْلَمُ بما يُنَزِّلُ ﴾[(٩)] وقال: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالحقِّ ﴾[(١٠)] وقال : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُوحُ الأمينُ ﴾[(١١)] ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ ﴾[(١٢)] ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ القرآنِ ما هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(١٣)] وقال : ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولا ﴾[(١٤)] ﴿ وبالحقِّ أَنْزَلْنَاهُ وبالحَقِّ نَزَلَ ﴾[(١٥)] وقال : ﴿ الحمدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتابَ ﴾[(١٦)] وقال : ﴿ وهَذَا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ ﴾[(١٧)] وقال : ﴿ تَبَارَكَ

= عد عاميا جاهلا بالحجة يعذر عند بعضهم والجمهور على أن الجهل بالله أمر لا يعذر المرء عليه ولاسيما فى دار الإسلام ، والمصنف تابعه وتابع مثل مقاتل بن سليمان من مشاهير الحشوية نسأل الله السلامة فنافت نظر المطالع إلى ذلك لئلا يتابعه فيما يشذ فيه عن الجماعة (ز) .

(١) سورة النساء : مدنية ١٣٦ .

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) سورة المائدة : مدنية ٤٤ – ٤٥ – ٤٧ .

(٦) و (٧) و (٨) سورة النحل : مكية ٢٤ – ٣٠ – ٤٤ .

(٩) و (١٠) سورة النحل : مكية ١٠١ و ١٠٢ .

(١١) و (١٢) سورة الشعراء : مكية ١٩٣ – ١٩٤ .

(١٣) و (١٤) و (١٥) سورة الاسراء : مكية ٨٢ – ٩٥ – ١٠٥ .

(١٦) سورة الكهف : مكية ١ . (١٧) سورة الانبياء : مكية ٥٠ .

الذى نزّل الفرْقانَ عَلَى عَبْدِه)(١) وقال : (وإنَّهُ لَتنْزيلُ ربِّ العَالَمِينَ * نزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمين)(٢) وقال : (وإنَّهُ لَتنْزيلٌ مِنْ حَكيمٍ حَميد)(٣) وقال : (إنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى)(٤)) وقال : (تنْزيلٌ مِنْ ربِّ العَالمين)(٥) .

وكان أبو عاصم يقول : لو كان فى الأرض كما هو فى السماء لم ينزل من السماء إلى الأرض شيئاً ولـكان يصعد من الأرض إلى السماء كما ينزل من السماء إلى الأرض ، وقد جاءت الآثار عن النبى صلى الله عليه وسلم : أن الله عز وجل فى السماء دون الأرض ، وعن البراء بن عازب قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمن إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، وفتحت له أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يُصعد بروحه قِبَلهم ، فإذا عرج بروحه قالوا : ربَّنا عبدُك فلان ، فيقول : ارجعوه ، فإنى عهدت إليهم أن : (مِنْها خَلَقْنَاكُم وفيها نُعِيْدُكُم ومِنْهَا نُخْرِجُـكُم تارةً أُخْرى)(٦) .

وقال ابن مسعود : ما من عبد يقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، إلا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه فيعرج بهن إلى السموات فلا يمر بسماء إلا دعوا لصاحبهن حتى يجىء بهن وجه الله تبارك وتعالى .

---

(١) سورة الفرقان : مكية ١ .
(٢) سورة الشعراء : مكية ١٩٢ – ١٩٣ .
(٣) سورة السجدة : مكية ٤٢ . (٤) سورة الأحقاف : مكية ٣٠ .
(٥) سورة الواقعة : مكية ٨٠ . (٦) سورة طه : مكية ٥٥ .

والآثار جاءت بتكذيب جهم فى إنكاره أن الله يجيز على الصراط عباده ، روى أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يضرب الجسر على جهنم فأكون أول من يجيز ، ودعاء الرسل : اللهم سلم ، سلم » ، وعن أبى سعيد عنه صلى الله عليه وسلم مثله .

وعن ابن مسعود قال : يأمر الله عز وجل بالصراط فيَضرَب على جهنم فيمر الناس على قدر أعمالهم كلمح البرق ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، ثم كأسرع البهائم ، كذلك حتى يمر الرجل سعياً ، ثم حفى الرجل مشياً حتى يكون آخرهم رجلا يتلبط[1] على بطنه فيقول : يا رب أبطأت ، فيقول : إنما أبطأك عملك .

وقال أبو هريرة: يضرب الله الصراط بين ظهرانى جهنم كحد السيف عليه خطاطيف وكلاليب[2] ، وحَسَك كحسك السعدان دونه جسر دحض[3] مزلة فيمرون كطرف العين ، أو كلمح البرق ، أو كمر الريح ، أو كجياد الخيل ، أو كجياد الركبان ، أو كجياد الرجال ، فناج سالم ، وناج مخدوش ، أو مكدوس على وجهه فى جهنم .

وأنكر جهم الميزان : والله عز وجل يقول : (وَنَضَعُ الموازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيامة فلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وإنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وكَفَى بِنَا حَاسِبِيْنَ)[4] ، وقالت أم المؤمنين رحمة الله عليها ورضوانه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرى فرأيت قربه منى فى الدنيا وتباعدهم

---

(١) يتلبط : يضطجع ويتمرغ .

(٢) الكلاليب جمع كلوب وكلاب وهو حديدة معوجة الرأس كالخطاف والحسك نبات صحراوى له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم ومنه حسك السعدان ، وقيل هو عشب له شوك .

(٣) دحض أى زلق يقال : مكان دحض أى مزلة لا تثبت عليه الأقدام .

(٤) سورة الانبياء : مكية ٤٧ .

فى الآخرة بأعمالهم ، وذكرت النار فبكيت فقطر من دموعى على لحيته صلى الله عليه وسلم فقال : « ما لعائشة ؟ » قلت : يا رسول الله صلى الله عليك ذكرت النار فبكيت هل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ قال : « أما فى ثلاث مواطن فلا : حين يقال فى الصحف (هاؤم)[١] فإن أحداً لا يذكر أحداً حتى ينظر بيمينه يعطى كتابه أم بشماله ؟ وحين توضع الأعمال فى الموازين فإن أحداً لا يذكر أحداً حتى يثقل ميزانه أو يخف ، وحين يؤخذ الناس على الصراط بين ظهرانى جهنم جنبتاه كلاليب وحسك فإن أحداً لا يذكر أحداً عند ذلك حتى ينظر ينجو أم يقع ؟ » ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الموازين بيد الله يرفع أقواماً ويضع آخرين » ، وقال عكرمة : أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل أبصر ماله فى ميزان غيره إنه يأكل كفيه إلى إبطيه ثم يذبتان ، ثم يأكلهما حسرة وندامة حتى يقضى الله فى أمره ما أراد .

وأنكر جهم (وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين)[٢] ، وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يغتسل فى صحن داره فقال : « اتقوا الله واستحيوا من الكرام الكاتبين ، إذا اغتسل أحدكم فليتوار » .

ودخل يعلى بن عبيد على محمد بن سوقة قال : أحدثكم بحديث لعل الله ينفعك فإنه قد نفعنا : قال لنا عطاء بن أبى رباح : إن من كان قبلكم يكره فضول الكلام ما عدا كتاب الله يقرءونه ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، أو تنطق بحاجتك لمعيشتك التى لا بد لك منها ، أتنكرون (إنَّ عليكم لحافظين * كراماً كاتبين) وإن (عن اليمينِ وعن الشمالِ قَعِيْد)[٣] أما يستحى أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التى أملى صدر نهاره أكثرُ ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه .

---

(١) سورة الحاقة : مكية ١٩ .
(٢) سورة الانفطار : مكية ١٠ - ١١ .
(٣) سورة ق : مكية ١٧ .

وأنكر جهم أن يكون لله جل وعلا حجاب . ومما يدل على أن الله تبارك وتعالى فى السماء بأن من خلقه ودونه الحجب التى احتجب بها . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل النهار قبل الليل ، وعمل الليل قبل النهار حجابه النور ، ولو كشفها لأحرقت سُبُحَاتُ وجهِه كُلَّ شىء أدركه بصره »[(١)].

وقال كعب الحبر : أقرب الخلق إلى الله تعالى جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل وهم تحت زوايا العرش وبينهم وبينه مسيرة خمسين ألف سنة .

وقال ابن عمر : احتجب الله من الخلق بأربعة : بنار ، وظلمة ، ونور ، وظلمة .
وعن وهب بن منبه قال : إن إبليس على عرشه فى لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء ، ويحتجب بالحجب دون الرحمن تبارك وتعالى[(٢)].

وأنكر جهم أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا فى النصف من شعبان .
روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا ، فيقول : من يدعونى فأستجب له ، من يستغفرنى فأغفر له ، من يسألنى فأعطيه » .

وعن أبى هريرة ، وأبى سعيد الخدرى قالا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى هذه السماء

---

(١) السبحات : جمع سبحة أى أنواره وجلاله وعظمته ،وقيل سبحات وجهه : محاسنه وأحسن ما قيل فى معنى هذا الحديث : لو انكشف من أنوار الله التى تحجب العباد عنه شىء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور كما خر موسى صعقا ودك الجبل لما تجلى الله سبحانه وتعالى .

(٢) كلام وهب بن منبه وكعب الأحبار من الإسرائيليات التى أقحمت على التراث الإسلامى .

فنادى يقول : « هل من مذنب يتوب ، هل من مستغفر ، هل من داع ، هل من سائل » .

وعن عثمان بن أبى العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الليل ساعة تفتح فيها أبواب السماء فينادى مناد : هل من داع فأستجيب له ، هل من سائل فأعطيه ، هل من مستغفر فأغفر له » .

وعن ابن عباس فى قوله : (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب[1]) قال : ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فى شهر رمضان فيدبر أمر السنة ، فيمحو ما يشاء من الشقاء ، والسعادة ، والموت والحياة .

وعن كعب قال : إن الله جل اسمه يطلع فى النصف من شعبان إلى أهل الأرض فيغفر لكل أحد إلا لمشرك أو مشاحن .

ومما يدل على أن الله تبارك وتعالى ينزل كيف يشاء إذا شاء ، صعوده إلى السماء واستواؤه على العرش ، فزعمت الجهمية ، وقالت : من يخلفه إذا نزل ؟ قيل لهم : فمن خلفه فى الأرض حين صعد[2] ، علمه بما فى الأرض كعلمه بما فى السماء ، وعلمه بما فى السماء كعلمه بما فى الأرض سواء لا يختلف .

ومما يدل على ذلك قوله عز وجل: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُم الملائكةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّك ، أو يأتىَ بعضُ آياتِ رَبِّكَ ، يومَ يأتى بعضُ آياتِ

---

(١) سورة الرعد : مدنية ٣٩.

(٢) صريح كلام أبى عاصم بن خشيش بن أصرم هذا يكشف عن معتقده من إثبات صعود حسى وهبوط حسى لله جل شأنه وهو تجسيم بحت لأن الانتقال من فوق إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى شأن الأجسام وتعالى الله عن ذلك . وأحاديث النزول إنما تدل على نزول ملك ينادى لحديث النسائى . فتعين الإسناد المجازى الموافق للتنزيه . فياويح الحشوية ما أغباهم فى فهم المعانى فى اللسان العربى المبين نسأل الله السلامة (ز) .

رَبِّكَ[١]) . وقوله : (وعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً[٢]) ، وقوله : (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ[٣]) ، وقوله : (وجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا[٤]) .

وجاءت الآثار : روى عن ابن مسعود أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لقائم المقام المحمود » قيل : وما المقام المحمود ؟ قال « ذاك يوم ينزل الله عز وجل على كرسيه يئط كما يئط[٥] الرَّحْلُ الجديد من تضايقه ، وهو كسعة ما بين السماء والأرض ، وقال ابن عباس فى قوله : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ[٦]) قال يأتى يوم القيامة فى ظُلَلٍ من السَّحَابِ قَدْ قُطِّعَتْ طاقات طاقاتٍ .

وعن الضحاك بن مزاحم قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشققت ونزل ما فيها من الملائكة فأحاطوا بالأرض ومن عليها ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، ثم الخامسة ، ثم السادسة ، ثم السابعة ؛ فيصفون صفا دون صف ، ثم ينزل الملك الأعلى وأُتى بجهنم ، فإذا رآها أهل الأرض فروا ، فلا يأتون قطراً من أقطار الأرض إلا وجدوا سبع صفوف من الملائكة فيرجعون إلى المكان الذى كانوا فيه للحساب ، فذلك قوله : (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ)[٧] ، وقوله : (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالغَمَامِ

---

(١) سورة الأنعام : مكية ١٥٨ . (٢) سورة الكهف : مكية ٤٨ .

(٣) سورة الأحقاف : مكية ٢٠ . (٤) سورة الفجر : مكية ٢٢ .

(٥) حديث الأطيط محض تخليط عند ابن عساكر . وقد ذكرت علله فى تكملة الرد على « النونية » و « الأسماء والصفات » (ز) .

(٦) سورة البقرة : مدنية ٢١٠ . (٧) سورة المؤمن : مكية ٣٢ - ٣٣ .

ونُزِّلَ الملائـكةُ تنزِيلا)[1] وقوله: (وجاءَ ربُّكَ والملَكُ صفًّا صفًّا)[2] وقوله: (يا معْشرَ الجِنِّ والإنسِ إنْ استطعْتُم أنْ تنفذُوا مِنْ أقطارِ السَّموات والأرضِ فانفذُوا لا تنفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطَان)[3] وقوله: (وانْشَقَّت السَّماء فهيَ يومئذٍ واهِيَة والملَكُ على أرْجائِها)[4]، وأرجاؤها أطرافها وحافتها.

وعن ابن مسعود قال: يقومون لرب العالمين، وقرأ عبد الله: (وقفوهم إنَّهُمْ مَسْئولُون)[5] حتى يمر المسلمون فيتمثل الله عز وجل للخلق، فيقول لهم: من كنتم تعبدون؟ فيقولون: الله، فعند ذلك يكشف عن ساق، ولا يبقى مؤمن إلا خر ساجداً، ويبقى المنافقون ظهورهم طبقاً واحداً.

وقال صفوان بن محرز: كنت أُماشي ابن عمر فعرض له رجل فقال: يا ابن عمر!! ما تقول فى النجوى؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يدنو المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أعرف، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أعرف، فيقول: فإنى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، قال: ويعطى صحيفة حسناته، وأما الـكافر والمنافق فينادى بهم على رءوس الأشهاد: (هؤلاءِ الذِينَ كذَبُوا علَى ربِّهم ألاَ لعنَةُ اللهِ علَى الظالِمينَ)[6] وإنما سُمُّوا الملائـكة المقربين لقربهم من الله دون جميع خلقه.

وإنما تحيرت الجهمية وضلت عقولهم حين قالوا: إن الله لا يخلو منه شيء،

---

(١) سورة الفرقان: مكية ٢٥ . (٢) سورة الفجر: مكية ٢٢ .
(٣) سورة الرحمن جل جلاله: مكية ٣٣ .
(٤) سورة الحاقة: مكية ١٦ . (٥) سورة الصافات ٢٤ .
(٦) سورة هود: مكية ١٨ .

ولايزول عن موضعه، فأسرع إلى الجهال قولهم، وكذلك ربنا جل وعز، ولكن ليس بمنزلة الخالق في نزوله، وليس أحد من الخلق يصير عن مكانه وموضع كان فيه إلى مكان غيره إلا وهو زائل عن موضعه ومكانه الأول لنفسه وعلمه، لجهله بما يحدث بعده على مكانه وموضعه الأول، وإن الله تبارك وتعالى لما استوى من الأرض إلى السماء أو نزل من سماء إلى سماء أو إلى الأرض لا يعزب عن علمه شيء في السموات ولا في الأرض علمه بما فيهن بعد الاستواء وبعد النزول كعلمه بهن قبل ذلك، لم ينقص الاستواء في النزول من علمه ولا زاد تركه في علمه، فمن كان هذا حاله فليس بزائل عن خلقه، ولا خلقه بخال من علمه تبارك الله رب العالمين[١].

وأنكر جهم النظر إلى الله جل وعز وجل والله يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢] وقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾[٣] وقال: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٤] وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[٥].

واعلموا رحمكم الله أن أعظم ما يرجو أهل الجنة من الثواب النظر إلى الله عز وجل. وقد روى أبو هريرة قال: قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فأنتم ترونه يوم القيامة كذلك».

---

(١) والمصنف لو لم يخض فيما لا يحسنه لأحسن صنعا لكنه كما ترى أساء إلى نفسه بما فعل (ز).

(٢) سورة القيامة: مكية ٢٢ - ٢٣. (٣) سورة الاحزاب: مدنية ٤٤.

(٤) سورة القمر: مكية ٥٥ (٥) سورة المطففين: مكية ١٥.

وقال جرير بن عبد الله البجلي : كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر قال : « فإنكم ترون ربكم كما ترون هذا لا تضارون في رؤيته » .

وعن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وزيادة)[١] قال : النظر إلى وجه الله عز وجل ، وعن عِكْرمة في قوله : (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وزيادة) قالوا لا إله إلا الله و (الحسنى) الجنة (وزيادة) قال : النظر إلى وجه الله الكريم .

وسئل ابن عباس قال : عن كل من دخل الجنة نظر إلى الله قال : نعم ، وكان عليه السلام يقول في دعائه : « اللهم إني أسألك برد العيش ولذة النظر إلى وجهك ، وشوقاً إلى لقائك » .

وعن أنس بن مالك قال : ذكر المزيد[٢] فقلت : وما المزيد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ أهل الجنة يغدون إلى ربهم كلَّ جمعة فتوضَعُ لهم مجالس فمنهم على منابر ، ومنهم على كراسي ، ونحو ذلك ، فيقول : أطعموا عبادي ، فيطعمون ، ثم يقول : اسقوا عبادي ، فيسقون ؛ ثم يقول : اكسوا عبادي ، فيكسون » قال : وذكر النظر قال : « فينظرون إلى الله تبارك وتعالى » .

وسئل ابن عباس : هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ قال : نعم رآه ، قال عكرمة : فقيل لابن عباس : أليس الله يقول : (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَار)[٣] ؟

---

(١) سورة يونس : مكية ٢٦ .

(٢) في طرق حديث يوم المزيد ألفاظ منكرة بينها ابن عساكر في جزء خاص راجع ما كتبناه على نونية ابن القيم (ز) .

(٣) سورة الانعام : مكية ١٠٣ .

قال ابن عباس : لا أمّ لك ! ! ذلك نوره الذى هو نوره إذا تجلى به لم يستقم له شيء .

وقال عكرمة : ماذا أعطى الله عبده من النور فى عينيه أن لو جعل نور أعين جميع خلقه من الجن والإنس والدواب وكل شيء خلق الله فجعل نور أعينهم فى عين عبد من عباده ثم كشف عن الشمس ستراً واحداً - ودونها سبعون ستراً - إذاً ما قدر أن ينظر إلى الشمس والشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الستر ، قال عكرمة : فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور أن ينظر إلى وجه ربه الكريم عياناً فى الجنة .

وعن عكرمة : أن الله يرسل إلى أوليائه فى الجنة براذين(١) من ياقوت سرجها ولجمها من ذهب ألين من الحرير يخرجون زائرين إلى رب العالمين ، وقال : يُظلهم الغمام وتحفهم الملائكة ، قال : ثم يقول الله عز وجل : يا ملائكتى عبادى وزوّارى وجيرانى أطعموهم من لحم طير خضر ليس فى الجنة مثلها ، ثم يكسون ويطيبون ، ثم يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى(٢) .

وقد قال أبو عاصم : إذا كان المؤمن يحجب عن ربه ولا يراه ، والكافر محجوب عن ربه فما فضل المؤمن على الكافر ؟ وقول الله عز وجل ورسوله وأصحاب رسوله أحق أن يتبع من قول جهم فى النظر إلى الله عز وجل .

وأنكر جهم أن يكون لله عز وجل وجه وهو يقول : (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجلاَلِ والإِكْرَامِ)(٣) ، وقال : (كلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ)(٤) ،

---

(١) براذين جمع برذون وهى الدابة ونوع من الخيل غير عربية .

(٢) قد أكثر المصنف من سرد آثار لا يصح الاحتجاج بها فى صفات الله بسبب ضيق دائرة علمه بالآثار الصحيحة وبطرق النظر (ز) .

(٣) سورة الرحمن : مكية ٢٧ (٤) سورة القصص : مكية ٨٨ .

وقال : (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ)(١) ، وقال : (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ)(٢) ، وقال : (فَأَينما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ)(٣) ، وقال : (ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ)(٤) ، وقال : (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ)(٥) .

وروى أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ المؤْمِنِينَ)(٦) ، قال : هكذا ، بأصابعه ، فقال ثابت لحميد : لا تحدث بهذا يا أبا محمد ، فزبره حميد وانتهره ، وقال : حدث به أنس ، وزعم أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث به وأنا أكتمه .

وقال ابن مسعود : إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، ونور السموات والأرض من نور وجهه .

وعن ابن عمر : أن أدنى أهل الجنة منزلةً لمن ينظر إلى جنانه ونعمه وخدمه وسُرُره مسيرة ألف عام ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه بكرة وعشياً ، ثم تلى هذه الآية : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) .

وكان علىّ عليه السلام يقول فى دعائه : وجهك أكرم الوجوه ، وجاهك خير الجاه .

---

(١) سورة الرعد : مدنية ٢٢ (٢) سورة الدهر : مدنية ٩ .
(٣) سورة البقرة : مدنية ١١٥ (٤) و (٥) سورة الروم : مكية ٣٨ — ٣٩ .
(٦) سورة الأعراف : مكية ١٤٣

وروى أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عايه وسلم : « لا يقولن أحدكم قبح الله وجهك ووَجْهَ مَن أشْبَهَ وجهَك فإن الله خلق آدم على صورته » .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته[١] » .

وقال أبو رزين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ضحك ربنا تبارك وتعالى من قنوط عباده ، وقرب غيره » قال أبو رزين : فقلت : يا رسول الله : ويضحك الرب ؟ فقال : « نعم يا أبا رزين لن نعدم من رب يضحك خيراً » وقال عليه الصلاة والسلام : « يأتينا ربنا يوم القيامة ونحن على مكان رفيع فيتجلى لنا ضاحكا » .

وقال أبو موسى الأشعرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله عز وجل المؤمنين فى صعيد واحد فإذا أراد أن يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يدخلوهم النار ، ثم يأتينا ربنا ونحن على مكان مرتفع فيقول : من أنتم؟ فيقولون: نحن مسلمون . فيقول : من تنتظرون؟ فيقولون : ننتظر ربنا ، فيقول من أين تعرفون ربكم وهل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : جاءتنا الرسل فصدقنا واتبعنا . فيقول لهم : وكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون : نعم ، فيتجلى لهم ضاحكا » .

وعن عبد الله بن عمر قال : يضحك الله إلى صاحب البحر ثلاث مرات : حين يركبه ويتخلى عن أهله ، وحين يميد متشحطاً ، وحين يرى البر .

وعن ابن مسعود قال : رجلان يضحك الله إليهما . رجل تحته فرس من أمثل خيل أصحابه فانهزموا وثبت إلى أن قتل شهيداً وإن بقى فتح الله عليه فذلك يضحك إليه. ورجل قام من الليل لا يعلم به أحد فأسبغ الوضوء وصلى على النبى صلى الله عيه وسلم

---

(١) أى على صورة المضروب (ز) .

واستفتح القراءة فيضحك الله [سبحانه وتعالى] إليه ، ويقول : انظروا إلى عبدى لا يراه غيرى .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يضحك الله لرجلين [يقتتلان] كلاهما يدخل الجنة » ، قالوا : كيف يا رسول الله ؟ ؟ قال : « يقتل هذا فيلج الجنة ، ثم يتوب الله على الآخر فيهديه إلى الإسلام ، ثم يجاهد فى سبيل الله فيستشهد » .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يضحك الله إلى ثلاثة : القوم إذا صفوا فى الصلاة ، والرجل يقاتل من وراء أصحابه ، والرجل يقوم فى سواد الليل »[١] .

وأنكر جهم أن يكون لله سمع وبصر ، وقد أخبرنا الله عز وجل فى كتابه ، ووصف نفسه فى كتابه ، قال الله تعالى : (ليسَ كَمِثْلِه شىءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصِيرُ)[٢] ، ثم أخبر عن خلقه فقال عز وجل : (فَجَعَلناهُ سَميعاً بَصيراً)[٣] . فهذه صفة من صفات الله أخبرنا أنها فى خلقه ، غير أنا لا نقول : إن سمعه كسمع الآدميين ، ولا بصره كأبصارهم . وقال : (لقَدْ سَمِعَ اللهُ قولَ الذينَ قَالُوا إنَّ اللهَ فَقيرٌ وَنحْنُ أغْنِياء ، سنكْتُبُ ما قَالُوا وَقَتْلِهِم الأنبياءَ بغيرِ حَقّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عذَابَ الحرِيق)[٤] وقال : (فاذْهَبا بآيَاتِنا إنَّا مَعَكُم مُسْتَمِعُون)[٥] وقال : (أمْ يَحْسَبُونَ أنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنجوَاهم)[٦] وقوله : (يا أبَتِ لم تعبدُ ما لا يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ)[٧] ،

---

(١) ليس الضحك المنسوب إلى الله فى هذه الآثار من قبيل إبداء النواجذ تعالى الله عن ذلك وتفصيل هذا البحث فى « الأسماء والصفات » للبيهقى (٤٦٧) (ز) .

(٢) سورة الشورى : مكية ١١ (٣) سورة الدهر : مدنية ٢ .

(٤) سورة آل عمران : مدنية ١٨١ (٥) سورة الشعراء : مكية ١٥ .

(٦) سورة الزخرف : مكية ٨٠ (٧) سورة مريم : مكية ٤٢ .

وقال : (إنى مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرَى)[١] ، وقال : (وَأَلْقَيْتُ عَلَيكَ مَحَبَّةً مِنى وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنى)[٢] وقال : (كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ، وَنذكُركَ كَثِيراً ، إنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً)[٣] ، وقال (الذى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ • وَتَقَلُّبكَ فى السَّاجِدين)[٤] ، وقال : (فَسَيَرَى اللهُ عملَكُمْ وَرَسُوله وَالمُؤْمِنُون)[٥] ، وقال: (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ)[٦] ، وقال : (ذلكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ)[٧] ، وقال : (وَيَبْقَى وَجْهُ ربكَ)[٨] ، وقال : (فَوَلُّوا وُجُوهكم)[٩] ، وقال : (وتوكل عَلَى الحىِّ الذى لا يمُوتُ)[١٠] ، وقال : (أَحْيَاءٌ عندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)[١١] ، ثم قال : (لا يذُوقون فيها الموتَ إلاَّ المَوْتَةَ الأُولى)[١٢] فقد وصف الله من نفسه أشياء جعلها فى خلقه والذى يقول ، (ليسَ كمثله شيء)[١٣] . وإنما أوجب الله على المؤمنين اتباع كتابه وسنة رسوله .

وقال أبو موسى : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر أو غزاة ، فإذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ، فارتفعت أصواتنا ، فقال : « يا أيها الناس ، اربَعُوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً إنه معكم سميع قريب » .

وقال وهب : قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام : « انطلق برسالتى فإنك بعينى وسمعى ، ومعك يدى ونصرى » . وعن وهب : قال الرب تبارك وتعالى لآدم : « اخترت مكانه — يعنى الكعبة — يوم خلقت السموات والأرض ،

---

(١) و (٢) و (٣) سورة طه : مكية ٤٦ و ٣٩ و ٣٣ — ٣٥.
(٤) سورة الشعراء : مكية ٢١٨ — ٢١٩ (٥) سورة التوبة : مدنية ١٠٥ .
(٦) سورة ص : مكية ٧٥ (٧) سورة الحج : مدنية ١٠
(٨) سورة الرحمن : مكية ٢٧ (٩) سورة البقرة : مدنية ١٤٤ .
(١٠) سورة الفرقان : مكية ٥٨ . (١١) سورة آل عمران : مدنية ١٦٩ .
(١٢) سورة الدخان : مكية ٥٦ . (١٣) سورة الشورى : مكية ١١ .

وقبل ذلك كان بعيني وهو صفوتي من البيوت » . وعن ابن عمر قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله جل اسمه بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال : « إني لأنذركموه ، وما من نبي إلا وقد أنذر قومه ، ولقد أنذر نوح قومه ، ولكني سأقول لكم قولا لم يقله نبي لقومه : تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور » .

وأنكر جهم أن ملك الموت يقبض الأرواح ، والله عز وجل يقول : (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الذى وُكِّلَ بِكُمْ)[١] .

ولقي سَمّاكٌ ابن عباس في المدينة فقال : ما تقول في أمر غمني واهتممت به ؟ قال : ما هو ؟ قلت : نفسان اتفق موتهما في طرفة عين ، واحد في المشرق وآخر في المغرب كيف قدر عليهما ملك الموت ؟ قال : والذى نفسي بيده ما قدرة ملك الموت على أهل المشارق ، والمغارب ، والظلمات ، والنور ، والهواء إلا كقعدة الرجل على مائدة يتناول من أيها شاء .

وقد ذكر أيضاً : أن الدنيا يدبرها أربعة أملاك ، فجبريل على الريح والجنود ، وميكائيل على القطر والنبات ، وملك الأنفس على الأنفس ، وكل هؤلاء يوفع إلى إسرافيل .

وقال مجاهد : ما على الأرض بيت شعر ولا مدر ، إلا وملك الموت يطرف فيه كل يوم مرتين . وقوله : (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا)[٢] قال : تتوفاه الرسل وملك الموت يقبض منهم الأنفس .

قال الحسن بن عبيد الله : هم أعوان ملك الموت . وقال سليمان بن داود لملك

---

(١) سورة السجدة : مكية ١١ .   (٢) سورة الأنعام : مكية ٦١ .

الموت عليهما السلام : ألا تعدل بين هؤلاء الناس ؟ قال : أنا أعلم بذلك منك ، إنما هى كتاب أو صحيفة تلقى .

وأنكر جهم عذاب القبر ، ومنكراً ، ونكيراً ، وقال : أليس يقول : (لا يَذُوقونَ فِيهَا الموْتَ إلاَّ المَوْتَةَ الأولى) [١] .

وقد أخبرنا بأمر منكر ونكير فمن أولى أن يتبع ؟ النبى صلى الله عليه وسلم أم جهم ؟ ثم يقال لهم : أخبرونا عن عزير حين أماته الله عز وجل مائة عام ثم بعثه بعد موته كم موتة أماته ، وكم حياة أحياه؟ (أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وهم أُلوفٌ حَذَرَ الموت فقالَ لَهمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُم ، إنَّ اللهَ لذُو فَضْلٍ على النَّاس وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لا يَشْكُرُون) [٢] ، والسبعون الذين قالوا لموسى (أرِنا اللهَ جَهْرَةً) [٣] فأماتهم الله ، ثمَّ أحياهم ، وذلك قوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَا كُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لعلكم تشكُرُون) [٤] كم موتة أماتهم وكم حياة أحياهم .

وفيما يخبر عن منكر ونكير قوله تعالى : (يُثَبِّتُ اللهُ الذينَ آمَنُوا بالْقَوْلِ الثابت فى الحياة الدُّنيا والآخرة) [٥] ، روى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كيف بك يا عمر وبفتانى القبر إذا أتياك يحفران الأرض بأنيابهما ويطآن أشعارهما، أعينهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف معهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يقلوها ؟ » قال عمر : وأنا على مثل ما أنا عليه اليوم يا رسول الله ؟ قال : « وأنت على مثل ما أنت عليه اليوم » . قال : إذاً أكفيكهما إن شاء الله . قال وعبيد بن عمير يقول : ذلك منكر ونكير .

وعن ابن مسعود قال : يجلس العبد فى قبره إجلاساً فيقال له : ما أنت ؟ فإن

---

(١) سورة الدخان : مكية ٥٦ .
(٢) سورة البقرة : مدنية ٢٤٣ .
(٣) سورة النساء : مدنية ١٥٣ .
(٤) سورة البقرة : مدنية ٥٦ .
(٥) سورة إبراهيم : مكية ٢٧ .

كان من أهل الجنة قال : أنا عبد الله حياً وميتاً أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فينسح له فى قبره ما شاء الله ، وينزل عليه من كسوة الجنة ، ويرى مكانه فى الجنة . ويقال للآخر : ما أنت ؟ فيقول : لا أدرى ثلاث مرات ، فيقال له لا دريت ثلاثاً فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويرى مكانه من النار فيرسل عليه حيات من جوانب قبره فتنهشه وتأكله ، فإن جزع وصاح ضرب بمقمعة من نار أو حديد .

وعن عائشة رحمة الله عليها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر » . وقالت : دخلت علىَّ امرأة من اليهود فقالت : إن عذاب القبر من البول ، فقلت : كذبت ، قالت : بلى إنا لنقرض منه الجلود والثوب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتفعت أصواتنا فقال : ما هذا ؟ فأخبرناه بما قالت ، قال : صدقت . فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومئذ إلا قال فى دبر كل صلاة : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل أعذنى من حر النار وعذاب القبر .

وأنكر جهم أن الله يتكلم ، والله يقول : (أَفَتَطْمَعُون أن يُؤْمِنُوا لكم وقد كان فَرِيقٌ منهم يسمعون كلام اللهِ ثم يحرِّفُونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)[١] وقال (لا تبديل لكلمات الله) وقال (وَ إنْ أَحَدٌ مِنَ المشركين اسْتَجَارَكَ فَأَجِره حَتَّى يَسْمَع كلامَ اللهِ ثمَّ أبلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذلك بأنَّهُمْ قومٌ لا يعلمون)[٢] وقال (وَلاَ مُبَدِّلَ لكلمات اللهِ وَلَقَدْ جاءَكَ مِنْ نَبإِ المُرْسَلين)[٣] وقال (وَاتْلُ ما أُوحِىَ إليكَ مِنْ كتابِ رَبكَ لا مُبَدِّلَ لكلماتِهِ)[٤] وقال (لو كان البَحْرُ مِدَاداً لكلمات ربى لَنَفِدَ البحْرُ قبلَ أن تنفدَ كلماتُ ربِّى ولو جئنا بمثله مَدَداً)[٥] وقال (لو أنَّ ما الأرض من شجرةٍ أقلامٌ وَالبحرُ يمُدُّهُ من بَعْدِه سبعةُ أبحُرٍ ما نفِدَتْ كلماتُ اللهُ) ، وقال : (أولئكَ ما يَأْكُلُونَ فى بُطُونهم إلاَّ النَّارُ ، وَلا يكلمهُمُ اللهُ

---

(١) سورة البقرة : مدنية ٧٥ . (٢) سورة التوبة : مدنية ٦ .

(٣) سورة الانعام : مكية ٣٤ . (٤و٥) سورة الكهف : مكية ٢٧ - ١٠٩ .

يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِم ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١)) وقال : (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلَانَّ جَهَنَّمَ (٢)) وقال : (وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ، قالُوا أَتجعَلُ فِيهَا مَنْ يُفسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ونَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونقَدِّسُ لَكَ ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٣)) وقال : (إِذ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٤)) وقال : (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إله إِلّا هُوَ والملائِكَةُ وأُولوا العِلْمِ قَائِماً بالقِسْطِ لا إله إلا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (٥))وقال: (كَمَثل آدمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ (٦)) وقال : (وإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٧)) وقال : (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً (٨)) وقال : (فَذُوقُوا العذَابَ بِمَا كُنْتم تَكْفُرُونَ (٩)) وقال : (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ (١٠)) وقال : (وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (١١)) وقال : (يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ (١٢)) وقال : (إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وعَلَى والدتكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ والإِنجِيلَ وإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيراً بِإِذْنِي وتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وإِذْ تُخْرِجُ المَوْتَى بِإِذْنِي وإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم

(١) سورة البقرة : مدنية ١٧٤ . (٢) سورة هود : مكية ١١٩ .
(٣) سورة البقرة : مدنية ٣٠ . (٤) سورة ص : مكية : ٧١ .
(٥) و (٦) سورة آل عمران : مدنية ١٨ — ٥٩ .
(٧) سورة البقرة : مدنية ١١٧ . (٨) سورة النساء : مدنية ١٢٢ .
(٩) سورة الأحقاف : مكية ٣٤ . (١٠) سورة النحل : مكية ٤٠ .
(١١) سورة الأعراف : مكية ٢٢ . (١٢) سورة المائدة : مدنية ١٠٩ .

بالبيّنات فقالَ الّذين كفروا إنْ هذا إلا سحرٌ مُبين)[١] وقال : إني مُتوفّيك ورافعُك إليّ ومُطهّرُك مِنَ الّذين كفرُوا وجاعِلُ الذين اتّبعوكَ فوقَ الذين كفرُوا إلى يوم القيامة ثمّ إليَّ مرجعُكم فأحكُمُ بينكُمْ فيما كُنتمْ فيه تختلفون[٢]) وقال : (هذا يومُ ينفعُ الصّادقينَ صدقُهم[٣]) وقال (وإذ قالَ ربُّكَ للملائكة إنّي خالقٌ بشراً مِنْ صلْصالٍ مِنْ حمإٍ مسْنُون)[٤] وقال : (والله يقولُ الحقَّ وهُوَ يهْدي السّبيلَ[٥]) وقال : (فقالَ لها وللأرْضِ ائْتيا طوعاً أو كرْهاً قالتا أتينا طائِعينَ)[٦] ، وفى القرآن مثل هذا كثير.

فأما الآثار فإن ابنَ مسعود قال : إنما هى اثنتان : الهدَى والكلام فأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها.

وعن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تقرب العباد إلى الله عز وجل بمثل ما خرج منه »[٧] يعنى القرآن .

وعن ابن عباس قال : خلق الله لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه ياقوتة ، كلامه بر ، وكتابه نور ، وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق بكل نظرة ، ويحيي ويميت ، ويعز ويذل ويفعل ما يشاء .

وقال جابر بن عبد الله : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه

---

(١) سورة المائدة : مدنية ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران : مدنية ٥٥ . (٣) سورة المائدة : مدنية ١١٩ .

(٤) سورة الحجر : مكية ٢٨ . (٥) سورة الأحزاب : مدنية ٤ .

(٦) سورة فصلت : مكية ١١ .

(٧) قال البخارى فى خلق الأفعال « ٩١ » : هذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه (ز) .

فى الموسم على الناس فى الموقف يقول : « هل من رجل يحملنى إلى قومه ؟ فإن قريشاً منعونى أن أبلغ كلام ربى عز وجل » فأتاه رجل من بنى همدان فقال : أنا . فقال : « أو عند قومك لى منعة ؟ » وسأله من هو ؟ قال : من همدان ، ثم إن الهمدانى خشى أن يخفوه قومه فقال : يا رسول الله آتيهم فأخبرهم ثم ألقاك من قابل فانطلق وجاءت وفود الأنصار فى رجب .

وينبغى أن يقال للجهمية : من يحاسب الناس يوم القيامة إن كان لم يكلم ولا يتكلم ؟ أليس هو المخبر : (فَلَنَسْأَلَنَّ الذينَ أرْسِلَ إليهِم وَلَنَسْأَلَنَّ المُرْسَلِين)[١] وقوله لعيسى عليه السلام : (أأنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونى وأمِّىَ إلَهين مِنْ دُونِ اللهِ ؟ قَالَ سُبْحَانَكَ ما يَكُونُ لِى أنْ أقولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تعلم مَا فِى نَفْسِى ولا أعْلَمُ ما فِى نَفْسِكَ إنَّكَ أنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ[٢]) فقال عيسى عليه السلام الحقَّ ولم يَدَّعِ كَذِبا (وما قُلْتُ لَهُم إلا ما أمَرْتَنِى بِهِ)[٣] .

ويقال للجهمية أيضاً : (خلق السموات والأرض) و (خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَرا[٤]) وقال فى كتابه : (خَلَقَ الموْتَ والحياةَ[٥]) وقال : (خَلَقَكُم فَمِنكُم كَافِرٌ ومِنكُم مُؤْمِنٌ[٦]) . فهل وجدتم فى كتاب الله عز وجل أنه يخبر عن القرآن أنه خلقه كما خلق هذه الأشياء ؟ أليس الله عز وجل يقول : (رَبُّ المَشَارِقِ والمَغَارِبِ[٧]) و (رَبُّ هذهِ البَلْدَةِ الذى حَرَّمها[٨]) وقال : (رَبُّكُم وربُّ آبائِكم الأوَّلِين[٩]) فهل قال فى القرآن ربُّ القرآن كما قال لهذه الأشياء إنه

---

(١) سورة الأعراف : مكية ٦ . (٢) و (٣) سورة المائدة : مدنية ١١٦ - ١١٧
(٤) سورة الفرقان : مكية ٥٤ .
(٥) سورة الملك : مكية ٢ . (٦) سورة التغابن : مكية ٢ .
(٧) سورة المعارج : مكية ٤٠ . (٨) سورة النمل : مكية ٩١ .
(٩) سورة الشعراء : مكية ٢٦ .

ربها ؟ أو هل تجد شيئاً فى سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله خلق القرآن وهو ربه بل قال : « دَعُوا كل شىء مبتدع إذا أتى آت بشىء ليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله فدعواه باطل » . ألا ترى أن الجهمية ينبغى أن يقال لهم فى دعواهم : (إنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً)(١) و(وجَعَلْنَاهُ نوراً نَهْدِى به(٢)) إن جعل فى القرآن على معنيين على خلق وعلى غير خلق. فالذى على خلق لا يكون إلا على خلق ولا يقوم إلا مقام خلق ، ولا يزول عنه المعنى والذى على غير الخلق لا يكون خلق ولا يقوم مقام الخلق ولا يزول عنه المعنى. وقد ذكر الله عز وجل جعل المخلوقين ولكل جعل فى القرآن طريق ومذهب. فالذى ذكر الله من جعل المخلوقين قوله : (وجعلوا الملائكةَ الذينَ هُمْ عِبَادُ الرحمنِ إناثاً ، أشَهِدُوا خَلْقَهم ؟ سنكْتُبُ شهادَتهُمْ وَيُسْأَلُونَ)(٣) وذلك أنهم وصفوا الملائكة أنهم إناث.وقوله:(وَجَعَلوا لله شركاء)(٤) ووصفوا أن لله شركاء . وقال : (جعلوا القرآنَ عِضِين)(٥) وذلك أنهم قالوا إن القرآن شعر وأساطير الأولين ، يقول سموه بأشياء . وقال : (جعلوا أصابِعَهُمْ فى آذانهم)(٦) فهذا خبر عن فعل من أفعالهم . وقال : (حتى إذا جعلهُ ناراً)(٧) فهذا أيضاً خبر عن فعل .

ثم ذكر جعل منه على معنى الخلق ، فقال : (الحمدُ للهِ الذى خلقَ السمواتِ والأرضَ وجَعَلَ الظلماتِ وَالنورَ)(٨) يقول : خلق الظلمات والنور فأوقع اسم الخلق على الظلمات والنور . وقال : (وَجَعَلَ لكُمُ السَّمْعَ والأبصارَ)(٩) فأوقع

---

(١) سورة الزخرف : مكية ٣ .
(٢) سورة الشورى : مكية ٥٢ .
(٣) الزخرف : مكية ١٩ .
(٤) سورة الرعد : مدنية ٣٣ .
(٥) سورة الحجر : مكية ٩١ .
(٦) سورة نوح : مكية ٧ .
(٧) سورة الكهف : مكية ٩٦ .
(٨) سورة الانعام : مكية ١ .
(٩) سورة السجدة : مكية ٩ .

اسم الخلق على الأسماع والأبصار . وقال : (وجعلتُ لهُ مالاً مَمْدُوداً)[1] ، (وَجَعَلنا الليلَ وَالنَّهارَ آيَتَينِ)[2] ، (وَجَعَلَ الشمْسَ سِرَاجاً)[3] يقول : وخلق الشمس سراجاً ، ومثله فى القرآن كثير أذكره فى آخر الكتاب إن شاء الله فى باب الحجاج .

واعلم أن كل ما وقع عليه اسم الخلق هو موجود فى ذاته ، ثم ذكر الجعل على غير معنى الخلق فقال : (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَة وَلاَ سَائِبَة وَصِيلَةٍ وَلاَ حامٍ وَلٰكِنَّ الذينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يعقلون)[4] لا يعنى ما خلق الله من بحيرة . وقال لإبراهيم عليه السلام : (إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إماماً)[5] لا يعنى بذلك خالقك ، لأن خلق إبراهيم عليه السلام قد تقدم . وقول إبراهيم عليه السلام : (رَبِّ اجْعَلنى مُقِيمَ الصلاة)[6] لا يعنى اخلقنى . وكذلك قال الله عز وجل لأم موسى عليه السلام : (إِنَّا رَادُّوهُ إليكِ وجاعِلوه مِنَ المرسَلين)[7] فمعناه التصيير . وقوله : (لا تجعلنا فِتْنَةً)[8] لا يعنون : لا تخلقنا فتنة . وقوله : (وَلا تجعَلوا اللهَ عُرْضَة لأيمَانِكُم)[9] وقوله : (لاتجعلوا دُعاءَ الرسول بينكم)[10] ، وقوله : (وَلَنْ يجعلَ اللهُ للكافرينَ عَلَى المُؤمِنِينَ سبيلاً)[11] ومثله فى القرآن كثير ، وما يكون على مثاله لا يكون الجعل على معنى الخلق .

---

(١) سورة المدثر : مكية ١٢ .
(٢) سورة الاسراء : مكية ١٢ .
(٣) سورة نوح : مكية ١٦.
(٤) سورة المائدة : مدنية ١٠٣ .
(٥) سورة البقرة : مدنية ١٢٤ .
(٦) سورة إبراهيم : مكية ٤٠ .
(٧) سورة القصص : مكية ٧.
(٨) سورة يونس : مكية ٨٥ .
(٩) سورة البقرة : مدنية ٢٢٤.
(١٠) سورة النور : مدنية ٦٣ .
(١١) سورة النساء : مدنية ١٤١ .

وأما قوله : (وَلَـكِنْ جَعَلناهُ نُوراً)[١] فمعناه أنزلناه نوراً . ومصداق ذلك قوله عز وجل : (فآمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّور الذى أنزلْنا)[٢] وقال : (يا أيها الناسُ قد جاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّـكُمْ وَأَنْزَلْنا إليـكُمْ نوراً مُبِيناً)[٣] ، وقال : (فالذينَ آمَنُوا به وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الذى أُنزلَ معهُ أولئك هُمُ المفلحون)[٤] ، وقال : (قُلْ مَنْ أنزلَ الـكِتابَ الذى جَاء بهِ مُوسى نُوراً وَهُدًى للنَّاس)[٥] والجعل فى القرآن على وجوه ، يعلم ذلك أهل العلم والمعرفة بالله وبكتابه ويجهله من جهل عن الله وكتابه .

فأما قوله : (إنَّا خلقناكم مِنْ ذَكَرٍ وَأنثى وَجعلناكم شُعُوباً وقَبَائِلَ)[٦] ، بعد ما خلقهم ، وقال : (واللهُ جَعَلَ لـكم مِمَّا خلقَ ظِلالاً)[٧] بعد ما خلق لهم جعل لهم ظلالا . وقال : (الرحمنُ * عَلَّمَ القرآن)[٨] ثم قال : (خلقَ الإنْسَان)[٩] ولو شاء لقال : الرحمن خلَقَ القرآن ، غير أن الله عز وجل لا يسمى الأسماء إلا باسم الحق والصدق . وقال : (ومَنْ أصْدَقُ من اللهِ قِيلاً)[١٠] ألا ترى إلى قوله : (الرحمنُ ، علَّم القرآن ، خلَقَ الإنْسَانَ) يخبر بخلق غير خلق القرآن ، فلا حجة لجهم المارق ولا لمن تبعه فافهم .

وأنـكر جهم أن الله كلم موسى تـكليما . والله يقول : (ولمَّا جاء موسى لميقاتنا وكلمهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أرِنى أنظرُ إليكَ قال لَنْ تَرَانى ولـكن انظُرْ إلَى الْجَبَل فإنِ اسْتَقَرَّ مكانَهُ فَسَوف ترانى)[١١] وقال لموسى عليه السلام (إنى اصْطَفَيْتُك

---

(١) سورة الشورى : مكية ٥٢ . (٢) سورة التغابن : مدنية ٨ .

(٣) سورة النساء : مدنية ١٧٤ . (٤) سورة الأعراف : مكية ١٥٧ .

(٥) سورة الأنعام : مكية ٩١ . (٦) سورة الحجرات : مدنية ١٣ .

(٧) سورة النحل : مكية ٨١ .

(٨) و (٩) سورة الرحمن : مكية أو مدنية ١ ـ ٣ .

(١٠) سورة النساء : مدنية ١٢٢ . (١١) سورة الأعراف : مكية ١٤٣ .

على النَّاسِ برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين)[١] وقال: (فلمّا أتاها نودى يا موسى، إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدّس طوى، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى، إنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى، إنّ الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كلُّ نفسٍ بما تسعى)[٢]، وقال: (وما أعجلك عن قومك يا موسى)[٣]، وقال: (وإذ نادى ربك موسى)[٤]، وقال: (فلمّا جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين، يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم)[٥]، وقال: (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين)[٦]، وقال: (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقرّبناه نجيا)[٧]، وقال: (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا)[٨].

فأما الأثر فإن كعباً[٩] قال: لما كلم الله موسى كلمه بالألسن كلها قبل أن يكلمه بكلامه. قال له موسى: أى رب أهذا كلامك؟ قال: لا، ولو كلمتك بكلامى لم تستقم أو لم تك شيئاً، قال: رب فهل من خلقك من يشبه كلامه كلامك قال: أشد خلقى شبهاً بكلامى ما تسمعون من هذه الصواعق.

وقال وهب[١٠]: نودى من الشجرة فقيل: ياموسى، فأجاب سريعاً ومايدرى

---

(١) سورة الاعراف: مكية ١٤٤.

(٢) و (٣) سورة طه: مكية ١١ - ١١٥ و ٨٣.

(٤) سورة الشعراء: مكية ١٠. (٥) سورة النمل: مكية ٨ - ٩.

(٦) سورة القصص: مكية ٣٠. (٧) سورة مريم: مكية ٥٢.

(٨) سورة القصص: مكية ٤٦.

(٩) و (١٠) وأنت تعرف حال كعب ووهب (ز).

من دعاه ، وما سرعة إجابته إلا أنساً بالأنس فقال : لبيك إنى لأسمع صوتك ، ولا أرى مكانك فأين أنت ؟ قال : أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك ، فلما سمع موسى عليه السلام علم أنه لا ينبغى ذلك إلا لربه عز وجل فأيقن به . فقال : كذلك أنت يا إلهى فكلامك أسمع أم رسولك ؟ قال : بل أنا الذى أكلمك(١) . ثم قال الرب جل وعز : إنى أقمتك اليوم مقاما لا ينبغى لبشر بعدك أن يقومه أدنيتك وقربتك حتى سمعت كلامى وكنت بأقرب الأمكنة منى فانطلق برسالتى فإنك بعينى وسمعى ، ومعك أيدى ونصرى وقد ألبستك جُنة من سلطانى تستكمل بها القوة فى أمرى .

وقال مجاهد : (فمنهُمْ من كلم اللهُ)(٢) ، قال : كلم موسى وأرسل محمداً عليهما السلام . وقال كعب : كلم الله عز وجل موسى مرتين .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال آدم لموسى : أنت الذى اصطفاك الله بكلامه » وذكر الحديث .

وأنكر جهم أن الله استوى إلى السماء والله تبارك وتعالى يقول : (هُوَ الذى خلَقَ لكم ما فى الأرْضِ جميعاً ثمَّ اسْتَوَى إلى السماء فسوَّاهُنّ سَبْعَ سَمَوات وهو بكل شىء عليم)(٣) .

وعن عكرمة قال : إن الله تعالى خلق آدم بيده كرامة لابن آدم وغرس الجنة بيده كرامة لابن آدم وكتب التوراة بيده ، وخلق السموات والأرضين وكل شىء خلقه فى ستة أيام فبدأ فى خلقهم يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ، ثم استوى على العرش فى ثلاث ساعات بقين من يوم الجمعة فخلق فى ساعة فيها النتن الذى ألقاه على ابن آدم كى لا يعبدوه ، وفى ساعة منها السوس الذى

---

(١) كلام وهب لا أساس له فى الخبر الصحيح .

(٢) سورة البقرة : مدنية ٢٥٣ .   (٣) سورة البقرة : مدنية ٢٢٩ .

يقع فى الطعام لـكى يرغب العباد إلى الله . وقال مجاهد : قوله (هو الذى خلق لـكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فَسَوّاهنّ سبع سَمَوات وهو بكلّ شئ عليم) يقول : خلق سبع سموات بعضها فوق بعض ، وسبع أرضين بعضها تحت بعض .

وأنـكر جهم الشفاعة ، وأن قوما يخرجون من النار ، وأبو هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لـكل نبى دعوة مستجابة وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى وهى نائلة لـكم إن شاء الله وان مات لا يشرك بالله شيئاً » .

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن قوما يخرجون من النار قد أصابهم سفع من النار عقوبة بذنوب عملوها ثم يخرجهم الله من النار بفضل رحمته فيدخلهم الجنة » .

وقال جابر بن عبد الله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يخرج قوم بالشفاعة » وعن على عليه السلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل أناس من أمتى النار فيحرقون حتى يعودوا فحماً فأستشفع لهم فيدخلون الجنة » وقال عمر رضى الله عنه : سيخرج بعدكم قوم يكذبون بالرجم ، ويكذبون بالدجال ، ويكذبون بعذاب القبر ، ويكذبون بقوم يخرجون من النار .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليشفع فى مثل ربيعة ومضر » . وقال عليه السلام : «ليدخلن بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم » ، قال أبو ذر : سواك يا رسول الله ؟ قال : سواى . وعنه عليه السلام أنه قال : « إن من أمتى لمن يشفع فى أكثر من ربيعة ومضر » .

وعن الحسن بن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أصحاب الـكبائر من موحدى الأمم الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين تأخذهم النار على قدر أعمالهم ثم يخرجهم الله من النار فيدخلهم الجنة » .

قال أبو عاصم : وأنكر جهم أن يكون لله تعالى يد[١] ، وكذب على الله عز وجل ، والله يقول : (وقَالَتْ اليَهودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِم وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُم ما أُنزِلَ إليكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وكُفراً وأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ العَداوَةَ والبَغْضَاءَ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الأَرْضِ فَسَاداً واللهُ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ[٢]) . وقال : (يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ[٣]) . وقال : (والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ[٤]) . وقال : (إِنَّ الذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً[٥]) .

وعن ابن عباس قال : إنما سمى آدم : لأنه من أديم الأرض قبضه من تربة الأرض ، فخلقه منها ، وفى الأرض البياض ، والحمرة ، والسواد ، وكذلك ألوان الناس مختلفة .

وعن ابن عباس فى قوله عز وجل : (وقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا[٦]) قال : سمع صريف القلم حين كتب فى اللوح ، وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) يد الله ليست جارحة باتفاق أهل الحق ومن الغباوة البالغة ظن أن اليد فى الآيات المسرودة بمعنى الجارحة تعالى الله عن ذلك . وكتاب « الأسماء والصفات » للبيهقى يغنى عن شرح المراد باليد والأصبع والكف والساق فى تلك الآيات والأحاديث على تفاهم أهل اللسان (ز) .

(٢) سورة المائدة مدنية : ٦٤ . (٣) سورة ص : مكية ٧٥ .

(٤) سورة الزمر : مكية ٦٧ . (٥) سورة الفتح : مدنية ١٠ .

(٦) سورة مريم : مكية ٥٢ .

وسلم : « أول من يكسى يوم القيامة يقول الله عز وجل : أ كسوا خليلى إبراهيم ثم أ كسى على أثره ثم أقوم عن يمين الله مقاماً يغبطنى به الأولون والآخرون » . وفى حديث آخر : « ساعدُ الله أشدُّ وموسى الله أحدّ » . وقال عليه السلام : « ما التقى فئتان إلا وكف الله بينهما فإذا أراد الله أن يهزم إحدى الطائفتين أمال كفه بينهما » ؛ وعن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من خلق من بنى آدم إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله إن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه » . قال جابر بن عبد الله : كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر من القول : « يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك » قال له رجل من أصحابه : تخاف علينا وقد آمنا بك وما جئت به ؟ قال : « القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقول بها هكذا » وقلب بأصبعيه السبابة والوسطى.

وعن ابن مسعود فى قوله : (يَـكْشِفُ عَنْ سَاقٍ [1]) قال : عن ساق عرشه تبارك وتعالى . وقال أيضاً : يقومون يوم القيامة لرب العالمين فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن إلاّ خر ساجداً ويبقى المنافقون ظهورهم طبقاً واحداً . وقال عليه السلام : « أيفرح أحدكم براحلته إذا ضلت ثم وجدها ؟ » قالوا : نعم . قال : « والذى نفسى بيده لله أشد فرحاً بتوبة عبده إذا تاب من أحدكم براحلته » رواه أبو هريرة ، وروى أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «تحاجَّتْ الجنةُ والنار فقال الله عز وجل للجنة : إنما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى . وقال للنار : إنما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما أهل النار فيلقون فيها وتقول : هل من مزيد ؟ ولا تمتلىء حتى يضع رجله [2] — أو قال : قدمه — فتقول : قطٍ، قطٍ ، قط فهناك تمتلىء

---

(١) سورة القلم : مكية ٤٢

(٢) راجع «دفع شبه التشبيه» لابن الجوزى ، و «أساس التقديس» للفخر =

وتنزوى ، وأما الجنة فإن الله ينشىء لها ما شاء » .

وأنكر جهم أن الله جل اسمه خلق الجنة والنار والله عز وجل يقول : (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا ولاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ[١]) .

وقال ابن مسعود : خلق الله آدم مما وصفه فى كتابه ، ثم أسكنه الجنة ، وإبليس إنما خلقه ريحاً يدخل فى فم الشىء ويخرج من دبره ، وقال : (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ[٢]) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن العبد إذا تصدق من طيب يتقبلها الله منه وبربيها كما يربى أحدكم مهره أو فصيله ، وأن الرجل ليتصدق باللقمة فتربو فى يد الله - أو فى كف الله - حتى تكون مثل جبل فتصدقوا » .

وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يوم خلق آدم قبض من صلبه قبضة ، فوقع كل طيب فى يمينه وكل خبيث فى يده الأخرى ، فقال لأصحاب اليمين هؤلاء فى الجنة وهؤلاء فى النار ولا أبالى ، وسئل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه عن هذه الآية : (وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدم[٣]) فقال عمر رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

= الرازى و « تكملة الرد على النونية » و « الأسماء والصفات » فى المراد بالرجل والقدم واليد واليمين وما سواها لتستبين غواية أهل التجسيم فى معانيها (ز) .

(١) سورة البقرة : مدنية ٣٥ . (٢) سورة التوبة : مدنية ١٠٤ .

(٣) سورة الأعراف مكية ١٧٢ .

« لما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية ، فقال خلقت هؤلاء للجنة ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للنار » .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله آدم كتب بيده : إن رحمتى تغلب غضبى » وقال عليه السلام : « يمين الله ملأى لا يقبضها سخاء الليل والنهار أرأيتم ما أُنفق منذ يوم خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص مما فى يمينه وكان عرشه على الماء ، ويده الأخرى ترفع وتخفض . وعن ابن عباس قال : أخذ الله عز وجل ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر ، ثم قال : يا فلان اعمل كذا ، وكذا ، وقال : يا فلان امسك كذا ، وكذا ، ثم قبض يمينه وقبض بيده الأخرى ، وقال لمن فى يمينه : ادخلوا الجنة بسلام ، وقال لمن فى يده الأخرى : أدخلوا النار ولا أبالى ، وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن أول شىء خلقه الله جل اسمه القلم وأخذ بيمينه وكلتا يديه يمين فكتب الدنيا وما يكون فيها » .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتانى الليلة ربى فى أحسن صورة — قال : أحسبه قال فى المنام - قال : يا محمد تدرى فيم الملأ الأعلى[1] ؟ قلت : لا . فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى أو نحرى فعلمت ما فى السموات والأرض .

وقال ابن عمر : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على منبره : (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّمٰواتُ

---

(١) راجع كتاب « التوحيد » لابن خزيمة (١٤٠ - ١٤٤) فى تضعيف هذا الحديث باعتبار صناعة الحديث تدليسا وانقطاعا وإن كان هو من طراز أبى عاصم خشيش بن أصرم فى الصفات (ز) .

مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ[١]) . فقال عليه السلام بيده يخبر عن ربه عز وجل (والأرضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) قال : يقول : أنا الجبار ـ المتكبر ما زال عليه السلام يكررها حتى رجفت به المنبر . قال : قلت لتقعن به . وعن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تبارك وتعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل ،حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها ، وإبليس لا يقدر أن يتحول عن خلقه إلا بسحر فعرض نفسه على الدواب ، والبهائم ، والطير أيما يقبله فلم يقبله شىء إلا الحية فدخل فى جوفها فأوحى الله إلى آدم وحواء ما أوحى .

وعن أُسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فقمت على باب الجنة فرأيت أكثر من يدخلها الفقراء وإذا أصحاب الجد[٢] محبوسون ، ثم قمت على باب النار فرأيت أكثر أهلها النساء » ، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر يجرى حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت بيدى إلى ما يجرى فيه ، فإذا مسك أذفر ، قلت : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك الله ـ أو قال ربك » .

وعن رافع بن خديج قال قلت يا رسول الله : قل لى كيف الإيمان بالقدر ؟ قال : « تؤمن بالله وحده ، وأنه لا شريك له ، وأنه لا يملك معه أحد ضراً ولا نفعاً ، وتؤمن بالجنة والنار ، وتعلم أن الله خلقهما قبل الخلق ثم خلق الخلق فجعل من شاء منهم إلى الجنة وجعل منهم من شاء إلى النار عدلاً ذلك منه » .

---

(١) سورة الزمر مكية ٦٧ ـ ٦٨ .   (٢) الجد : بفتح الجيم : السعادة والغنى .

وعن أبى هريرة قال قلنا يا رسول الله : أخبرنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : « لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، ومِلَاطُها[1] المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها يخلد ولا يموت ، وينعم لا يبؤس ، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم » .

وسئل مجاهد : أين الجنة ؟ قال : فى أعلى عليين ، وعن النار فقال : فى أسفل السافلين ، وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى عليه السلام قال : « إن النار قالت لربها : وعزتك وكرامتك لتنفسنى أو لأخرجن على عبادك ، فقال لها : تنفسى فى كل عام ، فنفسُها فى الشتاء الزمهرير ، ونفسُها فى الصيف الحر الذى يقتل البهائم والماشية وإنه ليغلى الماء » ، وعن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن ناركم التى توقدونها لتتعوذ بالله من نار جهنم » فقالوا : والله إنْ كانت لكافية . قال : « فإنها فضلت عليها بتسع وستين جزأ كلهن مثل حرها » ، وعن عبد الله بن سلام أنه قال : الجنة فى السماء والنار فى الأرض .

وزعم جهم أن الجنة والنار تفنيان بعد خلقهما فيخرج أهل الطاعة من الجنة بعد دخولهم ويخرج أهل النار بعد دخولهم ، وإن أهل الجنة إذ دخلوها لبثوا فيها دهراً طويلا فتبيد الجنة وأهلها ويبيد نعيمها وتهلك النار ويبيد عذابها ، وأخذ ذلك من قوله عز وجل : (هو الأول والآخر[2]) فشكك الناس ولبَّس على على الجاهل تأويل القرآن من غير تأويله ، وقد أكذبه الله عز وجل بكتابه والمأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الله عز وجل يخبر عن أهل الجنة : (لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ

---

(١) الملاط : الطين الذى يجعل بين سافى البناء ويطلى به الحائط .

(٢) سورة الحديد : مدنية ٢ .

فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم[١]) وقال: (ما عندكم ينفد وما عند الله باق[٢]) وقال: (لا يذوقون فيها الموت[٣]) وقال: (وإن الآخرة هي دار القرار[٤]) وقال: (ما كثين فيها أبداً[٥]) وقال: (فادخلوها خالدين[٦]) وقال: (وما هم منها بمخرجين[٧])، وأخبر عن أهل النار، فقال: (لا يقضى عليهم فيموتوا[٨]) وقال: (لا يموت فيها ولا يحيي[٩]) يقول: لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيي حياة تنفعه الحياة، وقال: (يا ليتها كانت القاضية[١٠]) وقال: (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم[١١]) وقال: (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً[١٢]) وقال: كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها[١٣]) وقال: (كلما خبت زدناهم سعيرا[١٤]). وقال: (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً[١٥]). وقال: (أولئك يئسوا من رحمتي[١٦]) وقال: (لا ينالهم الله برحمته[١٧]). فليردوا الأشياء إلى كتاب الله وسنة نبيه كما أمروا (وإن تنازعتم في شيء

---

(١) سورة التوبة: مدنية ٢١ - ٢٢.

(٢) سورة الدخان: مكية ٥٦.

(٣) سورة النحل: مكية ٩٦.

(٤) سورة المؤمن: مكية ٣٩.

(٥) سورة الكهف: مكية ٣.

(٦) سورة الزمر: مكية ٧٣.

(٧) سورة الحجر: مكية ٤٨.

(٧) سورة فاطر: مكية ٣٦.

(٩) سورة طه: مكية ٧٤.

(١٠) سورة الحاقة: مكية ٢٧.

(١١) سورة المائدة: مدنية ٣٧.

(١٢) سورة النساء: مدنية ٥٦.

(١٣) سورة السجدة: مكية ٢٠.

(١٤) سورة الإسراء: مكية ٩٧.

(١٥) سورة النبأ: مكية ٣٠.

(١٦) سورة العنكبوت: مكية ٢٣.

(١٧) سورة الاعراف: مكية ٤٩.

فَرُدُّوه إلَى اللهِ والرَّسُولِ إنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُون بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيرٌ وأَحْسَنُ تَأوِيلاً[١]) .

وعن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كَبْشٌ أملح ، فينادى منادٍ يا أهل الجنةِ ، فَيُشرفون وينظرون وكلهم قد رآه ، فيقولون : هذا الموت فينادى مناد يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرفون وينظرون وكلهم قد رآه فيقولون : نعم هذا الموت ، ثم يؤخذ فيذبح فيقال : يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت » وذلك قوله : (وأَنْذِرْهُم يَوْمَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأَمْر وهُمْ فى غَفْلَة وهُمْ لا يُؤْمِنُون[٢]) ، وعن ابن عباس فى قوله تبارك وتعالى لأهل الجنة : (كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئاً بما كُنْتُم تَعْمَلُون[٣]) فعندها قالوا : (أَفَما نَحْنُ بِمَيِّتِين[٤]) فالذى نقول إن الجنة وأهلها لا فناء عليها ، وكذلك النار وأهلها فإنه إنما تعبدنا الله عز وجل أن نأخذ بالتقاليد[٥] لا بالرأى والقياس ، فنحن نتبع الأثر لا بالرأى والقياس .

وقال كعب : ما مِنْ يوم إلا ينظر الله تبارك وتعالى إلى جنات عدن ، فيقول طيبى فتضعّف طيبة على ما كانت حتى يدخلها أهلها .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر

---

(١) سورة النساء : مدنية ٥٩ .

(٢) سورة مريم : مكية ٣٩ .   (٣) سورة الطور : مكية ١٩ .

(٤) سورة الصافات • مكية ٥٨ .

(٥) خشيش ظاهرى المنزع فلا يرى الأخذ بالقياس فيما لانص فيه ، وهذا جمود ظاهر راجع – « النبذ » (ز) .

على قلب بشر : اقرؤا إن شئتم : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جزاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[1]) ولموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا جميعاً اقرءوا إن شئتم : (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجنةَ فَقَدْ فَازَ وما الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الغُرُورِ[2]) وإنَّ فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام اقرءوا إن شِئْتُم : (وظلٍّ مَمْدُودٍ[3]) .

وعن ابن عباس قال : كان عرش الله تعالى على الماء فاتخذ جنة لنفسه[4] ، ثم اتخذ أخرى فأطبقها بلؤلؤة واحدة ، ثم قال : ومن دونهما جنتان لا يعلم خلق ما فيهما إلا الله ثم قرأ : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[5]) ما يأتيهم كل يوم من تحفة ، وعن عبد الله : (ولَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بل أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ[6]) قال : إن أرواح الشهداء فى طيور خضر تسرح فى الجنة ، ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش قال فاطلع الله عز وجل إليهم اطلاعة فقال : هل تشتهون من شىء فأزيدكموه ؟ قالوا : ألسنا فى الجنة نسرح فى أيها شئنا ، قال : فسكت عنهم ، ثم اطلع إليهم اطلاعةً فقال : هل تشتهون من شىء فأزيدكموه ؟ فقالوا : كأول مرة ، ثم اطلع إليهم الثالثة ، والرابعة فقالوا كذلك ، قالوا : تُعِدْ أرواحنا فى أجسادنا فنقاتل فى سبيلك مرة أخرى فسكت عنهم .

---

(١) سورة السجدة : مكية ١٧ . (٢) سورة آل عمران : مدنية ١٨٥ .
(٣) سورة الواقعة : مكية ٣٠ .
(٤) بمعنى لإسكان خاصته فيها ، والخبر موقوف وفى سنده عمرو بن أبى قيس صاحب أوهام والمنهال بن عمرو تركه شعبة والكلام فيه طويل (ز) .
(٥) سورة السجدة : مكية ١٧ .
(٦) سورة آل عمران : مدنية ١٦٩ .

وعن سعيد بن جبير قال : لما أصيب حمزة بن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير ، وعبد الله بن جحش فرأوا ما أصابوا من الخير والرزق تمنوا أن أصحابهم يعلمون ما أصابوا من الخير فيزدادوا رغبة فى الجهاد . قال الله تبارك وتعالى : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلوا فى سَبيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بما آتاهُم اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بالذينَ لَمْ يَلْحَقوا بهمْ مِنْ خَلفهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحزَنُونَ ، يَستبشِرُونَ بِنِعْمَةٍ من اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجْرَ المُؤْمِنِين)[١] ، وقال الله عز وجل : (وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ)[٢] ، وقال : (كَتَبَ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)[٣] ، وقال : (ثم جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يا مُوسَى . وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى . اذْهَبْ أنتَ وَأخوكَ بآياتى وَلا تَنِيَا فى ذِكْرى)[٤] ، وقال : (تَعْلَمُ ما فى نفسى ولا أعْلَمُ ما فى نَفْسِكَ إنَّكَ أنت عَلاَّمُ الغُيُوب)[٥] .

وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تبارك وتعالى : إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى ، وإن ذكرتنى فى ملإ ذكرتك فى ملإ من الملائــكة ــ أو قال : ملإ خير منهم ــ وإن دنوت منى شبراً دنوت منك ذراعا ، وإن دنوت منى ذراعا دنوت منك باعا ، وإن أتيتنى تمشى أتيتك أهرول[٦] » قال قتادة : الله أسرع بالمغفرة .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى إذا تلقانى عبدى شبراً تلقيته ذراعا ، وإن تلقانى بذراع تلقيته بباع ــ أو قال : أتيته أسرع ــ » .

---

(١) و (٢) سورة آل عمران : مدنية ١٦٩ ــ ١٧١ و ٣٠ .
(٣) سورة الانعام : مكية ١٢ . (٤) سورة طه : مكية ٤٠ ــ ٤٢ .
(٥) سورة المائدة : مدنية ١١٦ . (٦) كناية عن أنه تعالى أسرع إجابة (ز).

وعن مجاهد : (إنّ السّاعة آتيةٌ أ كادُ أخْفيها)[1] قال : من نفسى .

وقال أبو هريرة : أخذ الناس الريح فى طريق مكة وعمر بن الخطاب رضى الله عنه حاج فاشتد عليهم فقال عمر لمن حوله : من يحدثنا عن الريح ؟ فلم يرجعوا إليه شيئاً ، فبلغنى الذى سأل عنه عمر من ذلك ، فاستحثثت راحلتى حتى أدركته فقلت : يا أمير المؤمنين بلغنى أنك سألت عن الريح وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الريح من روح الله تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب ، فإذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها » .

قال وهب فى الكتاب : فى آخر الزمان قوم يتفقهون بغير العمل ، ويتزينون. ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمر من الصبر ، قال الرب عز وجل : إياى يخادعون ؟ أم علىّ يجترءون ؟ فبحقى حلفت - يعنى الرب نفسه - لأتيحن لهم فتنة أدع فيها الحليم حيران .

وعن أبى البخترى قال : لا يقولن أحدكم اللهم أدخلنى فى مستقر رحمتك ، فإن مستقر رحمته نفسه .

وقال سلمة بن كهيل : اجتمع هؤلاء الأربعة : بكير الطائى ، وأبو البخترى ، ومُيسرة ، والضحاك المشرقى فى أيام الجماجم على أن الإرجاء بدعة ، والشهادة والولاية بدعة ، والبراءة بدعة . وهو قول أبى سعيد الخدرى وإبراهيم .

وقال الشعبى أرجىء ما لا تعلم إلى الله ولا تكن مرجئاً . وقال ذَرْ : قد شرعت شيئاً - أو قال ديناً - أخاف أن يتخذ سنة. وقال إبراهيم : إذا لقيت ذراً فتنصل إلى منه .

---

(١) سورة طه : مكية ١٥ .

باب المرجئة وفرقها ومذاهبها :

والمرجئة اثنتا عشرة فرقة :

صنف منهم : زعموا أن من شهد شهادة الحق دخل الجنة وإن عمل أى عمل ، كما لا ينفع مع الشرك حسنة ، كذلك لا يضر مع التوحيد سيئة ، وزعموا أنه لا يدخل النار أبداً ، وإن ركب العظائم ، وترك الفرائض ، وعمل الكبائر .

كذب من قال هذا والله عز وجل يقول : (وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدوا اللهَ مخلصينَ لهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزكاة وذلك دينُ القَيِّمَة)[1] وقال : (قد أفلحَ المُؤْمِنونَ * الذينَ هُمْ فى صَلاَتِهِمْ خاشعُونَ * والذينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضونَ * والذينَ هم للزَّكاةِ فاعِلُونَ * والذين هم لِفُرُوجِهِمْ حافِظُون * إلّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيمانُهُمْ فإنَّهُمْ غيرُ مَلُومِين * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذلك فأولئك هُمْ العادُون * والذين هم لأماناتِهِمْ وَعَهْدِهم رَاعُون والذين هم على صلَوَاتهم يحَافِظون * أولئك همُ الوَارِثون)[2] ، وقال : (لَيْسَ البِرَّ أن تُوَلُّوا وُجُوهَكم قِبَلَ المشْرِق والمغرب ، ولكنَّ البرَّ من آمنَ باللهِ واليوم الآخِرِ ، والملائكةِ وَالكتابِ وَالنَّبيِّين وَآتى المَالَ على حُبِّهِ ذَوِى القُرْبى وَاليتَامى وَالمساكِينَ وابن السَّبِيل والسائلين وفى الرِّقَاب وَأَقَامَ الصَّلاةَ وآتى الزَّكاةَ وَالمُوفُون بعهْدِهم إذا عاهَدُوا وَالصَّابرين فى البَأْسَاءِ والضَّرَّاء وحين البَأْسِ ، أولئك الذين صدَقوا وأولئك هم المتقون)[3] .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بين العبد والكفر

---

(١) سورة البينة . مدنية ٥ . (٢) سورة المؤمنون : مكية ١ – ١٠ .

(٣) سورة البقرة : مدنية ١٧٧ .

ترك الصلاة » ، ورواه جابر أيضاً . وسئل ابن مسعود : أى الدرجات فى الإسلام أفضل ؟ قال : الصلاة ومن لم يصل فلا دين له .

وعن أبى قلابة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك الصلاة عامداً أحبط عمله » .

وقال المسور بن مخرمة : دخلت أنا وابن عباس — رضى الله عنهما — على عمر رضى الله عنه ، حين طعن ، فقلت : الصلاة . قال : أجل ولا حظ فى الإسلام لمن أضاع الصلاة .

وقيل لابن عمر — رضى الله عنهما — : ألا تجاهد ؟ فقال : بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان . . . هكذا حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الجهاد بعدُ حسنٌ .

وقال حذيفة : إنى لأعرف أهل دينين ، أهل ذينك الدينين فى النار . قوم يقولون الإيمان كلام وإن زنى ، وقتل . . وقوم يقولون — وإذ كانوا أولياء الضلال — : لا نرى خمس صلوات فى كل يوم ، وإنما هما صلاتان صلاة الفجر وصلاة المغرب .

وقال عبد الله اليشكرى : انطلقت إلى الكوفة لأجلب بغالا ، فدخلت المسجد فإذا رجل من قيس يقال له ابن المنتفق وهو يقول : وصف لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلا لى ، قال : فطلبته بمكة فقيل إنه بمنى ، فطلبته بمنى فقيل بعرفات فانتهيت إليه فزاحمت عليه حتى حصلت إليه ، فأخذت بخطام راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم — أو قال بزمامها — حتى اختلفت أعناق راحلتينا . قال : ثنتان أسألك عنهما : ما ينجينى من النار وما يدخلنى الجنة ؟ قال : فنظر إلى السماء

ثم أقبل عليّ بوجهه ، فقال : لئن أوجزت فى المسألة ، لقد أعظمت وطولت ، اعقل عنى : اعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وأقم الصلاة المفروضة ، وصم شهر رمضان ، وما تحب أن يفعله الناس بك فافعله معهم ، وما تكره أن يأتى الناس إليك فذر الناس منه ، خل عن زمام الراحلة » .

وعن الحسن قال : يا ابن آدم ! ! إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولستَ تصلى ! !

وعن ابن عباس : (إليه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعملُ الصالح يرفَعُهُ)(١) قال : الكلم الطيب ذكر الله ، والعمل الصالح أداء فرائضه ، فمن ذكر الله سبحانه فى أداء فرائضه حمل عليه ذكر الله عز وجل وصعد به إلى السماء ، ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به(٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب به العبد الفرائض فإن وجدوا فيها نقصاً قال انظروا هل لعبدى من تطوع ؟ فإن وجد له تطوع قال : أكملوا الفرائض من التطوع » .

وعن كعب قال : « من أقام الصلاة وآتى الزكاة وسمع وأطاع ، فقد توسط الإيمان ، ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان » .

وقال عليه السلام لوفد عبد القيس : « آمركم بأربع : الإيمان بالله هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تعطوا من الغنائم الخمس » .

---

(١) سورة فاطر : مكية ١٠ .

(٢) أخرجه ابن جرير بطريق على بن أبى طلحة ولم يدرك ابن عباس (ز) .

وقال ابن عمر : ثلاث من كان فيه اثنتان منها ولم يأت بالثالثة لم تقبل منه : الصلاة ، والصيام ، والغسل من الجنابة .

وقيل لابن عمر : إنا نسير فى هذه الآفاق فيلقانا قوم يقولون لا قدر . فقال ابن عمر : إذا لقيتموهم فأخبروهم أن عبد الله منهم برىء . ثم أنشأ يقول : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال أدنو ؟ فقال : ادن ، فدنا مراراً حتى كادت ركبتاه تمسان ركبتيه ، فقال : ما الإيمان ؟ وذكر الحديث . وقوله : هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم فذكره .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : « حب فى الله ، وأبغض فى الله ، وَوَال فى الله ، وعاد فى الله ، فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك ، ولا يجد رجل طعم الإيمان حتى يكون كذلك » .

ومن المرجئة صنف زعموا : أن الإيمان معرفة بالقلب لا فعل باللسان ، ولا عمل بالبدن ، ومن عرف الله بقلبه أنه لا شيء كمثله ، فهو مؤمن وإن صلى نحو المشرق أو المغرب وربط فى سطه زناراً .

وقالوا : لو أوجبنا عليه الإقرار باللسان أوجبنا عليه عمل البدن حتى قال بعضهم : الصلاة من ضعف الإيمان ، من صلى فقد ضعف إيمانه .

نقول : كيف تجوز له الصلاة نحو المشرق وقد قال الله عز وجل (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجد الحرَام وحيثُ ما كُنْتُم فَوَلُّوا وُجُوهكُمْ شَطْرَهُ ، وإنَّ الذينَ أوتوا الكتَابَ لَيَعْلَمُونَ أنَّهُ الحقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وما اللهُ بغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)[1] .

---

(١) البقرة : مدنية ١٤٤ .

وكيف يجوز [ربط] الزنار فى وسطه وقد قال عليه السلام : « من تشبه بقوم فهو منهم » .

وكيف تجوز المعرفة بالقلب دون القول والله عز وجل يقول : (أَطِيعُوا اللهَ وَأَطيعوا الرَّسُولَ وَأُولى الأَمْرِ مِنْكم)[١] ، ولا تكون هذه الطاعة إلا بالقول والعمل ؟ ؟ وقد قال الأوزاعى رحمه الله : أدركت الناس وهم يقولون : الإيمان قول وعمل ، وقد ذكرنا هذا فى آخر الكتاب مجرداً إن شاء الله تعالى .

ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم لما صلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً ، أو ستة عشر شهراً ، وكان يحبُّ أن يُوجَّه إلى الكعبة فأنزل الله عز وجل : (قد نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فى السماء فلنولينَّكَ قبلةً ترضاها فوَلِّ وَجْهكَ شطرَ المسجد الحرام وحيثُ ما كُنتم فوَلُّوا وُجُوهكم شطْرَهُ ، وإنَّ الذين أُوتوا الكتابَ ليعلمونَ أنهُ الحقُّ من ربِّهِمْ ، وما اللهُ بغَافِلٍ عَمَّا تعملون)[٢] .

وقال السفهاء من الناس : (ما ولاَّهُمْ عن قِبْلَتِهِم)[٣] وهم اليهود ، فأنزل الله تبارك وتعالى : (قُلْ للهِ المشرقُ والمغْرِبُ يهدِى مَنْ يَشَاءُ إلى صرَاطٍ مُسْتَقيمٍ)[٤] . فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل ثم خرج بعد ما صلى فمر على قوم من الأنصار وهم فى صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة ، فانحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة .

وكتب النبى صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن : « من صلى صلاتنا ،

---

(١) النساء : مدنية ٥٩ .

(٢) و (٣) البقرة : مدنية ١٤٤ و ١٤٢ .

(٤) سورة البقرة : مدنية ١٤٢ - .

واستقبل قبلتنا ، وأجاب دعوتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلكم المسلم ، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم » .

ومنهم صنف زعموا : أنه لا بد من الإقرار باللسان بالشهادة بأن لا إله إلا الله ، وبالأنبياء [عليهم السلام] ، وبما جاء من عند الله ، ثم ترك من العمل فهو مؤمن لا ينقصه التنزيل شيئاً .

يقال لهم : كيف لا ينقصه التنزيل ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الإيمان بضع وسبعون باباً ، أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى من الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » .

وسأل أبو ذر النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقرأ هذه الآية : (ليس البرَّ أن تولُّوا وُجُوهكم قِبَلَ المشرق والمغرب ولـكنَّ البرَّ من آمَنَ باللهِ واليوم الآخر والملائـكة والـكتاب والنَّبيينَ ، وآتى المـالَ عَلَى حُبِّه ذوى القُرْبى واليتَامى والمساكِينَ وابن السَّبيل والسَّائلينَ وفى الرِّقابِ ، وأقامَ الصَّلاةَ وآتى الزكاةَ والُموفونَ بعهدهم إذا عاهدُوا ، والصَّابرينَ فى البَأْسَاء والضرَّاء وحينَ البَأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)[١] .

وعن عطاء بن يسار فى هذه الآية : (وعَمِلَ صالحاً ثمَّ اهْتَدى)[٢] ، يعنى ثم أصاب بقوله وعمله السنة .

ومنهم صنف زعموا : أنه لا بد من الإقرار بالتنزيل وإن جحدوا من التأويل ما شاءوا . وقالوا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا : لا ندرى محمد هو الذى بمكة والمدينة أو نبى بخراسان فهو مؤمن . وقالوا نقر بالحج ولا ندرى هو الذى بمكة أو بيت بخراسان فهو مؤمن ؛ وأقروا بالخنزير

---

(١) سورة البقرة مدنية ١٧٧ . (٢) سورة طه : مكية ٨٢ .

أنه حرام ولا ندرى هو هذا الخنزير أو الحمار فهو مؤمن ، فقيل لبعضهم : إن إبليس قد أقر بلسانه ، فقال : إنما كان ذلك هذياناً لم يعرف ما أقر به .

نقول له نحن : كيف يجوز له الجحود وقد رُوى : من جحد منه آية فقد كفر به أجمع . وكيف يكون مؤمنا إذا قال : لا أدرى أى محمد رسول الله ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أنا النبىُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبد المطلب

وقد عرف أهل المعرفة بالله أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فمن شك فى ذلك فقد خرج من الإسلام وليس بمؤمن ، ومن لم يشهد أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بعثه الله إلى الناس كافة ، وأوحى إليه بمكة ثم هاجر إلى المدينة ولم يزل يأتيه الوحى حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه وسلم ، والله عز وجل يقول : (هُوَ الذى أرْسَلَ رَسُولهُ بالهُدَى ودِين الحقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّين كلِّهِ وكَفَى باللهِ شهيداً * محمدٌ رَسُولُ اللهِ والّذِينَ مَعَهُ أشِدَّاءُ على الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)[1] ، قاتلهم الله ، أى نبى بعث بخراسان ؟ ؟

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمم يهودى أو نصرانى فمات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » .

وعن سعد بن زرارة أنه أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا أيها الناس هل تدرون علام تبايعون محمداً ؟ تبايعونه على أن تحاربوا العرب ، والعجم والجن ، والإنس . فقالوا : نحن حرب لمن حارب وسلم لمن سالم ، فقال له سعد :

---

(١) سورة الفتح : مدنية ٢٨ - ٢٩ .

يا رسول الله اشترط ، فقال : تبايعوني على أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وتقيموا الصلاة ، وتؤتوا الزكاة ، والسمع والطاعة ، ولا تنازعون الأمر أهله ، وأن تمنعوني مما تمنعون منه نفوسكم وأهليكم . قالوا : نعم . فقال قائل من الأنصار : هذا لك فما لنا ؟ قال : النصر والجنة .

وقال عليه الصلاة والسلام للحارث بن مالك : ما أنت يا حارث ؟ قال : مؤمن يا رسول الله حقا . قال : إن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري ، ولكأني أنظر إلى عرش ربي قد أبرز حين يجاء به للحساب ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أسمع عواء أهل النار . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مؤمن نور الله قلبه. وذكر زيد الأنصاري عنه صلى الله عليه وسلم مثله أو نحوه . وقال فضيل بن غزوان : أغير على سرح المدينة فخرج الحارث بن مالك فقتل منهم ثمانية ثم قتل وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصبحت ؟

ومنهم صنف زعموا : أن إيمانهم كإيمان جبريل ، وميكائيل ، والملائكة المقربين والأنبياء .

قلنا نحن : كيف يمكنهم هذه الدعوى والملائكة لم يعصوا الله ، والأنبياء صفوة الله ؟

ومنهم صنف زعموا : أنهم مؤمنون مستكملون الإيمان ليس في إيمانهم نقص ولا لبس إن زنى أحدهم بأمه أو بأخته وارتكب العظائم وأتى الكبائر والفواحش وشرب الخمر وقتل النفس وأكل الحرام والربا وترك الصلاة والزكاة والفرائض كلها ، واغتاب ، وهمز ، ولمز ، وتحدث . وهذا هو الجهل القوي ، كيف يستكمل الإيمان من خالف شروطه وخصاله وشرائعه ؟ ألا ترى أن في كتاب الله إيمانا مقبولا وإيمانا مردوداً ؟

فمن أدى حقيقته فقد ادعى علم ما لم يعلم فكيف بمن خالفه أجمع ؟ وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى يقولان : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »(١) . وقال أبو هريرة: إنما الإيمان بزّة فمن زنى فارق الإيمان فإن لام نفسه راجعه الإيمان . وقال ابن عباس — رضى الله عنهما — : أيما عبد زنى نزع الله منه الإيمان ، فإن شاء رده عليه وإن شاء منعه منه .

ومنهم صنف زعموا : أنهم مؤمنون حقا كحقيقة أهل الجنة الذين وصف الله تحقيقهم (أولئك همُ المؤمنونَ حَقًّا)(٢) ومن زعم أنه فى الجنة فهو فى النار ومن زعم أنه عالم فهو جاهل ومن زعم أنه صادق — يعنى فى إيمانه — فهو كاذب .

ومنهم صنف زعموا : أن إيمانهم قائم أبداً لا يزيد وإن عمل الحسنات العظام، وَوَرِع فى الدين وترك الحرام وحج البيت دائما وصلى أبداً أو صام . ولا ينقص وإن عمل السيئات والكبائر والفواحش وركب الحرام جاهراً ، أو ترك الصلاة ولم يصم ولم يحج أبداً .

---

(١) حديث عبادة فى المبايعة ـ وآخره ـ « .. ومن فعل شيئاً من ذلك ـ أى الزنا والسرقة ـ فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة ومن لم يعاقب فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه » فى غاية الصحة وقد أخذ به جمهور أهل الحق كما أخذوا بحديث أبى ذر « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق » وهو أيضاً فى غاية الصحة ، وأما حديث « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » فأحط منهما فى الصحة بل أنكر بعض أهل العلم صحته بالمرة كما حكى ابن جرير ، وفى سنده يحيى بن عبد الله بن بكير وهو ممن لا يحتج به أبو حاتم وقد ضعفه النسائى لكن مشاه الجمهور وأولوا الحديث لمخالفة ظاهر معناه الكتاب والسنة والإجماع ـ راجع فتح البارى (١٢ ـ ٤٧) (ز) .

(٢) سورة الأنفال: مدنية ٤

قال أهل العلم أجمع : هؤلاء مخالفون للقرآن يقول الله عز وجل : (لِيَزْدَادُوا إيماناً مَعَ إيمانِهِم[١]) وقال : (يا أيُّها الَّذِينَ آمنُوا لا تَرْفَعُوا أصْوَاتَكُم فَوْقَ صَوتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَه بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُم لِبَعْض أنْ تَحْبَطَ أعمالُكُم وأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ[٢]) .

ومنهم صنف زعموا : أن الإيمان يزيد بزيادة الأعمال دائماً لا منتهى له ولا غاية ولا ينقص بعمل من أعمال المجرمين ، ولا بترك الفرائض ، وركوب ما يركب الظالمون .

وقد قال ابن عباس : الإيمان يزيد وينقص ، وقال عليه السلام : « الإيمان يبدو لمعة بيضاء فى القلب ، كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض حتى إذا استكمل الإيمان ابيض القلب كله ، وإن النفاق يبدو لمعة سوداء فى القلب ، فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد ، فإذا استكمل النفاق القلب كله ، وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود » .

وعن أبى هريرة قال : بينما المسيح عليه السلام فى رهط من الحواريين إذا بنهر جار ، وحمأة منتنة[٣] أقبل طائر حسن اللون يتلون كأنما هو الذهب فوقع قريباً منه فانتفض فسلخ عنه مُسْكه فبقى أُحيمش فانطلق إلى حمأة منتنة فتمعك فيها فازداد بمسحها قبحاً إلى قبحه ، ونتناً إلى نتنه ثم انطلق إلى نهر عجاج صاف فاغتسل فيه حتى رجع مكانه كأنه بيضة مقشورة ثم انطلق يدب إلى مسكه فتتدرعه كما كان أول مرة . فكذلك عامل الخطيئة حتى يخرج من ذنبه ويكون فى الخطايا

---

(١) سورة الفتح : مدنية ٤ .

(٢) سورة الحجرات . مدنية ٢ .

(٣) الحمأة المنتنة : الطين الأسود المنتن ـ والمسك : الجلد ـ وتمعك : تمرغ .

فكذا التوبة كمثل اغتساله فى النهر العجاج ، ثم يرجع دينه حتى يتدرع مسك وتلك الأمثال .

ومنهم صنف زعموا : أن ليس فى هذه الأمة نفاق ، وسئل حذيفة عن النفاق فقال : أن تتكلم باللسان ولا تعمل به .

ومنهم صنف زعموا : أن الإيمان والإسلام اسم واحد ليس للإيمان على الإسلام فضيلة فى الدرجة ، وهذا سعد بن أبى وقاص يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رجالا ولم يعط رجلاً منهم شيئاً : فقلت يا رسول الله : أعطيت فلاناً ولم تعط فلاناً وهو مؤمن . فقال عليه السلام : « أو مسلم ؟ » قالها ثلاثا : قال الزهرى : فنرى الإيمان الكلمة والاسلام العمل فهذا إجماع كلام المرجئة .

باب ذكر الروافض وأجناسهم ومذاهبهم :

قال أبو الحسين الملطى رحمة الله عليه : قد ذكرت الإمامية والرد عليها إلا أن أبا عاصم قال : الرافضة خمسة عشر صنفاً ثم تفترق على مايمقتهم الله فروعاً كثيرة .

فمنهم صنف زعموا : أن علياً إله من دون الله تعالى وإنما هو روح رمى فى الجسد كقول النصارى فى عيسى ابن مريم عليه السلام زعموا أنه إله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

قال أبو الحسين : قد ذكرت فى هذا الكتاب حديث الشعبى وما قال هؤلاء فيه فلما نفاهم علىّ عليه السلام عن البلاد ، فمنهم عبد الله بن سبأ يهودى من يهود صنعاء نفاه إلى ساباط ، وأبو الكردوس نفاه إلى الجابية .

ومنهم صنف يقال لهم البيانية ، وإنما سموا البيانية ببيان قالوا : إن علياً يعلم

الغيب ، ويعلم ما فى الغد وما تشتمل عليه الأرحام من الأولاد ، وما يغيب الناس فى بيوتهم . والأئمة يعلمون ذلك كما علمه علىّ عليه السلام ، كذب أعداء الله وكيف يكون ذلك والله تعالى يقول : (قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إلا اللهَ[1]) وقال عمر : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « مفاتيح الغيب خمس (إنَّ اللهَ عِنْدَه عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وما تدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تـَكسبُ غداً ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بأيِّ أَرْضٍ تمُوتُ إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ[2]) وقال ابن عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله : لا يعلم متى الساعة إلا الله ، ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله . الحديث » .

وقال ابن مسعود : أوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم مفاتيح كل شىء إلا الخمس وقرأ هذه الآية (إنَّ اللهَ عِنْدَه عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ مافى الأَرْحَامِ ومَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذا تَكْسِبُ غَدَاً ومَا تدْرِي نَفْسٌ بأيِّ أَرْضٍ تمُوتُ إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

وقال علقمة بن قيس : مثل علىّ عليه السلام فى هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم عليه السلام يهلك فيه رجلان : محب مفرط ، ومبغض مفرط ، وقال على رضى الله عنه ليحبنى أقوام حتى يدخلهم حبى النار ، وليبغضنى أقوام حتى يدخلهم بغضى النار ، وقال أيضاً : يهلك فىّ رجلان : محب مفرط ، ومبغض مفتر ، وقال أيضاً : يُقتل فى آخر الزمان كُل على وأبى على ، وكل حسن ، وأبى حسن ، وذلك إذا أفرطوا فى حبى كما أفرطت النصارى فى عيسى عليه السلام فانتابوا ولدى وأطاعوهم طلباً للدنيا ، وقال الشعبى لقد غلت هذه الشيعة فى علىّ كما غلت النصارى فى عيسى لقد بغضوا إلينا حديثه .

---

(١) سورة النمل : مكية ٦٥ . (٢) سورة لقمان : مكية ٣٤ .

وقال أبو الحسين رحمه الله : ألا ترى أن الله عز وجل أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم : (قُلْ لا أقولُ لكُم عِنْدِي خزَائِنُ اللهِ ولاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أقُولُ لكُم إنِّي مَلَكٌ إنْ أَتَّبِعُ إلاَّ ما يُوحَى إليّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى والبَصِيرَ أفَلا يَتَفكَّرُونَ(١)) فكيف يعلم الغيب من هذا قوله ؟

ومنهم صنف زعموا : أن علياً نبي مبعوث يقال لهم الجمهورية ، وزعموا أن جبريل عليه السلام إنما بعث إلى على ، فغلطَ بمحمد صلى الله عليه وسلم فأمر بتنفيذ غلطه ، كذب أعداء الله لو كان أرسل إلى على لكان سبق جبريل وجبريل عليه السلام لا يغلط لأن الكون سبق فى أم الكتاب ، ولم تزل الدلالات بائنة فى محمد صلى الله عليه وسلم منذ ولد وقبل أن يولد فى التوراة والإنجيل والآثار ، يقول : إنى ليوحى إلىّ الأمر لأمضيه فآتيه فأجد الكون قد سبقنى إليه ، وكيف يتوهم على جبريل الغلط وهو رسول رب العالمين ؟ وقيل لابن عباس : إن ناساً يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة فسكت ساعة ، ثم قال : بئس القوم ، علىّ نكحنا نساءه ، وقسمنا ميراثه أما يقرؤن : (أَلَمْ يَرَوا كَمْ أهْلَكْنا قَبْلَهُم مِنَ القُرُونِ أنَّهُم إلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ(٢)) وقد ذكرت حديث محمد بن الحنفية لما سأل أباه علياً عليهما السلام : أى الناس خير ؟ فقال : أبو بكر ، قلت : ثم قال : ثم عمر ، ثم خشيت أن أسأله فيقول عثمان فقلت يا أبة ، فأنت ؟ فقال: أنا رجل من المسلمين .

والصنف الذى يقال لهم السبائية : يزعمون أن علياً شربك النبى صلى الله عليه وسلم فى النبوة وأن النبى صلى الله عليه وسلم مقدم عليه إذ كان حياً ، فلما مات ورث النبوة ، فكان نبياً يوحى إليه ، ويأتيه جبريل عليه السلام بالرسالة ، كذب أعداء الله ، محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .

---

(١) الأنعام : مكية ١٠ .   (٢) سورة يس : مكية ٣١ .

والصنف الذى يقال لهم المنصورية يزعمون : أن علياً فى السحاب وأنه لم يمت ، وأنه مبعوث قبل يوم القيامة فيرجع هو وأصحابه أجمعون إلى الدنيا بعد الموت قبل يوم القيامة ، ويرون قتل الناس بالحق ، كذب أعداء الله كيف وهو القائل للحسن : إن مت من هذا فالنفس بالنفس ، وإن عشت فالجروح قصاص فمات رضى الله عنه ، وما وعد الله النبيين فى كتبهم ولا فيما أوحى إليهم أن يرجع منهم أحد بعد الموت إلى الدنيا ، فكيف رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ لقد أحب على رضى الله عنه أن يلقى الله بصحيفة عمر رضى الله عنه ، ألا ترون أنه لما مات على صعد الحسن المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: إنه أصيب الليلة فيكم رجل ، ولقد صعد بروحه فى الليلة التى صعد فيها بروح يحيى بن زكريا ، ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبع مائة درهم .

وقال ابن عباس : لما وضعت جنازة عمر وقمنا حوله ندعو فوضع رجل يده من ورائى على منكبى فالتفت فإذا هو على بن أبى طالب فأوسعتُ له فقال على لعمر وهو موضوع : رحمة الله عليك فوالله ما خلفت أحداً أحنن إلى من أن ألقى الله بما فى صحيفته منك ، وإنْ كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه لأنى أسمع رسول الله يقول : « ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ورجعت أنا وأبو بكر وعمر »وكنت أظن ليجعلنك الله معهما .

وعن أبى جعفر محمد بن على قال : قال علىٌ: « ما على الأرض رجل أحبّ إلىّ من أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى » ، يعنى عمر رضى الله عنهما .

ومنهم صنف زعموا : أن علياً قد علم ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم الدنيا والآخرة وما كان وما هو كائن ، وعلم على بعد رسول الله علماً لم لم يكن رسول الله يعلمه ، وأن علياً أعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلوا الأئمة بعده يرثون ذلك منه إلى يومنا هذا الأكبر فالاكبر ، وأن العلم يولد معه

لا يحتاج إلى تعليم . نقول : هذا جهل عظيم ، وكيف يعلم علىّ أو أحد كل هذا ؟ وهو يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلىّ شيئا إلا عهدته إلى الناس .

وعلى القائل لعبد الله بن عوف : إن أخطئك[١] فأرجو أن لا تخطئنى . فلو كان كما يقولون لعلم أنها تخطئه ، وأن عثمان له الخلافة .

ولو علم الغيب لم يجب معاوية رضى الله عنه إلى الحكمين ، ولعلم أن عمرو بن العاص يفلح على أبى موسى .

كذب أعداء الله ، ما قال علىّ من هذا شيئًا ولا رضيه ، ولا أراده رحمة الله عليه . هذا والنبى عليه الصلاة والسلام قد سئل عن أشياء فقال : لم يأتنى فيها شىء . قال ثوبان : جاء رجل يهودى إلى النبى عليه السلام فسأله عن أشياء فنكت الأرض ساعة ثم أخبره ، ثم قال : « والذى نفسى بيده ما كان عندى شىء مما سألتنى حتى أيدانى الله عز وجل فى مجلسى هذا » .

وأما المختارية الذين سموا بالمختار فيزعمون : أن عليا إمام من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، والأئمة من ولده يقومون مقامه فى ذلك .

فالدليل على بطلان دعواهم أن الحسن والحسين رضى الله عنهما كانا يقتدران الصلاة خلف مروان ، وقد كان الحسن أعرف بالله من أن يقول هذا القول ، ولو رأى لنفسه حقا ما تركه ومعه أربعون ألفًا ، ولكن كان موفقا كما أن عليًا لو رأى لنفسه حقًّا أيام أبى بكر ، وعمر ، وعثمان رضى الله عنهم لطلبه .

قال بسام الصيرفى[٢] ، ما ترى فى الصلاة خلف هؤلاء؟ — يعنى بنى مروان —

---

(١) هكذا بالأصل والصواب : إن أخطأتك يقصد الخلافة كما يفهم من السياق .

(٢) بسام بن عبد الله الصيرفى الكوفى من رجال النسائى أخذ عن على بن زيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق عليهم السلام ولعله سأل أحد هؤلاء (ز) .

قال : صل خلفهم ، قالت قلت : قد قال النبى عليه السلام : « إن الناس يَكثُرون وإن أصحابى يقلون فلا تسبوا أصحابى لعن الله من سبهم » وقالت عائشة رحمها الله : أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم ، وقال عليه السلام : « لو أنفق أحدكم مثل أحد ما أدرك مد أحد ولا نصيفه » ، وأُوتى عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه برجل سب عثمان رضى الله عنه فقال : لم سببته ؟ قال : أبغضته ، قال : أوكلما أبغضت أحداً سببته ؟ قال : فضربه عمر ثلاثين سوطاً .

ومنهم صنف يقال لهم المغيرية زعموا : أنه من ظلم نفسه من عترة على فلا حساب عليه ولا عذاب ولا وقوف عليه ولا سؤال ، وإن ترك الفرائض وركب العظائم وأشرك بالله وزعموا أن أبا طالب فى الجنة ، كذب أعداء الله ، لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل بن هشام ، وعبد الله بن أُمية فقالا : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك » ، فأنزل الله عز وجل : (إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمهْتَدِين[1]) ونزلت أيضاً : (مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ، وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ[2]) .

وعن عِكْرمةَ قال : جاء رجل إلى النبى عليه السلام فقال : إن أبى كان يعتق الرقاب ويكرم الضيف ، ويعرف حق ابن السبيل ، فقال النبى عليه السلام : « فهل قال مرة : اللهم قنى عذاب النار » ؟ قال : لا ، قال : « فلا شىء » ، قال :

---

(١) سورة القصص : مكية ٥٦ . (٢) سورة التوبة : مدنية ١١٣ — ١١٤

فبكى الرجل ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تبك فإن أبى وأباك وأبا إبراهيم فى النار[١] » ، قال الرجل : فأين يذهب الإحسان الذى كان ؟ قال عليه السلام : « يخفف عنه من العذاب » .

وقال العباس يا رسول الله : ماذا أغنيت عن عمك وقد كان يحوطك ويغضب لك قال : « هو فى ضحضاح من نار ، ولولا مكانى لكان فى الدرك الأسفل من النار » .

وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنى عبد المطلب ، يا فاطمة ابنةَ محمد يا صفية عمةَ محمد اشتروا أنفسكم من الله إنى لا أُغْنى عنكم من الله شيئاً سلونى من مالى ما شئتم ، اعلموا أنه أولى الناس بى يوم القيامة المتقون ، لا يأتينى الناس إلا بالأعمال وتأتونى بالدنيا تحملونها على أعناقكم فتقولون : يا محمد فأقول هكذا وعطف رأسه يميناً وشمالا » .

وقد ذكرت الخطابية وهم يزعمون أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما الجبت والطاغوت ، وكذلك الخمر والميسر عليهم لعنة الله ، وقد فسروا فى كتاب الله أشياء كثيرة ما يشبه هذا ، كذب أعداء الله الأنجاس الأرجاس فلمن قال الله عز وجل : (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ[١]) ، ومن كان صاحبه فى الغار ؟ ومن أعز الله بهما الدين ، ولمن قال الله عز وجل : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

---

(١) والمصنف متساهل فى سرد الأخبار بدون زمام ولا خطام ، وحديث مسلم (إن أبى وأباك فى النار) فى سنده عفان وحماد بن سلمة وهما من رجال الميزان ، وإخراج حديث حماد بن سلمة فى عداد الصحاح مما تختلف فيه أنظار النقاد ، وعلى كل حال هذا الحديث من أخبار الآحاد التى لا يتمسك بها فى باب العلم وإنزال المرء فى النار فى حاجة إلى دليل يفيد العلم (ز) .

(٢) سورة التوبة : مدنية ٤٠.

ويُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ[١]) قال أنس : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رؤوسنا ، فقلت يا رسول الله : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه ، قال يا أبا بكر : ماظنك باثنين الله ثالثهما ؟ وحلف أبو هريرة: والله الذى لا إله إلا هو ، لولا أبا بكر استخلف ماعُبِدَ الله ، وكما قال عليه السلام : « لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب[٢] » وكما قال عبد الله : كان إسلام عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمارته رحمة ، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى عند البيت حتى أسلم عمر ، فقاتلهم حتى تركونا فصلينا .

ومنهم صنف يزعمون أن المتعة حلال والتزويج بلا ولى ولا شهود ولا صداق قالوا : اللهُ وليُّها ، والملائكةُ شُهُودُها ، والإسلامُ صَداقُها ، ويكسرون يد الميت الشمال إذا مات لِئلاَّ يأخذ كتابه بشماله يوم النشور ، وأنكروا أن الله يعيد الخلق كما بدأهم ، وقالوا : إذا طلق المطلق ثلاثا فلا شىء عليه لأنه خالف السنة وهى امرأته على حالها ، وحرموا صيد البحر الذى أحله الله ما لم يكن عليه قشر اتبعوا فى ذلك اليهود وقالوا بقولهم ، وتركوا المسح على الخفين خلافاً للأثر والسنة ، وشهدوا شهادة الزور .

وزعموا أنهم يقبلون منه الدين إذا علمهم[٣] بأعلامهم ، فكيف يعرض الدنيا فى أشياء من قولهم خالفوا بها كتاب الله عز وجل وآثار رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة المائدة : مدنية ٥٤ .

(٢) انفرد بروايته مشرح بن هاعان (ز)

(٣) هكذا فى الأصل وفيه اضطراب فليحرر (ز) .

وسلم . هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أيما امرأة تزوجت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ، فإن تشاجروا فالسلطان ولى من لا ولى له » .

ومنهم صنف قالوا : إنَّ علياً أفضل الناس كلهم ، وطعنوا على أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ؛ وقدموا علياً فى الخلافة فصار هؤلاء بطعنهم وتقديمهم رافضة يقال لهم الخشبية . كذب أعداء الله أدعوا عَلَى علىّ ما لم يدع ولم يقل . وقال قيس : سمعت علياً يقول : سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى أبو بكر ، وثلث عمر ، ثم خبطتنا فتنة فهو ما شاء الله . قال أبو جحيفة : خيرنا بعد نبينا أبو بكر ثم عمر .

قال أبو الحسين : والذى أجمع عليه أهل العلم أن علياً كان داخلا وخارجا ، وأقام رسول الله مريضاً أياماً ، ولو قال : يصلى بالناس علىّ ، لكان الناس تبعاً لعلى فى الصلاة وفى أمر دنياهم ؛ كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدَّم أبا بكر للصلاة ، والصلاة عمود الدين ، قدمه الصحابة لدينهم ودنياهم ، وأمر رسول الله طاعة مفترضة .

ومنهم صنف زعموا : أن علياً أفضل الناس كلهم ويقولون : لا نطعن على أبى بكر وعمر ، ويطعنون على عثمان ، ويزعمون أنه نكث وغير ، فصاروا بطعنهم على عثمان وتقديمهم علياً رافضة[1] يقال لهم الزيدية .

والذى أجمع عليه كل مؤمن أن الصحابة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا على بيعة عثمان رضى الله عنه وقدموه ، وعلى معهم ، فلو علم على أن له حقاً لم يبايعه . وبيعة عثمان أوكد من بيعة أبى بكر ، فإن زعموا أنهم اختلفوا

---

(١) أى لغة لرفضهم عثمان . لا روافض بالمعنى العرفى حيث لم يرفضوا الشيخين (ز)

فقد كانوا يوم اجتمعوا أصوب رأياً منهم يوم اختلفوا ، لا شك فى ذلك ، وقد بان حظ من اختلف عليه لهذه الأمة إلى يوم الناس ، هذا ولا سيما لأهل المعرفة منهم .

قال سعد بن أبى وقاص : لما ولى عثمان لبث زماناً لا ينكرون عليه شيئاً ثم أنكروا عليه شيئاً وركبوا منه ما هو أعظم منه ، والذى قال أهل العلم إنه لا بيعة أجمع ولا أوفق ولا أوكد من بيعة عثمان رضى الله عنه . وأن عبد الرحمن بن عوف بالغ فى النصيحة لأهل الإسلام وَوُفق . وإذا قال لكم قائل من أهل الشيعة إن أبا بكر الصديق أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلىّ أحب إلى منه فألحقوه بأهل البدع فإنه قد خالف ببدعته من مضى .

فهذا إجماع كلام الرافضة والشيعة ، فأما ما وصفوا به ونعتوا به أيضاً فقد تقدم ذكر الحديث بطوله فى الجزء الأول من حديث مالك بن مغول لما قال : قلت للشعبى : ما ردك عن هؤلاء القوم وقد قال سفيان : إن قوما يقولون لا نعلم فى أبى بكر وعمر إلا خيراً ، ولكن علىّ أحق بالولاية منهما ، فمن قال ذلك فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار ، وما أرى يرتفع له عمل مع هذا إلى السماء .

وقد شرحت أيضا ذكر الإمامية مبيناً فى هذا الجزء وهم ثمانى عشرة فرقة ليظهر لكم البيان إن شاء الله ، وبالله التوفيق .

باب ذكر القدرية ، ونعتهم ، ومذاهبهم ، واعتقادهم :

وأما القدرية فهم سبع فرق وهم أصناف :

فصنف منهم يزعمون أن الحسنات والخير من الله ، والشر والسيئات من

أنفسهم ، لكى لا ينسبوا إلى الله شيئا من السيئات والمعاصى ، ويتكلمون بأشياء لا أستجيز ذكرها ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

هذا والله تعالى يقول : (سَيَقُولُ الَّذِينَ أشركُوا لوْ شاءَ اللهُ ما أشْرَكْنا ، ولا آباؤُنا وَلا حرَّمْنا من شىء ، كذلِكَ كَذَّبَ الذينَ مِنْ قبلهم حتى ذَاقُوا بَأْسَنَا . قُلْ هَلْ عندكُمْ مِنْ عِلمٍ فتُخْرِجُوهُ لنا إنْ تَتَّبِعُونَ إلاَّ الظنَّ وَإنْ أنتم إلاَّ تَخْرُصُونَ * قلْ فللهِ الْحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلوْ شاءَ لهداكُمْ أجْمَعِين)[١] . وقال : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاها * فَألْهَمَهَا فُجورَهَا وَتقْوَاهَا)[٢] . وقال : (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فى ظُلُماتِ الأرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلاَّ فى كِتَابٍ مُبِينٍ)[٣] وقال : (وَقَضَيْنَا إلى بَنِى إسْرَائِيلَ فى الـكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فى الأرْضِ مَرَّتَينِ وَلَتَعلُنَّ عُلواً كَبِيراً)[٤] ؟ وقال : (إنَّ المجرِمِينَ فى ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ * يوْمَ يُسْحَبُونَ فى النَّارِ عَلَى وَجُوهِهِم ذُوقُوا مَسَّ سَقَر * إنَّا كلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ)[٥] . وقوله : (ألاَ لَهُ الخلقُ وَالأمْرُ تبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالمِينَ)[٦] . وقوله : (إنْ هىَ إلا فِتْنَتُكَ)[٧] . وقال : (وَإن مِنْ قَرْيَةٍ إلاَّ نحنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ أوْ مُعَذِّبوهَا عَذابًا شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فى الـكتابِ مَسْطُوراً)[٨] . وقال : (إنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أنتُمْ لها وَارِدُونَ * لو كان هؤلاء آلهةً ما وَرَدُوها وَكلٌّ فِيها خالدون)[٩]

---

(١) سورة الأنعام : مكية ١٤٨ - ١٤٩ (٢) سورة الشمس : مكية ٧-٨ .

(٣) سورة الأنعام : مكية ٥٩ . (٤) سورة الإسراء : مكية ٤ .

(٥) سورة القمر : مكية ٤٧ - ٤٩ .

(٦) و (٧) سورة الأعراف : مكية ٥٤ - ١٥٥ .

(٨) سورة الإسراء : مكية ٥٨ . (٩) سورة الأنبياء : مكية ٩٨ - ٩٩ .

وقال : (فالْتَقَى الماء عَلَى أَمْرٍ قد قُدِرَ)[١] أى قد كان قدر قبل البلاء . وقال : (وَمَا تَشَاءُونَ إلاّ أن يشاء الله رَبُّ العَالمين)[٢] . وقال : (وَكُلُّ إنسانٍ أَلْزَمْناه طَائِرَهُ فى عُنُقِهِ وَنخرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتَاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً)[٣] . وقال : (يَحُولُ بَينَ المَرْءِ وَقلبِهِ)[٤] . وقال : (هُوَ الذى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ)[٥] . وقال : (كما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ)[٦] . وفى القرآن مثل هذا كثير .

وقد قدمت قبل هذا شيئا عند ذكر خلافة عثمان رضى الله عنه . وقد خرج النبى صلى الله عليه وسلم وبيده مخصرة ـ والمخصرة هى ما أمسك الإنسان بيده من عصاة أو عكاز أو غيره ، ومنه أن يمسك الرجل بيد صاحبه فيقال : فلان مخاصر فلان ، يعنى آخذ بيده ـ والرجل يصلى مختصراً ليس من هذا إنما ذلك أن يصلى وهو واضع يده على خصره .

وقد تقدم ذكر الحديث لما غشى على عبد الرحمن بن عوف ظنوا أن نفسه قد خرجت ، فلما أفاق قال : غشى علىّ ؟ قالوا : نعم . قال : صدقتم إنه أتانى ملكان فى غشيتى هذه فقالوا : انطلق نخاصمك إلى العزيز الأمين ، قال : فلقيهما ملك فقال ردوه ، فإن هذا ممن كتبت لهم السعادة وهم فى بطون أمهاتهم وسيمتع الله به نبيه ، فعاش شهرا ثم مات .

وقال الحسن : من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن ، وقال ابن عباس : العجز والكيس بالقدر .

---

(١) سورة القمر : مكية ١٢ . (٢) سورة التكوير : مكية ٢٨ .
(٣) سورة الاسراء : مكية ١٣ . (٤) سورة الأنفال : مدنية ٢٤ .
(٥) سورة التغابن : مدنية ٢ . (٦) سورة الأعراف : مكية ٢٩ .

وجاء رجل إلى ابن عمر — رضى الله عنهما — فقال : إن فلانا يقرأ عليك السلام . قال : بلغنى أنه قد أحدث ، فإن كان قد أحدث فلا تقرأ عليه السلام ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يكون فى هذه الأمة خسف وقذف ، وذلك فى أهل القدر » .

ولما دخل غيلان إلى عمر بن عبد العزيز سأله عن أمر الناس فأخبره صلاحاً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ويحك يا غيلان ما هذا الذى بلغنى عنك ؟ قال : يا أمير المؤمنين أتكلم فتسمع ؟ قال : تكلم . فقرأ (هَلْ أَتى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ الدَّهْر لم يَكُنْ شيئا مَذْ كُوراً * إنّا خَلَقْنَا الإنسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَليه فجعلناهُ سَميعًا بَصِيراً * إنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إمّا شَاكِراً وإمّا كَفُورا)[١] . فقال عمر : ويحك ! من ههنا تأخذ الأمر وتدع بدء خلق آدم عليه السلام : (وَإِذْ قالَ رَبُّكَ للملائكةِ إنى جاعِلٌ فى الأرضِ خَلِيفةً ، قالوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدِّماء ونحنُ نُسَبِّحُ بحمْدِكَ ونقدِّسُ لكَ ، قالَ إنى أعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأسماء كلها ثمَّ عَرَضَهُمْ على المَلاَئكة فقالَ أَنبئونى بأَسْماءِ هؤلاء إن كُنْتم صادقينَ * قالوا : سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لنا إلاَّ ما عَلَّمْتَنا ، إنك أنْتَ العَلِيمُ الحكيمُ * قال يا آدَمُ أنبِئْهُمْ بأسمائِهِمْ ، فلمَّا أنْبَأَهمْ بأسمائهم قالَ ألم أقلْ لكُمْ إنى أعْلَمُ غيبَ السَّمَوَاتِ والأرضِ وأعْلَمُ ما تُبْدُونَ وما تكتمون)[٢] . فقال غيلان : واللهِ يا أمير المؤمنين لقد جئتك ضالاً فهديتنى ، وأعمى فبصرتنى ، وجاهلا فعلمتنى . والله لا أتكلم فى شىء من هذا الأمر أبدا . فقال عمر : والله لئن بلغنى أنك تكلمت فى شىء منه لأجعلنك للناس أو للعالمين نكالا ، فلم يتكلم فى شىء حتى مات عمر رحمه الله : فلما مات عمر سال فيه سيل الماء ، أو سيل البحر .

---

(١) سورة الدهر : مدنية ١ – ٣ . (٢) سورة البقرة : مدنية ٣٠ – ٣٣ .

ونهى الصالحون أن يقول الرجل : لولا كذا لفعلت كذا ، فافهموا فإنه من الخفى الذى يغلط فيه الناس .

وقال عبد الله بن مسعود : والله لقد قسم الله هذا الفيء لهذه الأمة على لسان نبيه قبل أن يفتح فارس والروم . وقال أيضا رضى الله عنه : ما كان كفر بعد نبوة إلا كان مفتاحه تكذيبا بالقدر .

وذكر عند سعيد بن المسيب أن أقواما يقولون : إن الله قدر كل شيء ما خلا الأعمال . فغضب سعيد غضبا شديدا حتى هم بالقيام ثم سكن فقال : تكلموا به ؟ أما والله لقد سمعت فيهم حديثا كفاهم به شرا ، ويحهم لو يعلمون. قيل له : يا أبا محمد ما هو ؟ فقال : حدثنى رافع بن خديج أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « يكون قوم من أمتى يكفرون بالله و بالقرآن وهم لا يشعرون كما كفرت اليهود والنصارى » ، قال قلت : جعلت فداك يا رسول الله و كيف ذلك ؟ قال : « يقرون ببعض القدر و يكفرون ببعضه » ، قلت : وما يقولون ؟ قال : « يجعلون إبليس عدو الله شريكا لله فى خلقه ، وقوته ، ورزقه . يقولون : إن الخير من الله والشر من إبليس ، فيقرءون على ذلك كتاب الله فيكفرون بالقرآن بعد الإيمان والمعرفة ، فماذا تلقى أمتى منهم من العداوة والبغضاء والجدل ، أولئك زنادقة هذه الأمة فى زمانهم ، ثم يكون ظلم السلطان فياله من ظلم ، وحيف ، وأثرة ؛ ثم يبعث الله عز وجل عليهم طاعونا فيفنى عامتهم ثم يكون الخسف فما أقل من ينجو منهم ، المؤمن يومئذ قليل فرحه ؛ شديد غمه . ثم يكون المسخ فيمسخ الله عامة أولئك قردة وخنازير ثم يخرج الدجال على أثر ذلك قريبا » .

ثم بكى رسول الله فبكينا لبكائه وقلنا : ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال « رحمة لهم الأشقياء لأن فيهم المتعبد وفيهم المتهجد مع أنهم ليسوا بأول من سبق إلى هذا القول وضاق بحمله ذرعا ؛ إن عامة من هلك من بنى إسرائيل بالتكذيب بالقدر »

قلت : جعلت فداك يا رسول الله قل لى كيف الإيمان بالقدر ؟ قال : « تؤمن بالله وحده ، وأنه لا يملك أحداً معه ضراً ولا نفعاً ، وتؤمن بالجنة والنار ، وتعلم أن الله خلقهما قبل خلق الخلق ، ثم خلق الخلق ، فجعل من شاء منهم إلى الجنة ، ومن شاء منهم إلى النار ، عدلاً ذلك منه ، وكل يعمل لما قد فرغ له منه وهو صائر إلى ما قد خلق له[١] » قلت : صدق الله ورسوله .

وعن ابن عباس : إن الله عز وجل أول ما خلق القلم ، ثم خلق النون وهى الدواة ثم خلق اللوح ثم قال للقلم : اكتب فقال : وما أكتب يارب قال : اكتب القدر . وخلق الدنيا وما فيها ، وما يكون فى الدنيا من خلق مخلوق ، أو عمل معمول من بر أو فجور ، أو رزق حلال أو حرام ، أو رطب أو يابس ، ثم ألزم كل شىء من ذلك شأنه وما بقاؤه وما فناؤه حتى تفنى الدنيا ، ثم جعل لذلك الكتاب ملائكة ، وجعل للخلق ملائكة ، فينطلق ملائكة الخلق إلى ملائكة الكتاب ، فيقولون : اللهم انسخ بما هو كائن فى الليل والنهار وبما وكلوا به فيهبط ملائكة الخلق إلى الخلق ، فيحفظونهم بأمر الله ويسوقونهم إلى ما فى أيديهم من تلك النسخ ، فإذا فنيت تلك النسخ لم يكن لهذا الخلق بقاء ولا مقام وذلك قول الله عز وجل : (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[٢]) فقال رجل لابن عباس : والله ما كنا نرى ذلك إلا نسخ أعمالنا ، قال ابن عباس ألا تستحيون ألستم قوماً عربا هل كانت النسخ قط إلا من كتاب مكتوب ؟ فوالله إن الله عز وجل ليبعث الملك فيُدفع إليه صحيفتان إن إحداهما لمختومة ، والأخرى المنشورة فيقال له : اكتب فى هذه ، ولا تفتح المختومة ولا تكسر لها

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير بأسانيد أحسنها فيه ابن لهيعة وهو لين الحديث كما قاله الهيثمى فى المجمع (ز) .

(٢) سورة الجاثية : مكية ٢٩ .

خاتماً ، فإذا صعد فك الخاتم ثم عارض ، فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، وذلك قوله عز وجل : (ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين[١]) ، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم» وقالت عائشة رضى الله عنهما : أُوتى رسول الله بصبى من الأنصار ليصلى عليه قالت : فقلت : طوبى له عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل شراً ولا يدره قال : « أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق الجنة وجعل لها أهلا وهم فى أصلاب آبائهم » .

وعن ابن عباس : (يَمْحُو اللهُ ما يَشَاءُ وَيُثْبِتُ[٢]) قال: الشقاء ، والسعادة والحياة ، والموت . وعن الحسن بن على قال : رفع الكتاب وجف القلم ، وأمور تقضى فى كتاب قد خلا .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : خلق الله تعالى الخلق فكانوا فى قبضته ، فقال لمن فى يمينه : أدخلوا الجنة بسلام ، وقال لمن فى يده الأخرى : أدخلوا النار ولا أبالى ، قال : فذهبت إلى يوم القيامة .

قال عمر بن ذر : دخلت على عمرَ بن عبد العزيز ، وسألنا عن قبائلنا ، ثم تكلم رجل منا ، فحمد الله وأثنى عليه ، وشهد شهادة الحق ، فقال عمر : إن الله كما شهدت ، وكما عظمت ، ولكن لو حمل خلقه من حقه بقدر عظمته لم يحمل ذلك سماء ولا أرض ، ولا جبل ، ولكن أراد بعباده اليسر ، ورضى منهم بالتخفيف : ففرض عليهم فى كل يوم وليلة خمس صلوات ، وفى كل عام صيام شهر ، وذكر ما شاء الله من الفرائض وقال : ذلك فى آية من كتاب الله عقلها

(١) سورة الأنعام : مكية ٥٩

(٢) سورة الرعد : مدنية ٣٩ .

من عقلها وجهلها من جهلها ، ثم قرأ : (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ[١]) - أي من دون الله - (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ)[٢] ، وكان منا رجل يرى رأى القدر بخلاف ما تكلم به.

وقال ابن مسعود : لا يرى رجل طعم الإيمان حتى يؤمن بالقدر ، أنه ميت ومبعوث من بعد الموت ، قال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً فنادى أين خصماء الله ؟ فيقومون مسودةً وجوههم مزرقةً أعينهم ما يلى شفاههم يسيل لعابهم ويقذرهم من يراهم فيقولون : ربنا : والله ما عبدنا شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً ، قال ابن عباس : صدقوا والله لقد أتاهم الشرك من حيث لا يعلمون ، ثم تلا ابن عباس : (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ[٣]) . قال ابن عباس : هم والله القدريون ثلاث مرات .

وعن بجير بن عبيد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يكون فى آخر أمتى قوم يكذبون بالقدر عليهم مسوك الكباش قلوبهم قلوب الذئاب الضوارى وبعزة ربى وجلاله لو أن لكل واحد منهم مثل أحد ذهباً وفضة منتقطعة فأنفقها فى سبيل الله ما تقبل منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره ألا فلا تجالسوهم فيشركون بالله فتشركوا معهم (فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ[٤]) هكذا قرأها ابن سلام « وإن غابوا فلا تفتقدونهم ، وإن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشيعوهم شيعة الدجال حق على الله أن يلحقهم به ، وهو مجوس هذه الأمة » .

---

(١) و (٢) سورة الصافات : مكية ١٦١ - ١٦٣ .

(٣) سورة المجادلة : مدنية ١٨ .   (٤) سورة الأنعام : مكية ١٠٨ .

وقال ابن مسعود يجتمع الناس فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر ألا وإن الشقى من شقى فى بطن أمه وأحسبه قال : والسعيد من وعظ بغيره ، قالوا: يا أبا وائل ما تقول فى الحجاج ؟ قال : سبحان الله أنحن نحكم على الله .

وعن ابن عباس قوله : (وإنّا لمُوفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ [١]) قال : ما قدر لهم من خير وشر . قال على بن شداد : دخلت مع ابن عمر إلى السوق فكان أكثر كلامه مع من لقى : سلام عليكم نعوذ بالله من قدر السوء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن يؤمن من لم يؤمن بالقدر خيره وشره » ، وقال عبد الله بن عمر : سمعت رسول الله يقول : « من شرب الخمر لم يقبل له أربعين صباحاً ، فإن تاب تاب الله عليه ، فلا أدرى فى الثالثة أو الرابعة قال : حقاً على الله أن يسقيه من ردغة الخبال يوم القيامة » . قال : وسمعته يقول عليه السلام : « إن الله خلق خلقه فى ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول : جف القلم على علم الله » ، قال : وسمعته عليه السلام يقول : « إن سليمان بن داود سأل الله تبارك وتعالى ثلاثا فأعطاه اثنتين ، وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة ، سأل الله حكما يصادف حكمه فأعطاه ، وسأله ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة فى هذا المسجد ، يعنى بيت المقدس إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ،فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ونحن نرجو أن يكون الله قد أعطاه إياه » . وقال ابن عباس : لا يفتنون (إلا مَنْ هَوُصال الجحيم [٢]) وقال محمد صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله نبياً قط ، إلا كان فى أمته من بعده قدرية ومرجئة يشوشون عليه أمر أمته ، ألا إن الله لعن القدرية والمرجئة » .

---

(١) سورة هود : مكية ١٠٩ .

(٢) سورة الصافات : مكية ١٦٣ .

وقال عبادة بن الصامت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون فى أمتى رجلان أحدهما وهب وهَبَ الله له الحكمة ، والآخر غيلان فتنة على هذه الأمة ، أشد من فتنة الشيطان(١) ، وسألت عائشة رحمة الله عليها النبى صلى الله عليه وسلم عن ولدان المسلمين أين هم يوم القيامة ؟ قال : فى الجنة يا عائشة ، فقالت له مجيبة : يا رسول الله لم يدركوا الأعمال ، ولم تجر عليهم الأقلام ؟ قال : ربك أعلم بما كانوا عاملين ، والذى نفسى بيده لئن شئت لأسمعتك تضاغينهم فى النار .

ومن القدرية صنف يقال لهم المفوضة ، زعموا أنهم موكلون إلى أنفسهم إنهم إنهم يقدرون على الخير كله بالتفويض الذى يذكرون دون توفيق الله وهداه — تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً — والله جل من قائل يقول : (ومَا تَشَاؤُنَ إلا أن يَشاءَ اللهُ رَبُّ العالمين(٢)) معناه من خير إلا أن يشاء اللهُ لَكُم ، وقول جبريل عليه السلام : إنى لأرسل فى الأمر فأجد الكون قد سبقنى إليه .

ومنهم صنف زعموا أن الله عز وجل جعل إليهم الاستطاعة تاماً كاملاً لا يحتاجون إلى أن يزدادوا فيه ، فاستطاعوا أن يؤمنوا ، وأن يكفروا ، ويأكلوا ويشربوا ، ويقوموا ويقعدوا ، ويرقدوا ويستيقظوا ، وأن يعملوا ما أرادوا ، وزعموا : أن العباد كانوا يستطيعون أن يؤمنوا ، ولولا ذلك ما عذبهم على مالا يستطيعون إليه .

وعن ابن عباس فى قوله إكذاباً لهم : (فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِن ْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ(٣)) يقول من شاء له الإيمان آمن ، ومن شاء له الكفر كفر وهو

---

(١) أخرجه أبو يعلى لكنه موضوع كما فى الفوائد المجموعة .

(٢) سورة التكوير : مكية ٢٩ .

(٣) سورة الكهف : مكية ٢٩ .

قوله : (وما تشاءونَ إلاّ أن يشاء اللهُ ربُّ العالمين) . وقال ابن عباس فى قوله : (قد أفلحَ من زكاها * وقد خاب من دسَّاها)[١] قد أفلح من زكى الله نفسه ، وقد خاب من دسى الله نفسه فأضله .

وقال أيضاً فى قوله : (يحولُ بينَ المَرْءِ وقلبه)[٢] ، يقول: بين المؤمن والكفر ويحول بين الكافر والإيمان .

وعن ابن عباس فى قوله : (كما بَدَأَكم تَعُودُون)[٣] . قال : إن الله سبحانه بدأ بخلق ابن آدم مؤمناً وكافراً ، كما قال عز وجل : هو الذى خلقكمْ فمنكم كافرٌ ، ومنكمْ مُؤمنٌ)[٤] ، ثم يعيدهم [سبحانه] يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمناً وكافراً .

ومنهم صنف شبيبية: فهؤلاء أيضا أنكروا أن يكون العلم سابقا على ما به العباد عاملون وما هم إليه صائرون .

كذب أعداء الله . . قال ابن مسعود : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق المصدق : « إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يؤمر الملك بأربع فيكتب رزقه وأجله وشقى أو سعيد ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها غير ذراع فيغلب عليه الكتاب الذى قد سبق فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه بينها غير ذراع ، فيغلب عليه الكتاب الذى سبق ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيكون من أهل الجنة » .

---

(١) سورة الشمس : مكية ٩ – ١٠ .
(٢) سورة الأنفال : مدنية ٢٤ .
(٣) سورة الأعراف : مكية ٢٩ .
(٤) سورة التغابن : مدنية ٢ .

ومنهم صنف أنـكروا أن الله عز وجل خلق ولد الزنا ، أو قدره ، أو شاءه أو علمه . تعالى الله عما قالوا . وأنـكروا أن يكون الرجل الذى سرق فى عمره كله أو يأكل الحرام أن يكون ذلك رزق الله عز وجل وقالوا : لم يرزقه الله رزقا قط إلا حلالا ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

هذا ، وابن عباس رضى الله عنهما قال : الزنا بقدر ، والسرقة بقدر ، وشرب الخمر بقدر . وقال مطرف بن عبيد الله بن الشخير : يا ابن آدم لم تو كل إلى القدر وإليه تصيرون .

ومنهم صنف زعموا أن الله عز وجل وقت لهم الأرزاق والآجال لوقت معلوم فمن قتل قتيلا فقد أعجله عن أجله ورزقه لغير أجله ، وبقى له من الرزق ما لم يستوفه ولم يستكمله . تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا .

فهذا إجماع كلام القدرية .

قال يزيد الرقاشى : قلت للحسن : إنك تقول من قتل فقد أعجل . فقال : إن كنت قلت فأستغفر الله .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب المرجئة والقدرية »[1] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تجالسوا أهل البدع ولا تصافحوهم » . وقال : لأن أصلى خلف جيفة حمار أحب إلى من أن أصلى خلف قدرى ما هو إلا جنون يعتريهم .

وقال طاوس : كنت جالسا عند ابن عباس ومعنا رجل من القدرية ، فقلت :

---

(١) فى سنده على بن نزار بن حيان وأبوه (ز) .

إن ناسا يقولون لا قدر . فقال : أههنا منهم أحد ؟ قلت : لو كان فيهم ما كنت تصنع به ؟ قال : لو كان فيهم أحد لأخذت برأسه فقرأت عليه آية كذا وآية كذا (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدُنَّ فى الأرض مرتين ولتعلُنَّ علواً كبيرا)[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستة لعنتهم ، لعنهم الله وكل نبى مجاب : الزائد فى كتاب الله عز وجل ، والمكذب بالقدر والمتسلط بالجبروت ليذل من أعزه الله ، ويعز من أذله الله ، والتارك لسنتى ، والمستحلّ من عترتى ما حرم الله » .

قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله أهل القدر الذين يكذبون بقدر ولا يؤمنون بقدر ، ألا له الخلق والأمر » ، وقال عز وجل : (وإن مِنْ قرية إلا نحنُ مُهْلِكُوها قبلَ يومَ القيامةِ أو مُعَذِّبوها عذاباً شديدا كان ذلكَ فى الكِتَابِ مَسْطورا)[٢] ، وقوله : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكِن حَقَّ القولُ مِنِّى لأمْلَأنَّ جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين)[٣] ولا أخذوا بقول أهل النار حين دخلوها فقالوا : (رَبَّنا غلبت علينا شِقْوَتنا وكنا قوما ضالين)[٤] . ولا أخذوا بقول إبليس ـ أجارنا الله منه ـ إذ يقول : (فبعزتك لأغوِيَنَّهُمْ أجمعين * إلا عبادك منهم المخلَصِين)[٥] يقول : من أخلصه الله فلا سبيل لى عليه . وإن الله عز وجل نهى آدم عن أكل الشجرة وأعانه عليها ، وأمر إبليس بالسجود وحال بينه وبين ذلك .

---

(١) و (٢) سورة الاسراء : مكية ٤ ـ ٥٨ (٣) سورة السجدة : مكية ١٣

(٤) سورة المؤمنون : مكية ١٠٦ .

(٥) سورة ص : مكية ٨٢ ـ ٨٣ .

باب الحرورية :

وهم خمس وعشرون فرقة :

فصنف منهم : يقال لهم الأزارقة ، وهم أصعب الخوارج وأشرهم فعلا وأسوأهم حالا فسموا الأزارقة بنافع بن الأزرق [صاحب الأسئلة عن ابن عباس] .

ومنهم صنف يقال لهم الصفرية ، سمو بعبيد بن الأصفر[١] .

ومنهم الإباضية : سموا بعبد الله بن إباض[٢] .

ومنهم النجدية[٣] : سموا بنجدة [بن عامر] .

ومنهم الشمراخية : سموا بشمراخ رأسهم[٤] .

ومنهم السرية : [هكذا بالأصل]

ومنهم العزرية : سموا برأسهم ابن عزرة [« »]

ومنهم العجردية : [نسبة إلى عبد الكريم بن عجرد]

ومنهم التغلبية[٥] : سموا بتغلب رأسهم . كانوا يقولون : الغلام مسلم أبدا حتى يبدو لنا منه خروج من الإسلام ، وكيف نشهد بالكفر على من يعلم من الدين مثل ما نعلم ، ويؤدى من الفرائض مثل ما نؤدى ، ويتولى من نتولى ، ويتبرأ مما

---

(١) سبق منه أنهم سموا بمهلب بن أبى صفرة والجمهور على أنهم سموا بزياد بن الأصفر وقد خالف المؤلف الجمهور هنا وفيما سبق (ز) .

(٢) سبق منه أنهم سموا بإباض بن عمرو وما هنا موافق لما ذكره الجمهور والتحقيق أنه عبد الله بن يحيي بن إباض (ز)

(٣) والمعروف النجدات تمييزاً من النسبة إلى النجد (ز)

(٤) بل نسبته إلى عبد الله بن شمراخ (ز)

(٥) هكذا بالأصل والصواب : الثعلبية ، نسبة إلى ثعلبة بن عامر (ز)

نتبرأ منه ، ويحتج على من خالفنا بمثل حجتنا وهو معنا فى مجلس يخاصم خصماءنا ، إذا غلبته عينه نام ثم استيقظ فقال : إنى قد احتلمت ، ثم حدث حديثا غير ذلك نكفره ونستحل دمه إنا إذا لمن الظالمين .

ومنهم فرقة من التغلبية خالفتهم فى زكاة العبد وميراثه . قالوا : إن عليه الزكاة إذا كان منهم وكان مولاه من قومه ، وإنه ليس لمولاه من ميراثه شىء . ثم فارقتهم وكفرت من خالفهم .

ومنهم الشكية : وكان قولهم إن أصحاب الحدود من أصحابهم مسلمون سرقوا أو زنوا أو قذفوا . وقالوا فى القتلى : نستغفر لهم ونتولاهم ولا نشهد لهم بالنجاة ، لأن الله أعلم بسرائرهم فلم نكاف الشهادة . فسموا أهل الشك وكفروا من خالفهم .

ومنهم الفضلية[1] : وإنما سموا بفضل رأسهم ، وذلك أنه فارقهم فى الذنوب ، فزعم أن كل ذنب صغيرا أو كبيرا أو قطرة أو كذبة شرك بالله ، سموا بذلك الفضلية ، وكفروا من خالفهم .

ومنهم فرقة خالفتهم فى تزويج الصغار .

ومنهم فرقة خالفتهم فى الهدى والقلائد ، واستحلوها وكفروا من خالفهم ، وكان سائرهم يحرمها .

ومنهم النجرانية : افترقوا فى امرأة يقال لها أم نجران هاجرت إلى بعض خوارجهم فتزوجت رجلا فى الهجرة بالبصرة من قومها ، ثم استخفت فتزوجت رجلا من أصحابها سرا ، ثم ظهر عليها زوجها الأول من قومها فقربها إليه فتبرأ منها بعضهم وتولاها بعضهم ، وكفروا من خالفهم بعضهم بعضا .

---

(١) وفى بعض الكتب : الفضيلية نسبة إلى فضيل (ز)

ومنهم البيهسية : سموا بهيصم أبى بيهس [بن عامر] رأسهم ، فزعم أن حكم الإمام بالكوفة حكماً يستحق به الكفر ، ففى تلك الساعة يكفر من كان فى حكم ذلك الإمام بخراسان والأندلس ، وعلى الإمام إذا أبصر كفره فتاب منه أرسل إلى أهل حكمه كلهم يستتيبهم من الكفر وإن لم يشعروا به ، فإن أبى أن يتوب منه وقال : مالى أن أتوب مما لا أشك فيه ولم أعلم به ضربت عنقه وكفروا من خالفهم ، ومن قولهم أيضاً : لو أن رجلاً قطر قطرة خمر فى جب فلا يشرب من ذلك الجب أحد إلا كفر وإن لم يشعر لأن الله عز وجل يوفق المؤمنين ، وزعموا : لو أن رجلاً ضرب أباه ألف سوط كل يوم كان مسلماً ، من شك فى ذلك فقد كفر عندهم .

ومنهم فرقة : فارقتهم فى شراب السكر والنبيذ إذا سكر فلا حد عليه يشهد بعضهم على بعض فى ذلك بالشرك وكفروا من خالفهم .

ومنهم فرقة : خالفتهم فى النكاح بغير شهود فقالوا : ننكح بشهادة الكرام الكاتبين .

ومنهم الفديكية : وإنما سموا بأبى فديك[1] وهو اليوم بالبحرين واليمامة وليس بالبصرة ولا الكوفة ولا الجزيرة منهم أحد ، وكان أبو فديك من أصحاب نجدة ثم خالفه وفارقه وكفر من خالفه .

ومنهم العطوية : وإنما سموا بعطية[2] .

ومنهم الجعدية : وإنما سموا بمسلم بن الجعد ، وكان من أهل الكوفة .

---

(١) عبد الله بن ثور وهو قاتل نجدة كما ذكره نشوان الحميرى (ز)

(٢) نسبة إلى عطية بن الأسود من بنى حنيفة وهو ناشر مذهب الخوارج فى سجستان وخراسان (ز) .

والذى جاء فى الخوارج : وإذا التقى المسلمان بسيفيهما . وأتى رجل الحسن فقال يا أبا سعيد : إن هؤلاء استنفرونى لأقاتل الخوارج فما ترى؟ فقال : إن هؤلاء أخرجتهم ذنوب هؤلاء ، وأن هؤلاء يرسلونك تقاتل ذنوبهم فلا تكن القتيل منهم فإن القوم أهل خصومة يوم القيامة وقال خريم :

ولست بقاتل رجل يصلى على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعلى ذنبى معاذ الله من سفه وطيش
أأقتل مسلماً فى غير ذنب ؟ فلست بنافعى ماعشت عيشى

وقال مروان بن الحكم لأيمن بن خريم : ألا تخرج تقاتل ؟ فقال : إن أبى وعمى شهدا بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنهما عهدا إلى أن لا أقاتل أحداً يقول لا إله إلا الله فإن جئتنى ببراءة من النار ، قال : أخرج فلا حاجة لنا فيك ، وأوصى أبو بكر الصديق رضى الله عنه ابن سلمان العبدى فقال : اعلم أنه من صلى الخمس صلوات فإنه يصبح فى ذمة الله ويمسى فلا تقتلن أحداً من أهل ذمة الله فتخفره فى ذمته فيكبك الله على منخرك فى النار ، وقال محمد بن سيرين أريد سعيد بن مالك على الخلافة فأهوى بيده إلى قميصه فقال : ما أنا بأحق بالخلافة منى بكلمة ذكرها ، وما أنا بالذى أقاتل حتى تأتونى بسيف يتكلم يعرف المسلم والكافر يقول للمسلم: هذا مسلم فلا تقتله وهذا كافر فاقتله ولا أبخع نفسى إن كان رجل هو أفضل منى وخير قد جاهدت وأنا أعرف الجهاد .

وقال الزهرى لما خرجت الحرورية قيل لصبيغ قد خرج قوم يقولون كذا ، وكذا ، قال هيهات قد نفعنى الله بموعظة الرجل الصالح ، وكان عمر رضى الله عنه ضربه حتى سالت الدماء على رجليه أو قال على عقبيه ، وقال طاوس : جاء صبيغ إلى عمر فقال من أنت ؟ فقال : أنا عبد الله صبيغ ، قال : فسأله عن أشياء فعاقبه وخرق كتبه وكتب إلى أهل البصرة لا تجالسوه .

وعن الفرزدق قال : قلت لأبى سعيد الخدرى : قبلنا قوم يصلون صلاة لا يصليها أحد ويقرؤن قراءة لا يقرؤها أحد قال : فكان متكئاً فاستوى جالساً ، وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن قبل المشرق قوماً يقرؤن قراءة لا تجاوز حلوقهم » ، وقال على : إذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فإن الحرب خدعة وإذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لأن أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه وإنِّى سمعته يقول : « يخرج قوم فى آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتَهم فاقتلُوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة » .

وقال أبو سعيد الخدرى : يخرج أقوام يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون حتى يعود السهم إلى فوقة التسبيد[١] فيهم فاشٍ ، قلت : وما التسبيد ؟ قال : لا أعلمه إلا نحواً من رأسك فوق الجلد ودون الوفرة .

وقال أبو بكرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه ، فالقاتل والمقتول فى النار » ، قيل يا رسول الله ، هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال: « إنه أراد قتل صاحبه»، وقال سلمة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حمل علينا السلاح فليس منا » وقد تقدم حديث ابن عباس وحجاجه على الخوارج فى باب منهم .

ولما خرج زريق الحرورى استعرض الناس هو ومن معه ، وجاء رجل إلى طاوس من أهل الجند فقال له : يا أبا عبد الرحمن على غزوة فى سبيل الله ، فقال :

---

(١) التسبيد الحلق عند ابن الأثير (ز)

عندك هؤلاء فاحمل على هؤلاء الخبثاء فإن ذلك يؤدى عنك .

وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج فى آخر الزمان قوم يقرؤون القرآن فاتحته إلى خاتمته لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » ، وقال مزاحم بن زفر : كنا بسمرقند وعليها محمد بن المهلب فخرج علينا يوم الجمعة رجلى حرورى ، فضرب رجلاً من بنى عجل بالسيف فأخذ فدعا محمد بن المهلب الضحاك بن مزاحم فسأله فقال : أرى أن تحبسه حتى ينظر ما يصنع المضروب ثم نقصه منه فحبسه ، وكتب إلى يزيد بن المهلب فكتب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك فوافق الكتاب موت سليمان بن عبد الملك واستخلاف عمر بن عبد العزيز ، فعرض عليه الكتاب فكتب أما بعد : فانظر الحرورى فإن المضروب مات من ضربته فدعه لأوليائه يقتلونه ، وإن كان بريئاً فقصه منه ، ثم احبسه محبساً قريباً من أهله حتى يموت من هواه الخبيث الذى خرج عليه .

وسأل وبرة الحسن عن رجل يرى رأى الخوارج ولم يخرج قال : العمل أملك بالناس من الرأى ، وإنما يجزى الناس بالأعمال ، وقال حبيب بن ثابت : أتيت أبا وائل فى مسجد أهله أسأله عن هؤلاء الذين قتلهم على رضى الله عنه بالنهروان فيم استجابوا له وفيم فارقوه عليه ، وفيم استحق قتالهم ؟ فقال: كنا بصفين فلما استمر القتال بأهل الشام اعتصموا بتل ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية رحمهما الله ، أرسل إلى على رضى الله عنه بالمصحف وادعه إلى كتاب الله عز وجل فإنه لن يأبى عليك فأجابه رجل فقال : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ[1]) فقال على : نعم أنا أولى بذلك بيننا

---

(١) سورة آل عمران مدنية ٢٣ .

وبينكم كتاب الله فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ وألقوا سيوفهم على عواتقهم فقالوا : يا أمير المؤمنين ، ما ننتظر بهؤلاء الذين على التل لا نمشى إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فتكلم سهل بن حنيف فقال : أيها الناس اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية — يعنى الصلح الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين — ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ فقال : نعم قال : أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار ؟ قال : بلى . قال : فلم نعط الدنية فى ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ، فقال يا ابن الخطاب ، إنى رسول الله ولن يضيعنى أبداً . قال فرجع وهو مغيظ فلم يصبر حتى أتى أبا بكر رضى الله عنه فقال: ألسنا على الحق ، فذكر مثل ذلك سواء فقال أبو بكر :يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه أبداً ، قال : فنزلت سورة الفتح ، فأرسل عليه السلام إلى عمر فأقرأه إياها فقال ، يا رسول الله : أو فتح هو ؟ قال : نعم .

قال ابن عباس : ليس الحرورية بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى وهم يضلون .

كتاب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

من عبد الله بن عمر أمير المؤمنين إلى يحيي بن يحيي والعاصية الذبن خرجوا ، سلام الله عليكم . أما بعد فإن الله عز وجل يقول : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والموعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ[1]) .

وإنى أذكركم أَنْ تَفْعَلُوا كفعل آبائكم (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا

---

(١) سورة النحل مكية ٢٥ .

من دِيارِهم بطَرًا ورِئاء الناسِ ، ويصدُّونَ عن سبيلِ اللهِ ، واللهُ بما يَعملونَ محيط)[١] ، فبذا تخرجون من دينكم وتسفكون الدماء وتستحلون المحارم ؟ فلو كانت ذنوب أبى بكر وعمر تخرج رعيتهما من دينهم كانت لها ذنوب ، فقد كانت آباؤكم فى جماعتهم ، فما شركتكم على المسلمين وأنتم بضعة وأربعون رجلا وإنى أقسم بالله لو كنتم أبكاراً من ولدى وتوليتم عما دعوكم إليه ولم تجيبوا لدفعتُ دماءكم ألتمس بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة فهذا النصح إن أجبتم وإن استغششتم فقديماً استغش الناصحون .

ولما خرجت خارجة من الحرورية كتب إليهم عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه أن يأتينى منكم رجلان وبينى وبينكم كتاب الله عز وجل فأتياه فخاصمهما وقالا : نرجع على أنا نسيح فى الأرض فأقسموا على أن لا يخيفوا سبيلا ولا يهريقوا دماء فإن فعلتم فقد آذنتم بالحرب .

فساح أحدهما فأهراق دماء وأخاف السبيل ، فبعث إليه سعيدا الجرشى فى أهل الكوفة فقتلوه وقتلوا أصحابه .

وقال حسان بن فروخ : سألنى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عما تقول الأزارقة ، فأخبرته فقال : ما يقولون فى الرجم ؟ فقلت : يكفرون به . فقال : الله أكبر ، كفروا بالله وبرسوله .

وحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجم ماعز بن مالك ، فلما أصابته الحجارة صرخ فقال بعض القوم : أبعده الله ، فزجره عليه السلام وقال : « إنها كفارة له » .

---

(١) النساء : مدنية ٤٧ .

تم بحمد الله وتوفيقه طبع كتاب « التنبيه » تأليف أبى الحسين محمد بن
أحمد الملطى ، رحمه الله ، أخبرنا به ذكر الفرق واختلاف مذاهبها ؛
نسأل الله السلامة برحمته ، وصلى الله على سيدنا
محمد النبى وآله وصحبه وسلم

فهارس الكتاب

فهرس

الموضوعات الهامة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس الأعلام

من أسماء الرجال والنساء

يلاحظ أننا وضعنا علامة = بمعنى أنظر

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(غ)

(ف)

(ن)

فهرس

الآيات القرآنية الكريمة على ترتيب حروف الهجاء

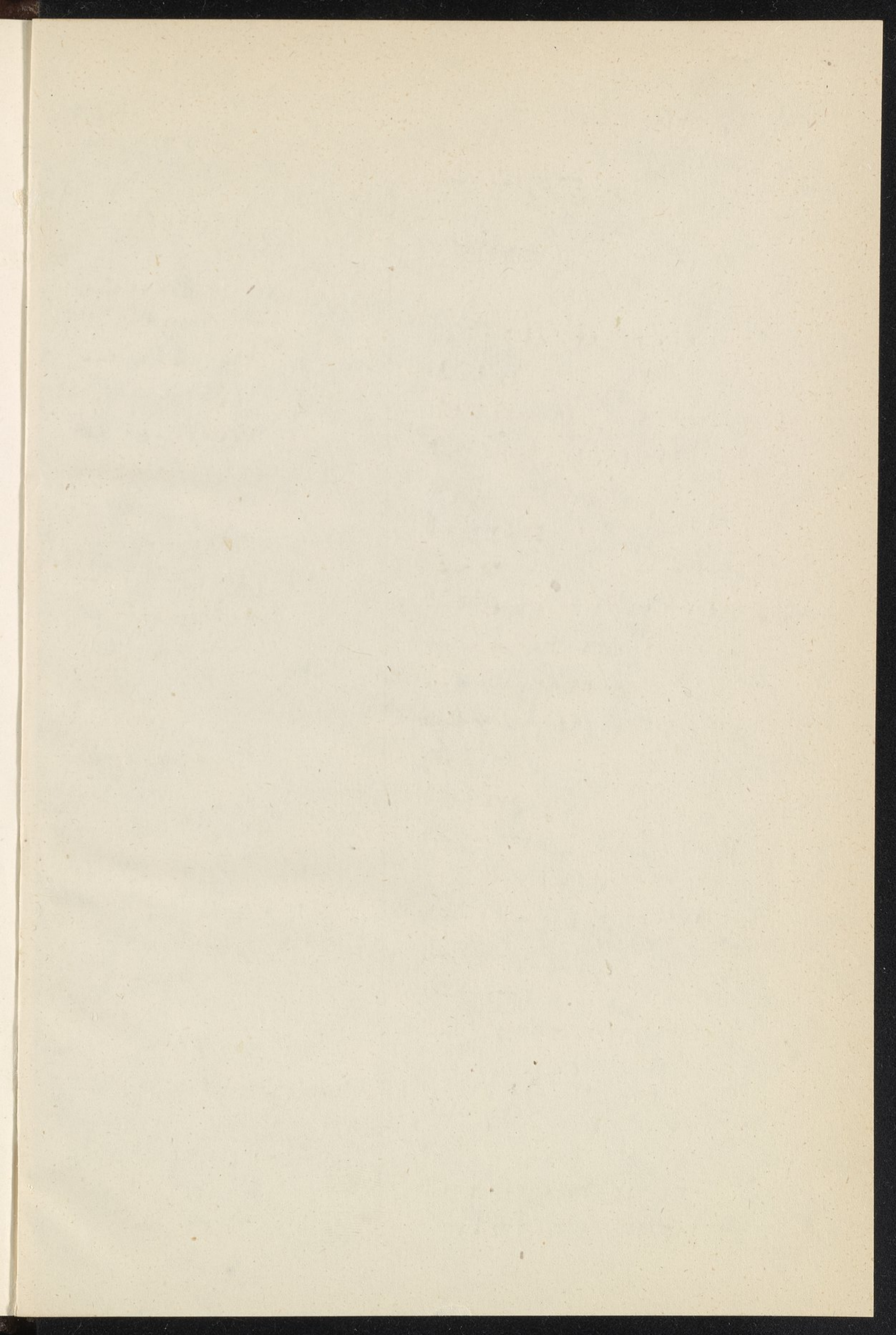
فمن أراد أسماء السور وأرقام الآيات فليراجع هامش صفحات الكتاب

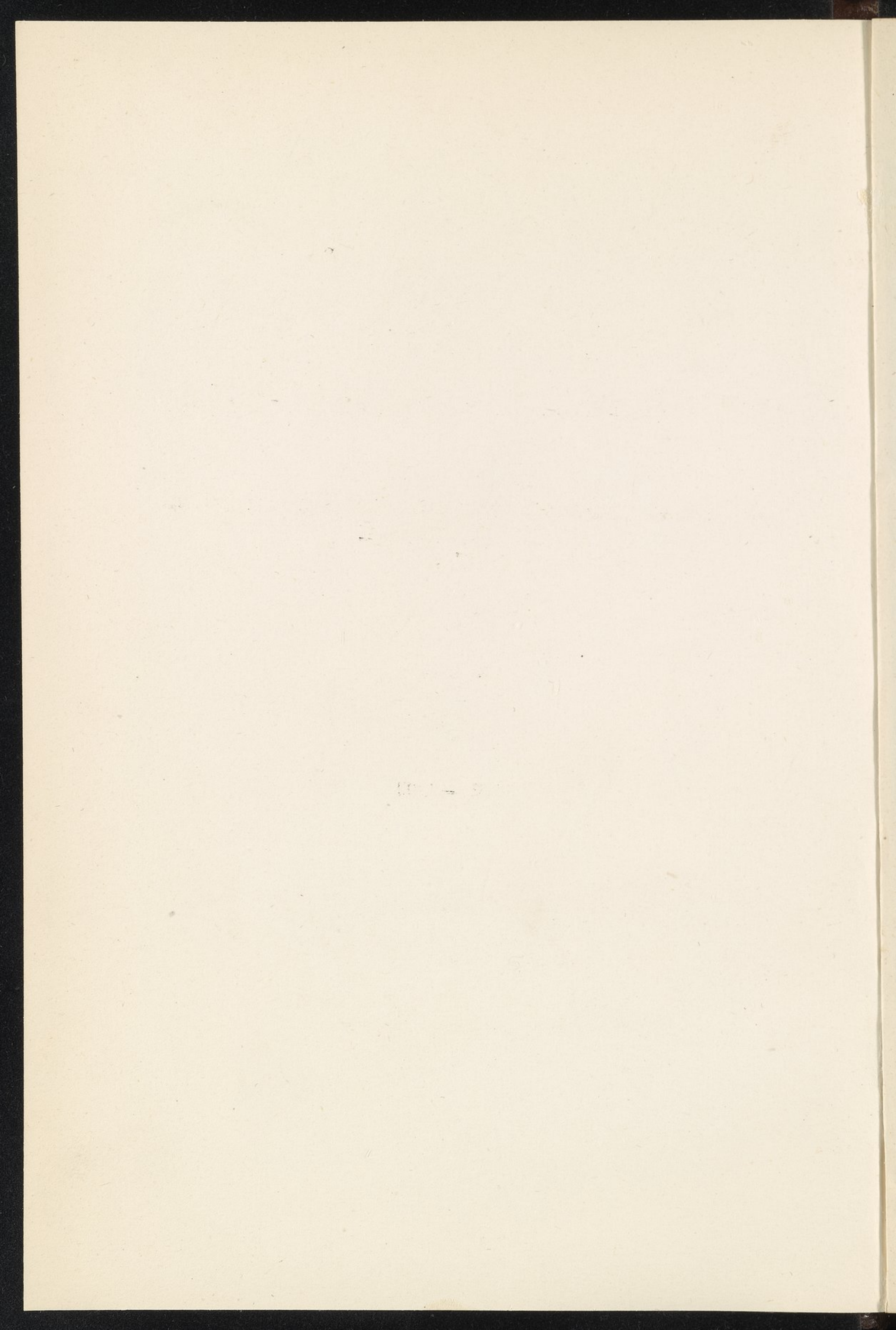
(ا)

(ى)

فهرس

أسماء الفرق والطوائف والقبائل





AL TANBIH

w'Arrad alà ahl - el - Ahwaà w'al - Bidaâ

AL - IMAM MUHAMAD BEN AHMAD BEN ABDEI RAHMAN
I EL MALTI ACHAFIE
(D 377 H)

1968 – 1388

